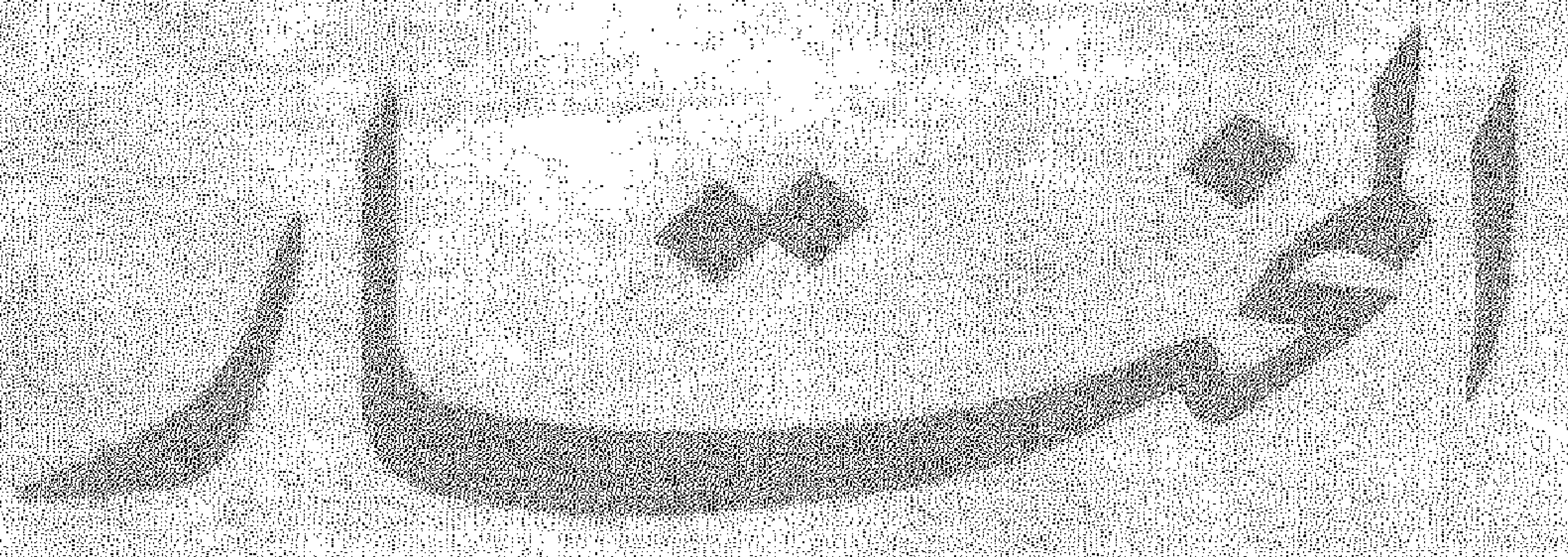
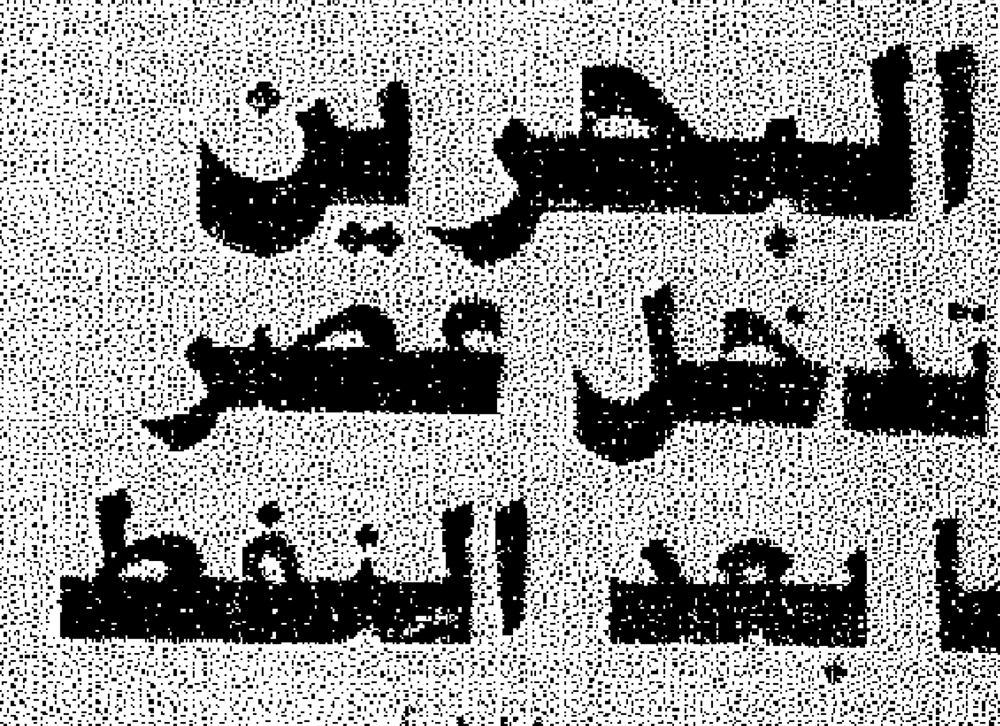
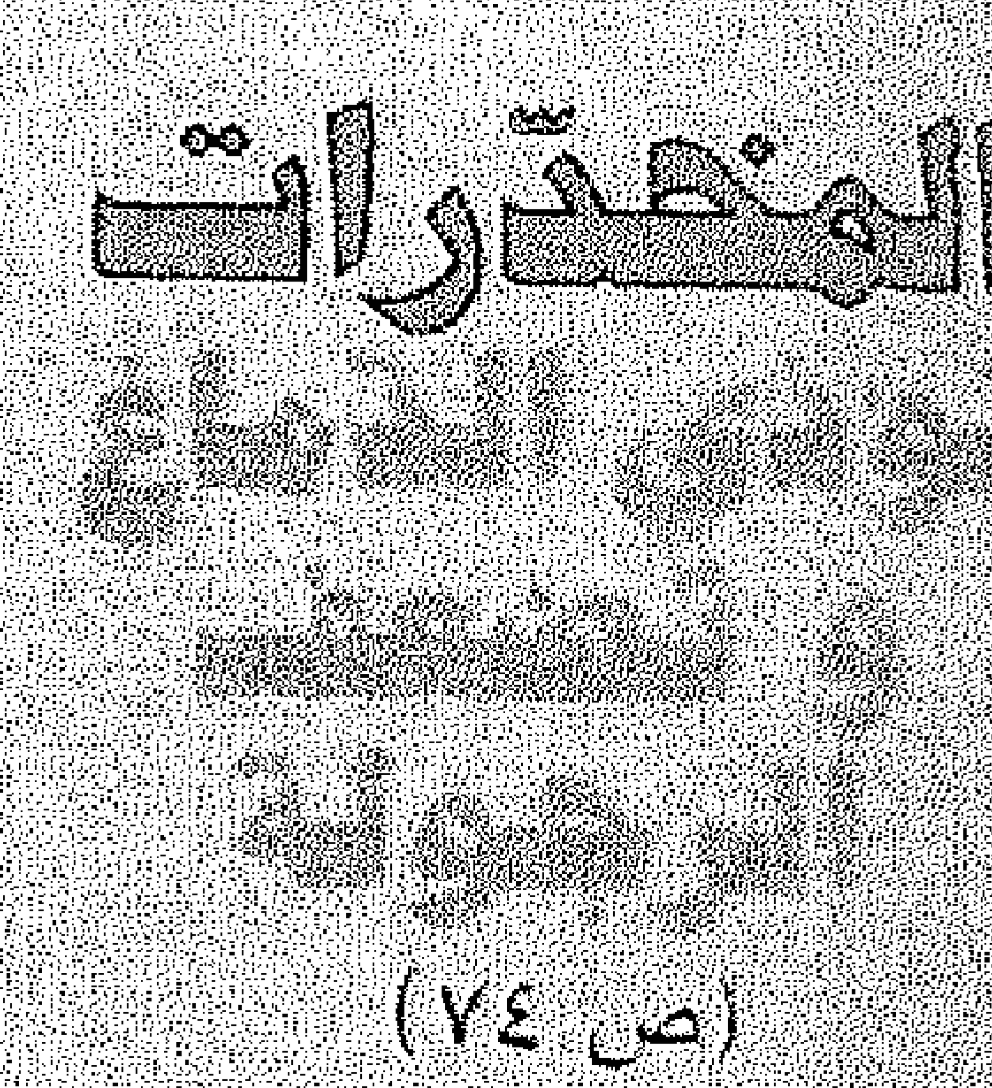
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ ـ محرّم ١٤٠١

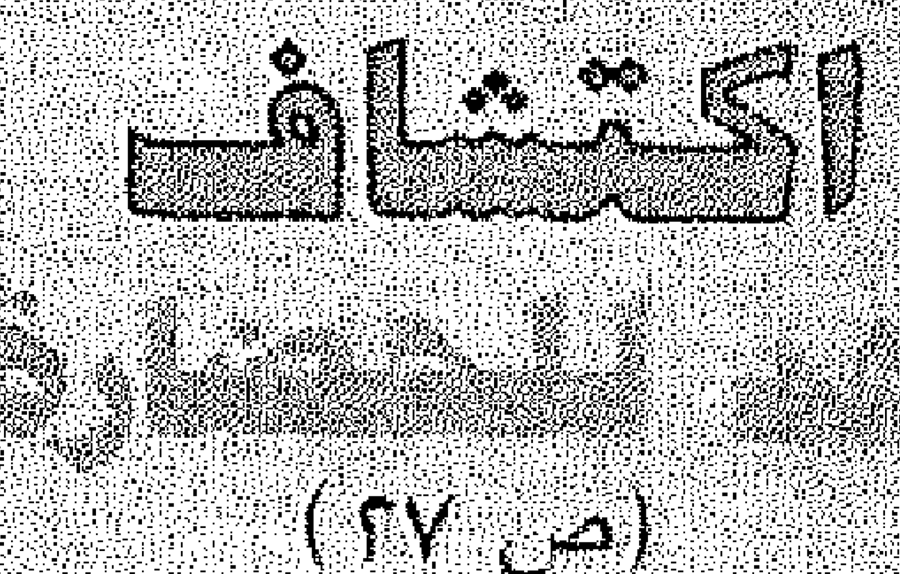




من ريدرز دايجست







لبنان ٥٠٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest NOVEMBER 1980 No 24

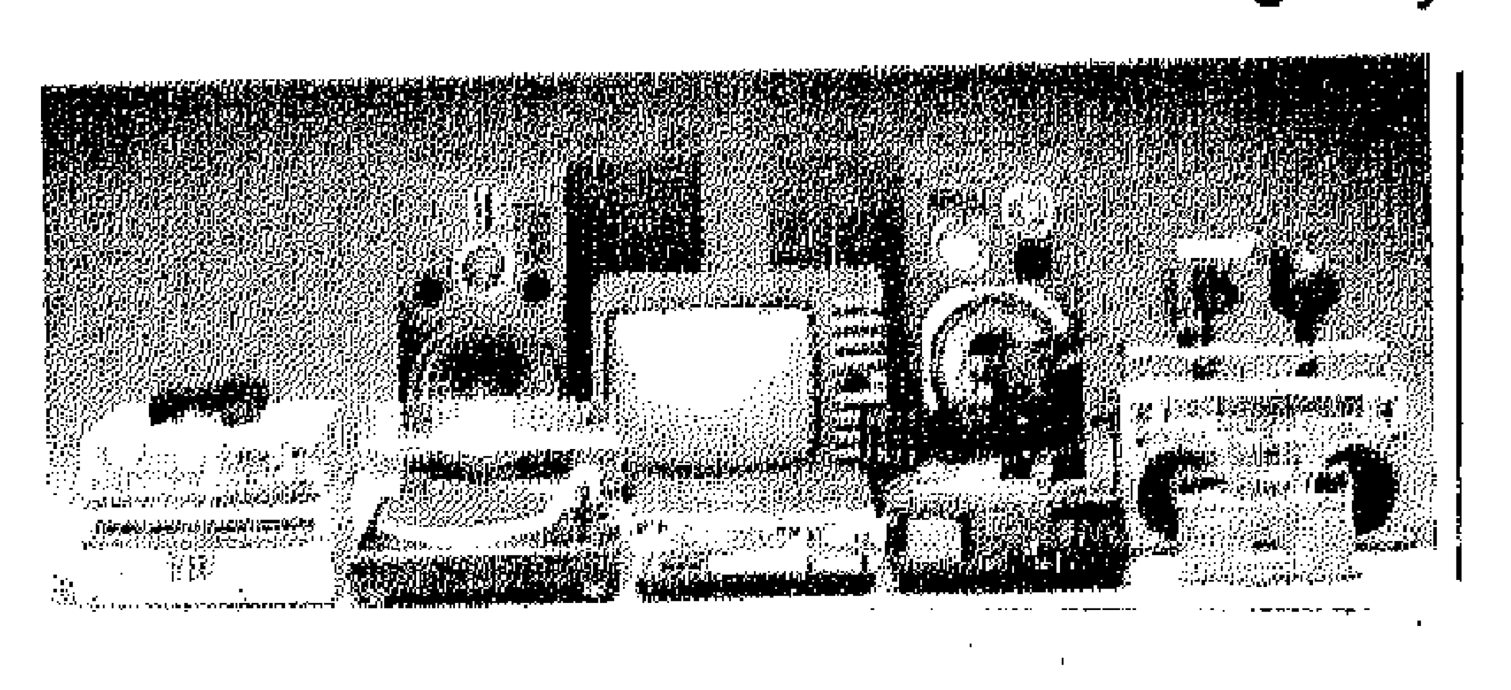
العصر الجديد

تم تخويل جي في سي كمورد رسمي للانظمة السمعية والبصرية لهذه المباريات.

كلما لاحت تباشير عصر جديد فـي الانظمة السـمعية وأنظمة الفيديو، كانت جي ·فى ·سي · السباقة ·

انـنا نفخر باعلان قرب دخولنا عصرا اكثر تقدما في انظمة الفيديو وذلك باطلاقنا تقنية تبشر بانقلاب حقيقي فى عالم الفيديو · انه نظام اسطوانة الفيديو V.H.O.

وهذا الابحار يمثل تطورا مثيرا الى درجة اننا شعرنـا بأن علينا الاحتفاء بالمناسبة على نحو خاص ·



وقد ارتأينا اشراككم فى هذا الحدث عبر حملة اعلامية ننظمها من خلال الادوار النهائية لبطولة العالم فى كرة القدم التى تمتد حتى بطولة كاس العالم فى ١٩٨٢ ·

وربما تسائلون انفسكم: لم حملة رياضية؟ والجواب هو اننا

فى جي ·فى ·سي ·، نتمثل بالروح الشابة؛ وبالحـ
والشجاعة التى يحتاج اليها المرء ليصبح ربا
عظيما · فنحن نشعر بأننا كذلك كرسنا جـ
مماثلة حتى استطعنا تجاوز العقبات وتحقيق الـ
المتواصل طوال ٥٣ عاما. وقد حفلت هذه المـ
بالتحسينـات الرائدة فـي الانظمة السـمعية وأ
الفيديو ·

فى المرة المقبلة عندما
لفريقك المفضل فكر فينا ·
فى جي ·فى ·سي؛ نطلق
بعض النشاطات المثيرة ·







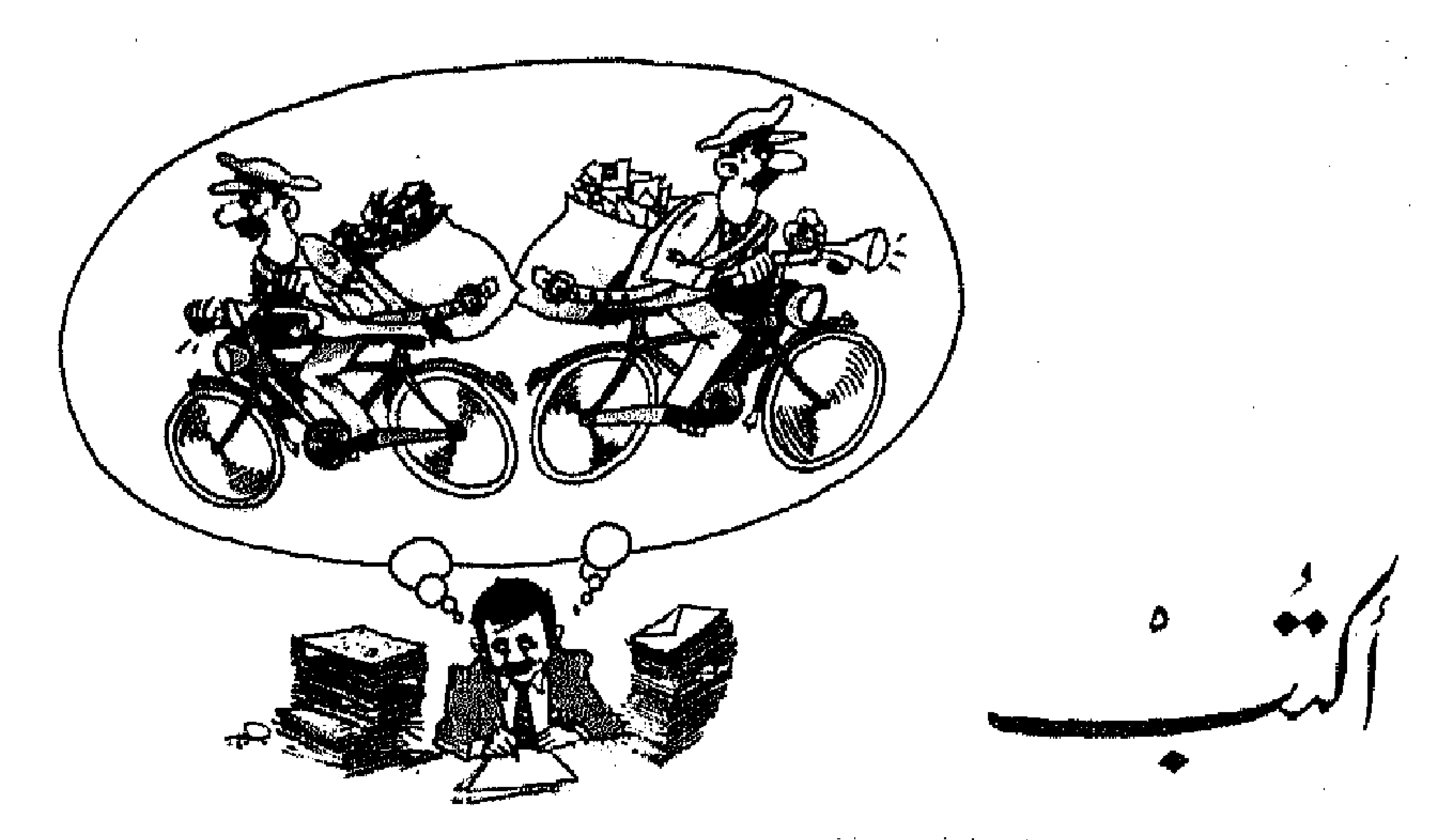












اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

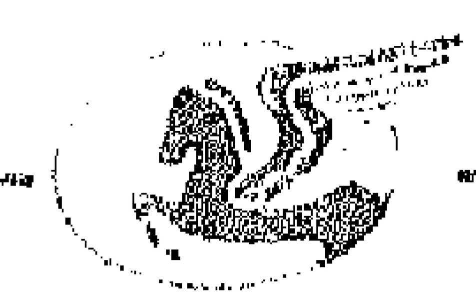
AL MUKHTAR
min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France

استقبلنا مقاييس الدقة العالمية بأخرى جديدة ومازال سعينا مست

سيكو تطل على العالم بمفهوم جديد ورائ
في أناقة ساعات الكوارتز.



SEIKO



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت.

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية ص.ب ٢٤٦ ـ ١١ التلكس (الموقت) ٢٣٢٤٤ بيروت.
التلفون ٣٤٠٠٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، التلكس LE ٢٢٢٨٨ ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١،
التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١
توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.
بيروت.

الغلاف: قرية تنحدر من جبل (ايفاريستو غيرا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

NOVEMBER 1980 No 24 (New Series). Vol 2.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

كاثي باسفيك أكثر كما تريدنا أن نكون





ان ماتريده من اى شركة طيران ه
العناية. انك تريدهم أن يصلوا
الى حيثما تريد وفي الوقت المح
من دون ازعاج. انك تريد خدمة دا
جذابة، وجيدة لتجعل رحلتك أكثر را
ورفاهية.

اننا في كاثي باسفيك نعدك بكل ذل
واكثر! فمنذ الآن نأخذك كل يوم
البحرين الى هونغ كونغ.

أربع رحلات منها عبر بانكوك. و
هونغ كونغ مباشرة الى سيول، مان
اليابان، وكل مدن آسيا.

ستجد بأننا كلما كبرنا،
كلما أضفنا ميزات لك للسافر مع

AIRCRAFT flight	DEPART to
CX 450	TOKYO
CX 410	SEOUL
CX 901	MANILA
CX 400	KAOHSIUNG
CX 510	FUKUOKA
CX 522	OSAKA
CX 504	NAGOYA
CX 550	TAIPEI
CX 502	OSAKA
CX 500	TOKYO
CX 721	PENANG
CX 731	BAHRAIN
CX 741	DUBAI
CX 711	JAKARTA
CX 903	MANILA



CATHAY PACIFIC
The Swire Group

البحرين ٧٥٨٨٥٠ ، الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ ، جدة ٤٦١٧٧٥ ، الرياض ٤٦٤٥٦٦١
الكويت ٤٣٢١٠٦ ، الدوحة ٣٢٨٤٥٠ ، ابوظبي ٣٢٣٢١٠ ، دبي ٢٢٤١٥٦ ، مسقط ٧٠٢٩٥٢
بيروت ٣٦١١٢٣٠ ، دمشق ٢٢٨١٥٥ ، عمان ٢٤٣٦٣ ، القاهرة ٤٢٣٢٦

CATHAY PACIFIC

رسالة من الصين

هذا العدد من "المختار" (الرابع والعشرون) هو محطة على الدرب الطويل، تختم به المجلة سنة من عمرها وتنطلق بغبطة الى السنة الثالثة معتزة بثقة قرائها بها وهم الذين واكبوها منذ صدور العدد الاول من المجموعة الجديدة (ديسمبر/ كانون الاول ١٩٧٨) بعطفهم وتفهمهم وآزروها بتوجيهاتهم وانتقاداتهم ونصائحهم واسروها بغيرتهم!

واذا كان الانتشار هو المقياس الحقيقي لنجاح اي مطبوعة، خصوصاً الانتشار الجغرافي، فان وصول "المختار" الى الصين هو ابلغ دليل على حيوية هذه المجلة واكبر شاهد على تفردها.

ويسعدنا ان تكون رسالة الاخ الطاهر محمد حسين من شنغهاي (الصين) فاتحة سنتنا الجديدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

شنغهاي في ٢٣ اكتوبر ١٩٧٩

السيد رئيس تحرير مجلة "المختار" الغراء

تحية واحتراماً وبعد

يسعدني جداً في هذا المقام ان اعبر عن خالص اعجابي بمجلتكم الفتية والتي عثرت على عددها الاخير "اكتوبر ٧٩" بمحض الصدفة حيث انني في هذه البلاد النائية. بحق انها مجلة زاخرة بشتى علوم المعرفة والابداع في كل المجالات وشتى الموضوعات. انها موسوعة علمية حية مفيدة.

و"المختار" في بداية الطريق لا يسعني الا ان اتمنى لها النجاح المطرد في اداء رسالتها الجليلة: في خدمة العروبة والانسانية. وكم يسعدني ان اكون من قراء هذه المجلة العزيزة واتمنى الاشتراك فيها ولكنني بصدد الاستفسار عن طريقة الاشتراك السنوي وذلك لاني سأعود الى وطني السودان بعد تسعة اشهر من الآن حيث اكون قد اتممت دراستي الجامعية في جمهورية الصين الشعبية. افيدوني بطريقة الاشتراك افادكم الله.

مرة أخرى اكرر اعجابي الشديد بل حبي لمجلتكم العظيمة مع تقديري لكل من ساهم في ابراز هذا الصرح الى حيز الوجود. وتعبيراً عن هذا الشعور أرجو ان تسمحوا لي بالمشاركة بمقال بعنوان "لا تضعف أمام التوافه" مع بعض الامثال والحكم العربية طي هذه الرسالة وشكراً.

مخلصكم

الطاهر محمد حسين


NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
نيدو السريع الذوبان
ينعم أولادكم بالعافية والصحة
لدى تناولهم، كل صباح، كوباً من حليب نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهاراً مليئاً بالحيوية والنشاط.
نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال مراحل نموهم، معظم العناصر الغذائية التي تحتاج إليها أجسامهم.
نيدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون بالعافية.
نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة
NESTLÉ
تضمنه نستله

الفحص الطبّي الدّوري مَتى يُصبح ضَرورَة؟

هل تحتاج
الى فحص طبي سنوي؟
كلا، يقول هذا الطبيب.
لكن بعض الفحوص يصبح
حيوياً مع التقدم في السن،
ولا ضير ابداً
من طلب المشورة او الاطمئنان

ان الفحص الطبي السنوي تقليد منتشر في انحاء عدة من العالم، خصوصاً في امريكا الشمالية. فالامريكيون يدعون دائماً الى محاربة السرطان بالفحص الطبي الشامل. ويقال لهم ان على المرء زيارة طبيبه مرة في العام، وتنصح النساء باجراء فحوص دورية منتظمة على الثديين والحوض. ومن علائم النجاح في عالم الاعمال ان يجتاز الانسان "الفحص السنوي للمديرين".

فما الذي يكمن وراء هذا كله؟

ان الأمر يتضمن عدداً من العوامل المؤثرة، ولكن اكثرها شيوعاً هو ذلك الذي تمثله لين بريجز، وهي مديرة مدرسة في الاربعين من عمرها تأتيني كل ربيع. واذا استثنينا حالات الصداع التي تصيبها مرات نادرة وعملية استئصال الزائدة الدودية التي اجريت لها، فانها تتمتع على الدوام بصحة جيدة. ومع ذلك فهي تطلب اجراء فحص شامل دقيق لكل اجزاء بدنها، بما في ذلك اختبارات الدم وفحوص الاشعة السينية. وقد قلت لها ان معظم هذه الفحوص لا ضرورة له، ولكنها تصر وتصمم على اجرائها. وفي الغالب تشيع نتائج الفحوص والاختبارات السرور في نفسها. وهي قالت بعد آخر فحص شامل: "أظن ان لدي صحيفة صحية ناصعة لعام آخر".

وهناك مريضة أخرى، سأطلق عليها اسم باربارا بيتز، تبلغ الخامسة والثلاثين وهي ربة بيت، جاءتني لاجراء فحص شامل لسبب مختلف، فسألتها في البداية اذا كانت تعاني اي متاعب، فأجابت: "بعض آلام في المعدة خلال الاسابيع القليلة الماضية،

وفي ما عدا ذلك فانني اشعر بأني بخير". وجاءت نتائج فحوصها طبيعية ولكنها على خلاف السيدة بريجز أعربت عن قلقها الشديد حين اخبرتها بهذه النتيجة، وقالت: "فما خطب معدتي اذن؟ ان آلامها تحرمني النوم منذ شهر كامل".

عندئذ غيرت اتجاهي في العمل، واجريت لها فحصاً طويلا لاستقصي أسباب الم معدتها. وقد تبين من ذلك ان السيدة بيتز كانت تعتبر الفحص الشامل اجراء فائقاً: فاذا كانت هناك مشكلة تبدو خطيرة، فهي ترى ان الامر يستوجب اجراء فحص شامل.

وفرانك جونسون شاب في الثانية والعشرين، حديث عهد بالزواج. وقد اثار شكوكي، لان من النادر لشاب في سنه ويتمتع بصحته ان يطلب فحصاً طبياً شاملا. فسألته:

"هل تعاني اي اوجاع او آلام؟"

– كلا.

"هل سقط احد من اقاربك صريع مرض خطير؟"

– كلا.

"هل لديك مشكلات دراسية؟"

– كلا.

"وماذا عن حياتك الجنسية؟"

(صمت) انها اصابة مباشرة في بين الهدف! لقد كان طلب فرانك جراء فحص طبي شامل هو "جواز المرور" او السبب المقبول لزيارة الطبيب. فهناك ناس كثيرون يحول الحرج دونهم والتصريح بمشاكلهم فيأتون طالبين الفحص الشامل آملين بأن يؤدي اجراء دقيق خفي الى كشف مشكلتهم للطبيب.

لقد بدأت ممارسة مهنتي وأنا أؤمن – مثل كثير من الاطباء – ايماناً قوياً بفائدة الفحص الدوري الشامل. وبعد بضعة اسابيع، هنأني زميل مخضرم على دقتي، وأضاف: "ولكنك لم تعد طبيب امتياز في مستشفى، ومن ثم فان كل عملائك ليسوا بالضرورة مرضى. وأنت تنفق وقتاً اكثر من اللازم في اجراء الفحوص الشاملة، في حين ان معظمها يدخل في باب العلاقات العامة، اذ ان زائريك يريدون ان يحسوا بعدها احساساً طيباً بأنهم على ما يرام. ومن اجل ذلك وجه اليهم بضعة اسئلة ثم قم بفحص سريع واطلب بعض اختبارات الدم، ولا مانع من اجراء فحص بالاشعة ايضاً على الا تستغرق العملية كلها اكثر من عشرين دقيقة".

وقد خالفت الزميل المخضرم رأيه بقوة في ذلك الوقت ثم اتضح لي، بعد اجراء مئات الفحوص الشاملة، أنني لم اكتشف اي اصابات مرضية غير معروفة من قبل تقريباً. وكان اكثر اكتشافاتي تكرراً – بنسبة ثلاث حالات في كل مئة – هو ارتفاع ضغط الدم. وقد اكتشفت اصابة سيدة او اثنتين بالانيميا (فقر الدم) عادة بسبب غزارة الطمث. أما بقية الفحوص وكل موارد المختبرات وامكاناتها، فانها لم تسفر تقريباً الا عن تراكم الشمع في آذان بعض العملاء. وأنتابتني الحيرة، فذهبت الى مكتبة طبية استطلع الامر فوجدت ان معظم الباحثين يؤيدون الفحوص الشاملة ولكنهم عندما يحاولون اثبات دورها في انقاذ حياة مهددة بالخطر، يعجزون عن ذلك تماماً.

الامراض الخفية – ترى ما هي هذه الامراض الخفية التي يتلهف الناس لكشف الستار عنها؟

سرطان الثدي؟ ان النساء يتعرضن لوابل من التحذيرات التي تحثهن على اجراء فحص طبي سنوي. ولكن في ٩٥ في المئة من حالات سرطان الثدي تكتشف النساء اصاباتهن بانفسهن وعلى ذلك فاذا كان الفحص السنوي اجراء مساعداً، فمن الافضل للمرأة، ان تجري فحصاً شهرياً.

سرطان الرئة؟ ان ٩٥ في المئة من حالات سرطان الرئة تكون اصبحت غير قابلة للعلاج في المرحلة التي يظهر المرض على لوحة الاشعة الصدرية. وعلى ذلك فان المدخن الذي يطمئن نفسه لأن صورة الاشعة التي استخرجت لصدره نظيفة هو ضحية خدعة كبرى.

النوبات القلبية؟ جلطات الدماغ؟ الحقيقة انه ليس هناك فحص ولا اختبار للدم ولا فحص بالاشعة السينية ولا رسم للقلب يمكن ان ينبىء شخصاً يشعر بصحة طبيعية بأنه مهدد بنوبة قلبية. وهذا القول يصدق كذلك على جلطات الدماغ والجلطات الدموية الاخرى ومعظم حالات السرطان.

لقد نجح العلم في تطوير اساليب عدة لمكافحة الامراض ولكن هذه الاساليب تحقق افضل نجاح لها ضد الامراض التي ظهرت بالفعل، في حين تقل كفايتها كثيراً عندما يتعلق الامر باكتشاف ما يكمن في اجساد الناس الذين يبدون اصحاء من امراض خفية قابلة للعلاج.

٤ استثناءات – غير ان هناك اربعة استثناءات مهمة هي: سرطان الرحم وارتفاع ضغط الدم وسرطان الامعاء والغلوكوما. فهذه الامراض خطرة، ويمكن بالفعل اكتشافها قبل ظهور اعراضها. والاهم من ذلك ان السيطرة عليها او علاجها يسهل عندما تكتشف مبكراً ولكن اكتشافها لا يحتاج الى فحص طبي شامل دقيق.

وسرطان الرحم يمكن اكتشافه مبكراً باستخدام "بقعة باب". وقد انتهت دراسة كندية اجريت حديثاً الى ان المرأة ينبغي ان تجري اول اختبار لها "ببقعة باب" في السن الثامنة عشرة، ثم تجري الاختبار الثاني بعد ذلك بعام. فاذا كانت النتيجة طبيعية في المرتين، فان من المأمون بالنسبة اليها ان تقتصر على اجراء الاختبار مرة كل ثلاث سنوات حتى السن الخامسة والثلاثين، ثم مرة كل خمس سنوات حتى السن الستين. ولا حاجة بعدها الى اي اختبار. غير ان من الضروري اجراء هذا الاختبار سنوياً للنساء اللائي يعتبرن معرضات للخطر، وهن اولئك اللواتي بدأن ممارسة الجنس قبل السن العشرين، واللواتي يمارسنه مع اكثر من شريك.

أما ضغط الدم فيمكن اكتشافه في مرحلة مبكرة عن طريق القياس السنوي لمعدله. وهذا القياس اجراء وقائي جيد، في ذاته، لجميع الناس.

وسرطان الامعاء هو اكثر الاورام الخبيثة شيوعاً بين غير المدخنين. وعلى خلاف سرطان الرئة، فان معدل نجاة الذين يصابون به يرتفع ارتفاعاً كبيراً كلما اكتشف الورم في مرحلة مبكرة فيبلغ هذا المعدل ٩٠ في المئة من الحالات بعد تشخيص المرض بعام واحد. أما اذا لم يكتشف المرض الا بعد ظهور الاعراض، فان معدل الشفاء منه لا يزيد على ٤٠ في المئة من الحالات. ومعظم اورام الامعاء تتسرب منها كمية صغيرة من الدم



سيارة العصر

هوندا "سيفيك"، هوندا "اكورد"، هوندا "بريليود"، ثلاث سيارات تحتل صالات العرض العصرية،

ان سيارات هوندا الاقتصادية، التي تلبي متطلبات العصر الحديث، تؤمن قيادة مثالية بفضل تصاميمها الانيقة والمريحة والملائمة للمدينة والريف،

ليس في العالم سيارة اكثر مناسبة من هوندا، انتق الطراز الذي يعجبك، واختبر قيادته فتجد ان القيادة الحقيقية تعني هوندا،

قد تختلف التجهيزات من بلد الى اخر

HONDA®

شركة هوندا المحدودة للسيارات، طوكيو، اليابان

ؤدي الى حدوث تغير في لون البراز ندما يضاف سائل خاص. ولما كانت سبع في المئة فقط من حالات برطان الامعاء تحدث لاشخاص تحت لسن الخمسين، فان الكثيرين من لاطباء يبدأون الفحص المنتظم مملائهم بعد السن الاربعين.

والغلوكوما هي من الاسباب لشائعة لفقد البصر. ولا يتطلب لفحص الخاص باكتشاف احتمالات لاصابة بها سوى قياس بسيط لضغط سائل العين. ويندر ان تصيب لغلوكوما صغار السن، ولكن من المهم من تجاوزوا الاربعين ان يواظبوا على جراء هذا الفحص السنوي البسيط.

لزيارة السنوية ضرورية — ولكن ماذا عن السيدة بريجيز التي تجرى فحوصها الطبية الشاملة لمجرد لاطمئنان؟

ليس في هذا ضير، لان طمأنة المرضى تعادل معالجتهم في الاهمية. أما الناس الذين لا يحتاجون الى طمأنة ولا يعانون اي متاعب، فيجدر بهم أن يجروا فحصاً طبياً كاملا مرة واحدة فحسب. وأنا افضل اجراء هذا الفحص على كل مريض جديد يأتيني، بادئاً بتسجيل كل تفاصيل تاريخه الطبي وعرض المشكلات الصحية لدى افراد عائلته، ثم افحصه بدقة من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وآمر باجراء التحليلات لدمه وبوله.

وعندما تأتيني نتائج التحليلات، اضع "قائمة مشكلات" لأناقشها مع المريض، تتضمن على سبيل المثال:

١ ـ البدانة الخفيفة.
٢ ـ الحياة التي يطول فيها الجلوس.
٣ ـ تدخين السجائر.
٤ ـ الحمى الفصلية.

ولما كانت العادات هي أهم أسباب المرض، فانني انتهز هذه الفرصة لاذكر له ذلك، واقدم اليه النصح واجيب عن اسئلته.

بيد اني اود ان ارى مرضاي مرة في العام على الاقل، لانني اريد ان اقيس ضغط الدم لديهم واجري لهم اختبار "بقعة باب" عند الضرورة. ومع اقتراب المريض من سن الكهولة، ابدأ الفحوص الدورية لاكتشاف بوادر الغلوكوما وسرطان الامعاء. وما لم تظهر لدى المريض مشكلة صحية مستمرة، فانني نادراً ما أفعل اكثر من ذلك.

ولا شك في ان الزيارة السنوية تجدد العلاقة بين المريض وطبيبه. وقد يصعب تبرير ذلك من الناحية العلمية البحتة، ولكن المشورة والطمأنة هما أهم ما يمكن ان يؤديه الطبيب لشخص لا يعاني متاعب صحية. والطبيب لا يستطيع ان يمحو العادات السيئة او ان يعالج اسلوب الحياة غير الصحي، فهذه امور تتوقف عليك انت.

■ **الدكتور مايك اوبنهايم**

المريض المطيع

المريض للطبيب النفسي: "لقد عملتُ بنصيحتك، فأبعدت ضغط العمل عني، واتخذت لنفسي بعض الهوايات، واسترخيت. وكانت النتيجة اني طُردتُ من العمل!"

ل.غ.

بفضل مهارة سكانها وقصاصات الفـرو الفائضـة عـن مصانـع العالم، تحولت بلدة كاستوريا اليونانية الى اكبر مصنع ومتجر للفراء الفاخرة

عـاصمة الفـرو

كانت الطريق التي اجتزتها شمال غرب اليونان وعرة، والتلال المقدونية على الجانبين ملأى بالغابات الكثيفة. وأشرفتُ على منحدَر أبصرتُ تحته بحيرة اورستياس الجميلـة، والـى جانبهـا بلـدة كاستوريـا بأبراجهـا وقبابهـا وقرميـد منازلهـا الأحمـر مرتفعة فوق التلال الصخرية. ولا شك في أن كاستوريا بلدة بيزنطية تمتع السياح. لكنها، كذلك، أهم مركز في العالم لصناعة ثياب الفرو.

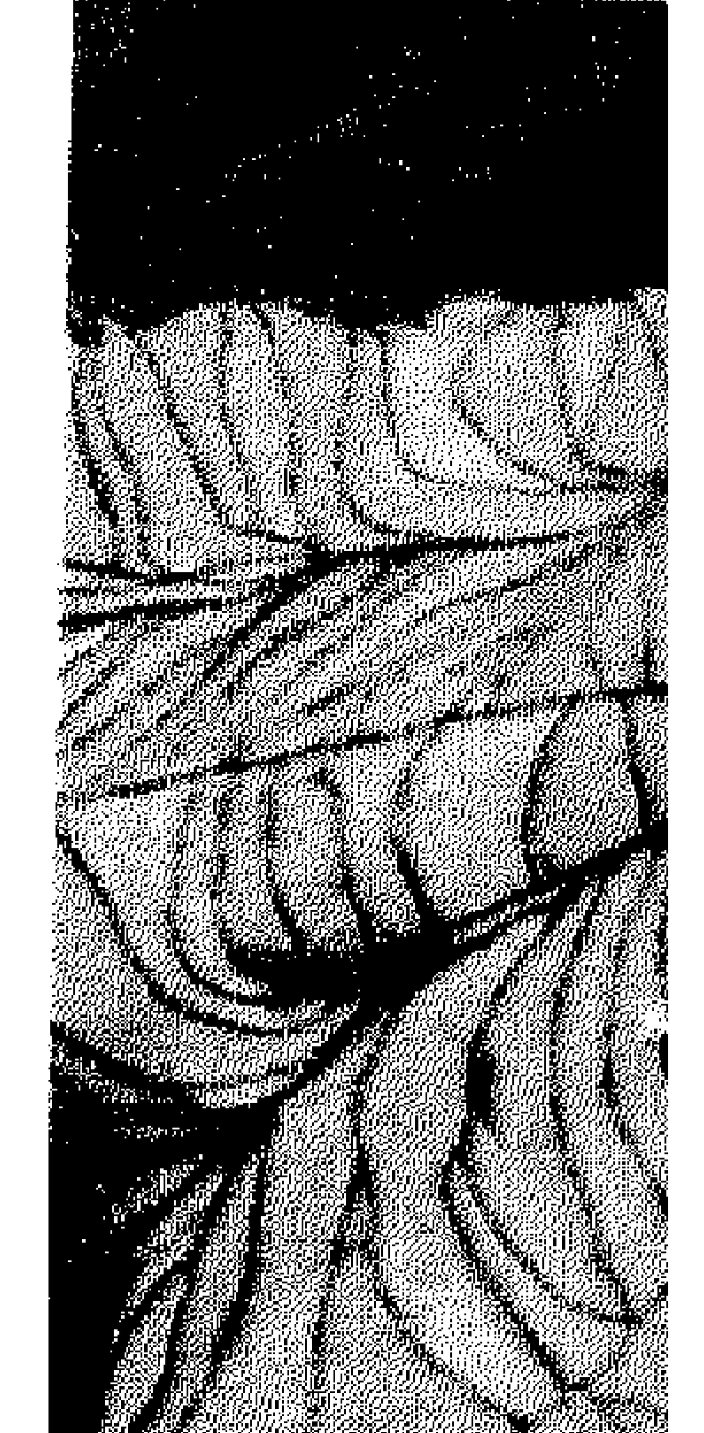


معطف.

Photos by Ernest Coppolino.

وفي السنوات الخمسمئة الأخيرة، استمدت كاستوريا ثروتها من هذه الصناعة. وهي اليوم تنتج معاطف دقيقة الصنع من قطع الفرو الكاملة أو الموصولة. وأهم ما تنتجه قطع كالملاءات تسمى "الأبدان"، تُجمَع فيها الفراء الصغيرة بعضها الى بعض وتُعَدّ لتصنَع منها ملابس. وفي العام ١٩٧٩ صدّرت هذه البلدة الغنية ذات العشرين ألف نسمة، مع القرى المجاورة لها، كميات من الفرو فاق ثمنها المئة مليون دولار. وقد صُدّر ذلك الفرو الى ٢٦ بلداً، مشكلا نسبة ١٢ في المئة من الفرو المبيع بالجملة حول العالم.

وفي عدد كبير من ساحات البيوت عبر شوارع كاستوريا الملتفة، تقوم ألواح وُضعت عليها الجلود كيما تجفّ. وفي البلدة ثلاثة مشاغل عصرية متعددة الطبقات، يعمل فيها نحو ٣٠٠ شخص. الا أنّ معظم مصانع الفرو في كاستوريا – وعددها ١٥٠٠ – هي مصالح عائلية صغيرة لا يتجاوز عدد العاملين في الواحد منها العشرين عاملا. وقد صادفت هناك تاجر فراء باريسياً اسمه روجيه جيركو، قال لي: "انهم كالسَّحرة". وهو يذهب الى كاستوريا بضع مرات سنوياً، شأنه في ذلك شأن تجار آخرين من



قطع منسقة، و"بدن" جاهز.

اوروبا والولايات المتحدة واليابان وهونغ كونغ، لأنها المكان الأفضل لشراء الفرو المتقَن بأسعار رخيصة.

وسرّ ذلك أن معظم منتجي الفرو يستعملون القطع الكاملة، في حين ان أهل كاستوريا يشترون القصاصات من معامل التفصيل والخياطة حول العالم بمعدل مليون كيلوغرام في السنة. وهي من جميع الألوان والأحجام، وتراوح بين فرو المِنك وفرو الأبوسوم (حيوان جرابي). وهم يشحنون تلك الفراء الى مشاغلهم حيث يفصلونها قطعاً بقياس ١٥×٢٣٠ سنتيمتراً، ويعيدون تصديرها قطعاً أو بذلات جاهزة. والمعطف المصنوع من قصاصات يباع بنصف الثمن (وما دون) الذي يباع به معطف مصنوع من قطعة كاملة. وهذا يجعل من كاستوريا أكبر مركز عالمي لصفقات الفرو.

وفي منزل قديم في حيّ تمبَخاني، وقفت اراقب ثلاثة رجال يعملون تحت أضواء مصابيح قوية. وكان كل منهم يتناول القصاصات من بالة تزن ٤٠٠ كيلوغرام ويصنفها في مجموعات بلغت المئتين من الفرو الأسود والأبيض والبني.

عمل دؤوب – بعد ذلك تبعت المقاول مكاريوس اراباتسيس عبر منعطَف شديد الانحدار، بدا أنّ كلّ باب فيه يخبيء مشغلا للفراء. وفي غرفة صغيرة ذات سقف منخفض، راح عدد من الرجال يشذبون القصاصات، التي لا يتجاوز طول بعضها سنتيمترات قليلة، الى قطع منتظمة الأشكال، بينما كان رجال ونساء آخرون في غرفة مجاورة يخيطون هذه القطع

بعضاً الى بعض، وأحياناً يقتضي "البدن" الذي يزن ثلاثة كيلوغرامات أو أربعة ويصنع منه المعطف أن يفتش العامل في ٥٠٠ كيلوغرام من القصاصات للحصول على القطع المتجانسة، وربما احتاج البدن التام الى ألف قطعة.

ولا يزال أهل كاستوريا يروون قصة ابن بلدتهم الاسطورية الذي صنع، عام ١٩٢٠، لوحتين من الفرو تمثلان رئيس وزراء بلدهم آنذاك الفنيزيلوس والملك جورج الثاني. وقد استخدم الحرفيون حنجرة السمور لصنع الأزرار المذهبة وبطنه لابراز لون الجسم الطبيعي، واستخدموا جلد المناجذ (واحدها الخلد) للون الأزرق.

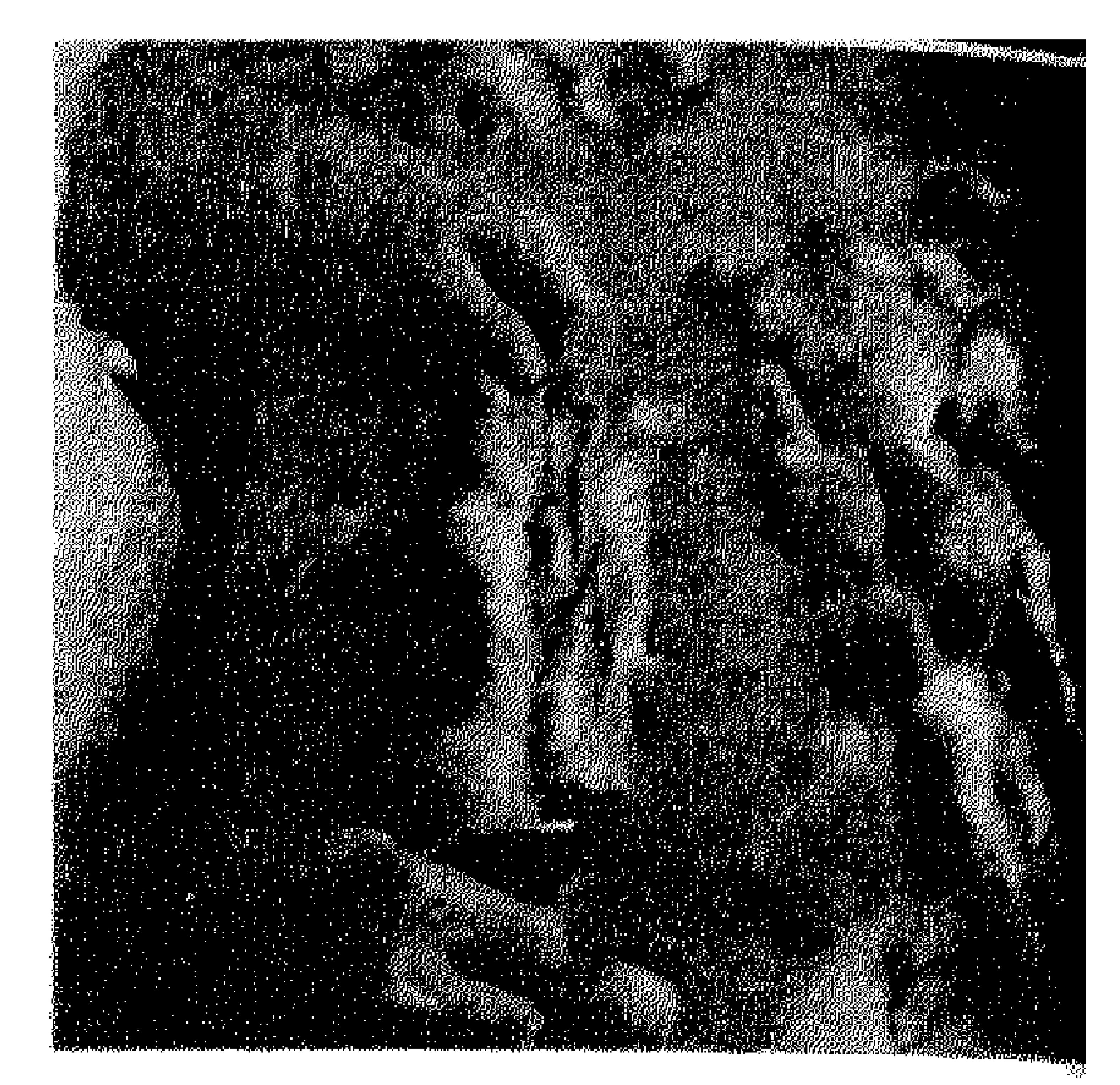
ان صناعة الفرو من أقدم المهن في العالم. أما كاستوريا - وهي، منذ القدم، ملتقى طرق بين روما والقسطنطينية - فقد دخلت ذلك الميدان منذ القرن الخامس عشر. وكان تجارها يرسلون الألبسة المصنوعة من الفرو مرة أو اثنتين سنوياً الى القسطنطينية بواسطة قوافل. وفي مستهل القرن السابع عشر أصبحت لديهم قافلة تجارية من ٤٠٠ حيوان يسيّرونها الى البلدان الاوروبية التي يحكمها العثمانيون.

براعة في البيع والشراء - إن براعة تجار كاستوريا في البيع تضاهيها براعتهم في أخذ كميات هائلة من قصاصات الفرو الفائضة عن مصانع البلدان التي يتجرون معها. وكانوا في البداية يحملونها من غير مقابل. ولكن حين ظهرت مهارتهم في تنسيقها وتفصيلها وتسويقها، فرضت المصانع ثمناً عليها. لكن تجار كاستوريا لا يزالون يجنون أرباحاً من صناعتهم التي ازدهرت حتى لم يبق في امكانهم تلبية جميع الطلبات.

ويحصل أهالي كاستوريا على مساعدات كثيرة من أقربائهم المهاجرين الى اوروبا وأمريكا الشمالية. ويعمل المهاجرون كوسطاء، فيشترون فراء كاستوريا ويبيعونها لتجار الجملة في الخارج. وقد قال جان مانتوبولوس، تاجر الفراء الذي هاجر الى باريس عام ١٩١٩: "ان الفرو يجري مع الدم في عروق أهل كاستوريا. وهم كالعث، تجدهم حيث تكون الفراء!"

وجدير بالذكر ان مغتربي كاستوريا لم يفقدوا حسهم بالانتماء الى بلدتهم التي يزورونها ويرسلون الى أقربائهم فيها الهدايا من وقت الى آخر. وفي مدينة نيويورك جمعية من مغتربي كاستوريا اسمها "اومونيا" (ومعناها السلام والأخوّة) تبرّع أفرادها لمسقط رأسهم بامدادات مياه الشرب العصرية والكهرباء ومستشفى وملعب رياضة ومختبر كيمياء لاحدى المدارس. وتبرعت جمعية "اورستياس" من مغتربي كاستوريا في باريس، التي أُسست قبل ٦١ سنة، بملابس لفريق كرة القدم في كاستوريا. كما موّلت الجمعيات الكاستورية في الخارج الحملات الرامية الى المحافظة على الأيقونات الجدارية في كنائس البلدة، مما يجعل كاستوريا مركزاً رئيسياً للفن البيزنطي.

وفي كاستوريا ما لا يقل عن ٥٥ كنيسة قديمة يعلوها القرميد الأحمر. وقد شيد عدد كبير منها بفضل



حرفي يشذب قصاصات الفرو ويفصلها قطعاً منتظمة الشكل.

عائدات الفرو. ومن هذه كنيسة "أيوس ميناس" المكرّسة على اسم النبي ايليا الذي تحدّى برد القفر بلبس رداء من جلد الغنم، والذي تصوره الأيقونات صاعداً الى السماء في فرائه. ومنذ العام ١٩١٥ أصبح النبي ايليا شفيع اتحاد منتجي الفرو في كاستوريا. ويوم عيده، في ٢٠ يوليو (تموز) من كل سنة، يقيم أهالي كاستوريا احتفالا في ساحة البلدة الرئيسية تؤدى فيه صلاة شكر. ويقول رئيس الاتحاد السابق بيتروس ثاليدس: "هناك احتفالات كثيرة يقيمها أهالي البلدة الذين ازداد عددهم ثلاثة أضعاف في السنوات الخمس عشرة الأخيرة، كما ارتفعت نسبة تصدير الفراء خلال هذه المدة بمقدار مئة في المئة". وهذا الارتفاع زاد معدّل الدخل الفردي الذي أصبح ٥٠٠٠ دولار سنوياً، مما جعل كاستوريا من أغنى المدن اليونانية.

مدرسة مهنية - من أجل تأمين موظفين لصناعة الفرو المزدهرة، أسس اتحاد الفرو مدرسة تدريب تمولها حكومة اليونان وتشرف عليها لجنة من اصحاب المهنة المحليين. ويقضي المتمرنون سنتين يتعلمون خلالها مختلف جوانب المهنة. ويضيف ثاليدس: "غايتنا أن يبقى شباب كاستوريا في بلدتهم ويثابروا على تطوير هذه الصناعة".

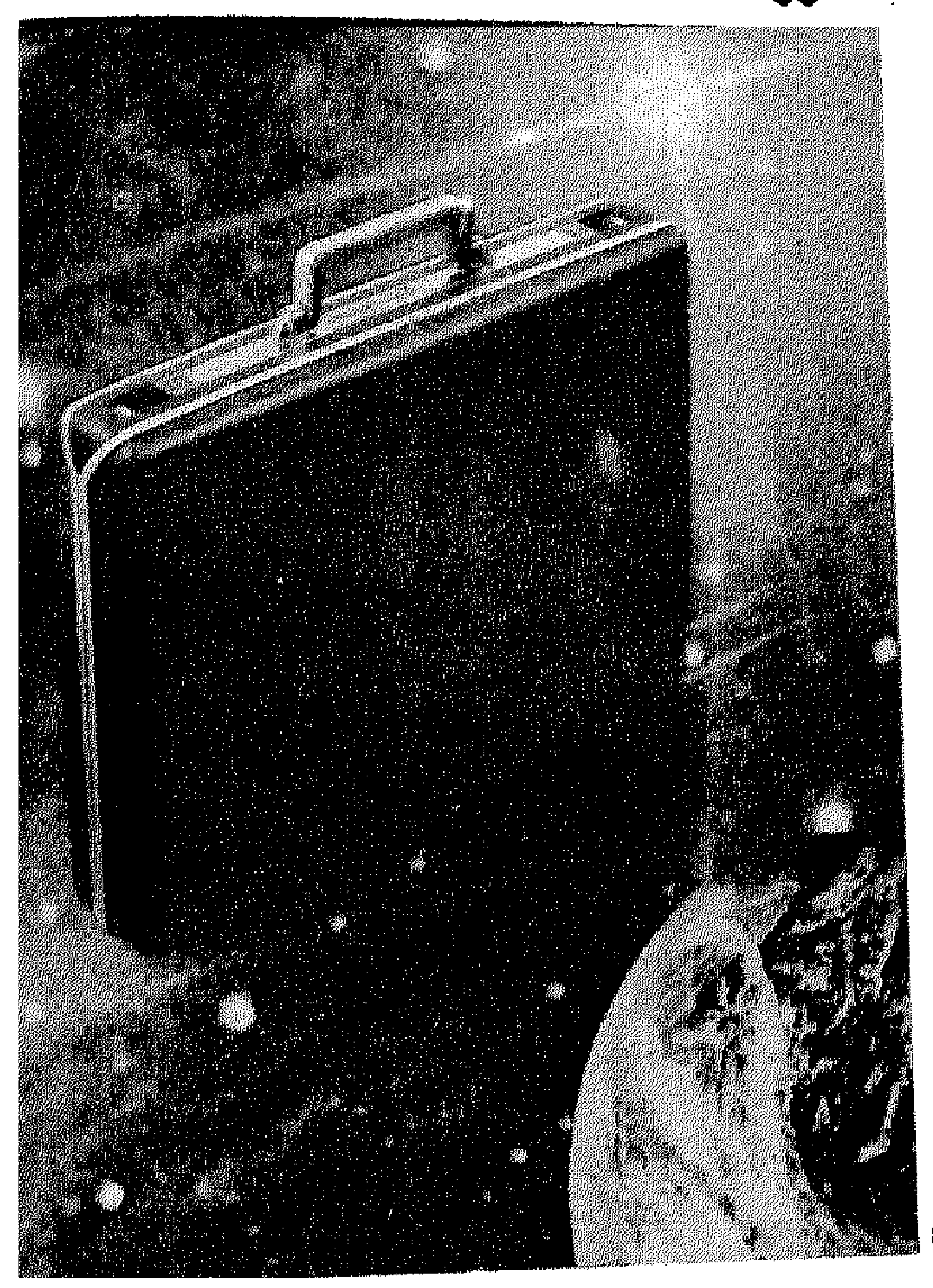
وقد بدأ أهالي كاستوريا ينشئون مزارع اختبارية للفراء قبل عشرين سنة، بهدف زيادة الأرباح والاستقلال الاقتصادي. ولديهم الآن ثلاث مزارع تحوي ٤٠ ألف حيوان من المنك والذئاب الفضية والزرقاء المتوالدة التي جُلبت من شمال الولايات المتحدة وبلدان اسكنديناڤيا. ومن نتائج تلك المزارع زيادة استعمال قطع الفرو الكاملة.

لقد شهدت كاستوريا تقدماً ملحوظاً على العهد الذي كان تجارها يسيّرون القوافل الى القسطنطينية. وفي البلدة اليوم معرض لبيع الفراء يقام في شهر مارس (آذار) من كل سنة، وتعتمد فيه اللغة الانكليزية للتفاهم بين متكلمي اليونانية والفرنسية والايطالية والالمانية وسواهم.

ويتوّج عقد الصفقة بضيافة يونانية تقليدية مؤلفة من الفاكهة المجفّفة والقهوة الحلوة والماء المثلّج. واذا تمّ ذلك بعد الظهر، فقد يُستعاض عن الماء بشراب "ميتاكسا" اليوناني المعتّق. وقد سألت تاجراً المانياً فور انتهائه من صفقة شراء عن السبب الذي يجعل فرو كاستوريا رائجاً، فرفع كأسه وأجاب وهو يبتسم: "كاستوريا تزوّدك بأيّ فرو تريده. إنها تمنح العالم الدفء".

■ فيليب تمبل

كيفما تسافر..



أوميغا: تصميم رائع

أوميغا من سامسونايت هي الجمع الكامل بين التكنولوجيا الحديثة وروعة التصميم.
صنع إطارها من مادة المغنيزيوم الصلبة القوية والخفيفة مما جعلها تواكب عصر الفضاء.
أوميغا تؤمّن الحماية الكاملة لمحتوياتها.
كل جزء من أجزاء أوميغا مصنوع من أفضل المواد نوعية، هيكلها من مادة الـ"ABSOLITE" يجعل منها الحقيبة التي لا تزاحم من حيث القوة والمتانة.
أضف الى ذلك جهاز الزر الضاغط والقفل المرقّم الذي يجعل من أوميغا صفقة كاملة ورابحة.
أوميغا حقيبة اليد لكل رجل عصري.

إنها أصليّة ~ إنها سامسونايت

Samsonite® سامسونايت®

حقائب سامسونايت الأصليّة - مصنوعة في الولايات المتحدة

البحرين تدخل عصر ما بعد النفط

البحرين البلد الذي حفرت فيه البئر الاولى في الخليج العربي يستعد لعصر ما بعد الذهب الاسود، لانه سيكون البلد الاول في المنطقة الذي ينضب النفط فيه

تقع جزيرة البحرين في منتصف الخليج العربي، هذا الموقع الاستراتيجي المهم، وتبعد ٢٢ كيلومترا عن شاطىء السعودية الغني بالنفط.

صعب علي تبين شاطىء البحرين من على ظهر مركب شراعي يمخر المياه، اذ بدا لي كأنه مسطح كئيب مكبوت. ولكن النظر يخدع احياناً.

البحرين واحة طولها ٣٠ كيلومتراً محاطة بالبحر وقائمة على فتات الكلس. نعمت بالخيرات منذ ابتسم لها القدر، ومنذ دخلت صفحات التاريخ. منذ الف سنة قامت ثروة البحرين على صيد الاسماك والزراعة وصيد اللؤلؤ، وبعدها على التجارة وصناعة السفن الشراعية. وفي ايامنا ازدهرت بسبب النفط الذي اكتشفه الرواد الامريكيون، فحفرت فيها بئر النفط الاولى في البلاد العربية عام ١٩٣٢.

سرت على رصيف الميناء المزدحم. فمن خراف تثغو الى اكداس من البضائع الى دراجات نارية يابانية وصناديق الشاي الهندي فالى تفاح الولايات المتحدة واحذية كرة المضرب الصينية الصنع. وبعد فترة وجيزة

تبين لي ان هذه الحضارة الخليط كصحن السلطة هي امر عادي.

نالت البحرين استقلالها عام ١٩٧١ بعدما بقيت ١٥٠ عاماً محمية بريطانية. وهي اليوم تنعم بمستوى من الحياة يحسدها عليه الكثير في العالم. فمعدل دخل الفرد فيها ٣٨٠٠ دولار امريكي في السنة، اي ما يوازي دخل الفرد في ايطاليا او جزر الباهاما. عدد سكانها ٣٤١٠٠٠ نسمة يستعملون ٥٠٠٠٠ سيارة، وفيها ٣٥٠٠٠ جهاز تلفزيون تعمل بست قنوات ملونة تلتقط برامج محطة البحرين ومحطات الدول المجاورة.

في العام ١٩٤٠ اعتمدت البحرين التعليم المجاني في انظمته الحديثة، مما جعلها اكثر بلدان الخليج ثقافة وعلماً نسبة الى عدد سكانها. ويعمل فيها الآن قرابة ٨٠٠ طبيب وممرضة. والعلاج الطبي مؤمن مجاناً لجميع المواطنين اما نسبة البطالة فضئيلة وهذا يثبته استقدام البحرين من الهند وباكستان وايران وبريطانيا والولايات المتحدة، واخيراً من كوريا الجنوبية، ما مجموعه ٧٥٠٠٠ عامل لا يطالب اي منهم بضريبة دخل.

لخمسين سنة خلت، كان النفط هو العامل الرئيسي في ازدهار البحرين. قمت بزيارة لشركة نفط البحرين "بابكو" التابعة لشركة "كالتكس"، فمررت بالخزانات الكبيرة وبالمصفاة التابعة للشركة وهي من اكبر المصافي في الشرق الاوسط اذ تكرر ٢٥٥٠٠٠ برميل يومياً. ويمتد رصيف المصفاة ثلاثة كيلومترات داخل البحر لملء ناقلات النفط الضخمة بمعدل ثلاث حاملات يومياً.

"لم تكن البحرين في يوم ما عملاقاً لانتاج النفط بالنسبة الى جيرانها"، هذا ما قاله لي رئيس شركة بابكو السيد رسل ن. تراكويل. واضاف: "كانت ذروة انتاجنا ٧٦٠٠٠ برميل يومياً عام ١٩٧٠، اما معدل انتاجنا فثلثا ذلك الرقم. وان اي بئر في ايران او السعودية تنتج منفردة ما يوازي انتاج الـ٢٥٥ بئراً في البحرين. واليوم، فان ٨٠ في المئة من النفط الخام الذي يكرر في مصفاتنا يستورد من السعودية".

وقال لي السيد يوسف شيراوي، وزير التطوير والصناعة في البحرين "هنا، في الشق العربي من الخليج، كنا أول من انتج النفط، وسنكون اول بلد تتوقف فيه هذه الصناعة. ومنذ ١٢ عاماً بدأنا بالاعداد لذاك اليوم".

واكد الوزير ان التنويع هو الجواب. "فقد اكملنا معمل الالمنيوم عام ١٩٧١، وقبل ثلاث سنوات اتممنا بناء الحوض الجاف لناقلات النفط الضخمة. تلك المشاريع وتوابعها توفر خمسة آلاف وظيفة، اي لقرابة ٨ في المئة من عمال البحرين".

واضاف ان البحرين كانت دائماً الرائدة في الخدمات الصناعية الحيوية كالاعمال الهندسية والنقل والمواصلات والخدمات المصرفية التي تمتد الى السعودية ودول الخليج. "لقد اخذنا دور بيروت اكثر فأكثر في تلك الخدمات".

احد المشاريع التي يتابعها السيد شيراوي هو بناء طريق بري يصل البحرين بالسعودية. وفي هذا المجال عرضت السعودية مليار دولار تمويلا للمشروع الامر الذي يعتبر رمزاً

للروابط القديمة بين البلدين وحكامهما فضلا عن علاقات الاجداد الوثيقة وحضارتهم٠

منطقة حرة — إن اقامة المنطقة المصرفية الحرة كانت اكثر المشاريع نجاحا في خطة التنمية، اذ اخذت الرساميل تنهال على البحرين من مصارف لندن وبيروت٠ وصرح السيد نور الدين نور الدين، نائب رئيس بنك البحرين الوطني، ان اكثر من خمسين من مؤسسات التمويل العالمية افتتحت مكاتب لها في امارة البحرين منذ ١٩٧٥، وان مجموع موجوداتها يزيد على ٤٧ مليار دولار، مما يجعل البحرين تماثل سنغافورة في هذا المجال٠

ولاجل تفهم المنطقة المصرفية الحرة قمت بزيارة السيد الين مور، العقل المدبر للأمور المالية في البحرين والمستشار لمؤسسة النقد البحراني حتى كانون الاول ١٩٧٩٠

قال لي السيد مور: "ان المنطقة المصرفية الحرة تعني في الواقع ميناء حرة للتمويل بمبالغ كبيرة"٠

واضاف: "عندما ارتفعت اسعار النفط بعد حظر عام ١٩٧٣ تجمع

الكثير من الاموال الفائضة في بلدان الشرق الاوسط واصبحت المنطقة مركزاً للاعمال المصرفية حيث يستطيع العملاء التعامل بحرية تامة، سواء بالريال او الدينار او بالدولار والاسترليني. ان مركز البحرين الطبيعي يقربها من رجال المال والاعمال العرب، فهي في منتصف الطريق بين المراكز المالية الاوروبية والشرق الاقصى، وعندما نعمل من السابعة صباحاً الى السابعة مساء، نتمكن من التعامل مع المركزين. وبما ان الجزيرة كانت مدة طويلة مركزاً للادارة البريطانية في الخليج، فقد توافر في البحرين قطاع من الموظفين المثقفين وشبكة حديثة للاتصالات".

في تلك اللحظة رن جرس الهاتف.

"من؟ تماما".ثم اضاف السيد مور بلطف: "ان عرضه يبدو جيداً وسنأخذ ٣٠.٠٠ بنسبة الفائدة تلك". وعندها اقفل الخط.طبعاً، كان يتحدث عن ٣٠ مليوناً تم تبادلها خلال ثلاثين ثانية.

ثم التفت السيد مور الي وقال: "اين كنا؟ نعم. المواصلات. تقع البحرين على المركز الرئيسي للمواصلات الجوية. فالسفر من البحرين الى لندن او الشرق الاقصى يستغرق ٤ ساعات في طائرة الكونكورد اما الهاتف فلا مثيل له".

واضاف: "ان سياسة البحرين المصرفية الحرة هي عامل جذاب. فالرقابة بسيطة والضرائب معدومة".

المساهمات الدولية - احد العوامل المهمة في بناء الصناعات الثقيلة هو المساهمة الدولية في تلك المشاريع. فمعمل الالمنيوم تملك الدولة اربعة اخماس اسهمه، وشركة كايزر الامريكية ١٧ في المئة. وشركة المانية غربية ٥ في المئة. وقبل فترة وجيزة عرضت البحرين على السعودية تملك ٢٠ في المئة من مشروع توسيع معمل الالمنيوم، وتبلغ كلفة هذا التوسيع ٢٣٠ مليون دولار. اما المشروع الدولي الحديث الذي تبلغ كلفته ٣٤٠ مليون دولار فهو انشاء الاحواض البحرية العربية لبناء السفن واصلاحها، وهو اول مشروع من نوعه في البلاد العربية وقد ساهمت فيه العراق والكويت وليبيا وقطر والعربية السعودية والامارات العربية المتحدة.

في عام ١٩٧٤ باشرت شركة هولندية لتعميق المرافق البحرية وبنائها اقامة جزيرة مساحتها ٤٠ هكتاراً ثم وصلتها بميناء المحرق، الذي يبعد ٦ كيلومترات شمالا. وعندها باشر الفا عامل كوري جنوبي بناء الارصفة البحرية والاحواض الجافة وورش التصليح. وقد استغرق العمل في هذا المشروع ١٦ شهراً بدأت بعدها الشركة بتصليح أولى الناقلات البحرية الضخمة. فعجت الاحواض بالعمل. وخلال عام ونصف عام دخلت الاحواض ١٦٠ سفينة.

زرت المدير العام السيد انطونيو ماكادو لوبز في مكتبه الذي يطل على الحوض الجاف حيث كانت ناقلة نروجية ضخمة حمولتها ٣٠٠٠٠٠ طن تتمدد بين ايدي العمال لتحمية جوانبها ثم دهنها. وكانت سفن اخرى من اليونان وكوريا الجنوبية والعراق طافية بجانب الارصفة الاخرى. قال لي السيد لوبز: "ان البحرين هي المكان الطبيعي والمعقول لاعمالنا. ذلك ان خط سير

الناقلات العالمية يقع هنا في قلب الخليج. فاضافة الى الصيانة الروتينية يتولى تقنيو الحوض معالجة الصفائح الفولاذية والمواسير، كما يصلحون المحركات والاجهزة الالكترونية المختلفة ولدينا ١٣٠٠ عامل من ٤٠ جنسية متخصصون بكل اعمال الهندسة البحرية".

بعدها راقبت القاطرات البحرية وهي تجر ناقلة بحرية المانية ضخمة الى خارج الحوض بعدما تم دهنها. وشاهدت بحارة القاطرات وهم فيليبيون يعطون التعليمات بصوت عال بينما وقف عمال المطافىء يتكلمون العربية. ووقف مدير الاحواض السيد سانتوس كارمالو امام اللاسلكي يصدر تعليماته بالانكليزية او البرتغالية. وبعد برهة، انحرفت الناقلة "ليفيتيان" قليلا وصدمت حائط الحوض، فتناثر الاسمنت المسلح على جوانبها ولحق ضرر قليل دهانها الحديث. عندها سمعت بعض الكلمات "المختارة" باللغة الالمانية.

ليس مركز البحرين جديداً، بل يعود الى الفتوحات الاسلامية في القرن الميلادي السابع عندما كانت تحكمها دمشق وبغداد. بعدهما حكمها شيوخ عرب من مناطق مجاورة. اما البرتغال فحكمت البحرين من عام ١٥٢١ الى عام ١٦٠١. ومن عام ١٨٢٠ الى عام ١٩٧١ كانت البحرين محمية بريطانية. اما عائلة آل خليفة التي تحكم البحرين اليوم، فقد هاجرت من السعودية منذ مئتي سنة وحكمت الجزيرة ولم تزل.

الامير الحالي الشيخ عيسى بن خليفة استقبلني في مكتبه في القصر فترة وجيزة صرح بعدها "اننا نفخر بعلاقات الصداقة مع اوروبا والولايات المتحدة. ان الحوار بين الغرب والعالم العربي صار اليوم مهماً اكثر من ذي قبل. اننا امة صغيرة لكننا نتفاهم مع الفريقين".

ان اهمية البحرين تتعاظم وان هذا البلد سيستمر، بفضل الخبرات التي اكتسبها خلال مئات السنين، في القيام بدور مهم في الشرقين الادنى والاوسط.

■ توماس ج. ابركرومبي

طاقة جديدة

اذا استطاع العلم استخدام طاقة المحتجين على الطاقة النووية، فلن تعود هناك حاجة الى الطاقة النووية.

هـ.ب.

سمك في الهواء

وسط جسر "رويال غورج" في ولاية كولورادو الامريكية، وهو اطول جسر معلق في العالم، وضعت الملاحظة الآتية: "يمنع صيد السمك على هذا الجسر". بقي ان نعرف ان الجسر يرتفع ٣٢١ متراً!

ج.ل.

أرجوك... لا تؤذ طفلي

حرمان الام طفلها لم يأت بالسعادة الى العائلة المحرومة من مثله

يا له من هول لم يكن في وسع فرانسز لوفر ان تتصوره، فما كادت الام، ذات الاثنين والعشرين ربيعاً تضع طفلها الوحيد ذا الاحد عشر شهراً في مقعده في السيارة، وتجلس بدورها امام عجلة القيادة، حتى فتح باب السيارة فجأة وبعنف ولمس رجل جنبها بسكين، وقال آمراً "انتقلي الى المقعد المجاور" فأجابت في ذهول "لا" فدفع بسكينه قليلا الى أمام فلما احست بقطرات الدم قالت لاهثة "لا بأس"، لابأس". ودخل الرجل وقال: "اعطيني المفاتيح وابقي هادئة حتى لا يحدث شيء". فقفز قلبها من الرعب: من هو؟ وماذا يريد؟ وبينما كان يقود السيارة خارج مكان وقوف السيارات الخاص بالمتجر الكبير في موديستو (كاليفورنيا) كان عقلها يسجل اوصافه: رجل ممشوق القامة، في اوائل الثلاثين، ذو انف كبير وشعر بني على احمرار ووجه شاحب وعينين صغيرتين ولحية عمرها ايام عدة ويرتدي بنطلوناً ازرق ضيقاً (جينز) وكنزة داكنة ذات قبة ضيقة عالية.

وسألها "كم تحملين من النقود؟" فتفحصت حقيبتها وأجابت "٤٥ سنتاً". "احتفظي بها، فأنا في حاجة الى اكثر... اعطيني عنوانك".

وكتبت عنوانها بأصبع احمر الشفاه على ظهر قائمة مشترياتها. وبالقرب من مقهى على قارعة الطريق اوقف الرجل السيارة وامر فرانسز بالخروج منها. فلما مدت يديها لتأخذ طفلها تومي قال "لا". وانفجرت باكية: "ارجوك. انني اريد ان آخذ طفلي معي". "لا! سأترك كلمة في صندوق خطاباتك ترشك الى المكان الذي ستجدين فيه الطفل والسيارة. لا تبلغي الشرطة". فهتفت: "اتوسل اليك الا تؤذي طفلي". فأجاب: "لن أؤذيه". وداعب قدم "تومي" بتحبب وتودد. وخرجت فرانسز شبه مخدرة من السيارة، بينما اسرع المختطف بالسيارة مبتعداً، واندفعت الام الرشيقة السوداء الشعر داخل المقهى

اخبرت الساقي وهي تبكي ان احد الاشخاص خطف طفلها. وبينما كان الساقي يطلب مكتب كبير رجال الامن، رجت فرانسز عاملة المقهى ان تصلها بزوجها تلفونياً.

معلومات عقيمة — كان ذلك بعد ظهر يوم السبت في ٢٠ يناير ١٩٧٣. وبعد دقائق قليلة، كان رجال الامن يستجوبون فرانسز داخل المقهى.اما زوجها توم ذو الست والعشرين سنة وهو عامل في محطة خدمة للسيارات تابعة لشركة موبيل، فجلس بالقرب منها مصدوماً ومذهولا. انه لا يستطيع فهم ماحدث.

لماذا يريد اي شخص ان يسرق ابنه؟ انه لا يملك مالا ليدفع الفدية. وبعد ساعة عثر رجال الامن على سيارة لوفر فارغة بالقرب من مقهى آخر. ولم يكتشفوا فيها اي بصمات اصابع او اي علامات اخرى تدل على المختطف. وبدأ رجال الشرطة بتفحص رواية فرانسز نفسها، فأجمعوا على انها قالت الحقيقة، فعمموا على شرطة البلادصورة للطفل تومي واوصاف المختطف وتحذيراالى الجمهور. وطوالالاسبوع الاول تلقت دوائر الامن اكثر من ٥٠٠ اشارة بالبريد والتلفون والبرق ومع ذلك لم تصل اي كلمة من المختطف نفسه.

وانقضت ثلاثة اسابيع. وعندما تم فحص العدد الهائل من البلاغات والمعلومات ووجد انها عديمة القيمة انتدب رجل الشرطة السري وسلي ويليامز من ادارة مكتب الامن لدرس القضية والوصول الى حل لها مهما استغرق ذلك من وقت. ويتميز ويليامز بأنه رجل ضخم، متين البنية، ذكي، صبور، ذو ارادة. وكان يزور فرانسز مرات عدة في الاسبوع ويعرض عليها اكداساً من الصور المحفوظة في ملفات الشرطة كما عرض رجال مكتب التحقيقات الفديرالي صوراً اخرى، ولكن من دون جدوى.

وتابع ويليامز بعناده كل اخبارية. فقد ابلغ احد الاشخاص انه واثق تماماً من انه رأى الطفل في سيارة بليموث رمادية. وعلى الفور، فحص ويليامز كل السيارات البليموث الرمادية في ثلاث مقاطعات، ولكن عبثاً. وسئلت وكالات التبني كلها، وارسلت الشرطة تقارير وصوراً عن الاطفال الذين تخلى عنهم ذووهم من لويزيانا وجورجيا وايلينوي واوهايووالبرتا وكندا.

وفي صباح باكر، تلقى رجلالشرطة السري مكالمة تلفونية عن ارض محفورة حديثاً في شكل يشبه قبراً صغيراً. وفي الحال ارتدى ملابسه واخذ معه جاروفاً وذهبالى المكان، واخرج من الارض صندوق احذية يحوى سنجاباً ميتاً وزهرةمن البلاستيك. وفي خلال بحثه، وجد ويليامز طفلا كان تم شراؤه بمبلغ ٢٥٠ دولاراً امريكيا في المكسيك، وآخر، يبدو انه لقيط في رعاية احد عمال المهرجانات. كل هؤلاء وجدهم ما عدا تومي. وعند حلول الصيف اخذ عدد البلاغات الاسبوعية يتضاءل وكان ويليامز يدرك، والالم يحز نفسه، انه لم يحقق شيئاً.

وقال لزوجته: "لا بد ان هناك زوجاً وزوجة في مكان ما يرعيان طفلا لا يمت اليهما بصلة.وهناك من يعرف ذلك. ولكن كيف لي ان اجدهما؟"

غرفة الانتظار – وفي الوقت نفسه تقريباً وعلى بعد ستة كيلومترات ونصف كيلومتر من منزل اسرة لوفر، كتبت مارجوري كوفي (٣٠ سنة) خطاباً الى مارجريت رينز (كانت جارتها يوماً) التي تعيش في تكساس واخبرتها بانها هي وزوجها بوب الميكانيكي قد تبنيا صبياً صغيراً. وكانت السيدة رينز تعرف ان لصديقتها بنتين من زواج سابق ثم اجريت لها عملية استئصال للرحم. فلما كتبت اليها تسأل عن تفاصيل التبني اجابت السيدة كوفي باقتضاب انه صبي واسمه شون .

وفي سبتمبر (ايلول) انتقلت عائلة رينز الى موديستو من جديد وسكنت بيتاً قريباً من منزل آل كوفي. ولما استفسرت السيدة رينز عن التبني رفض الآخرون قول شيء. فاستنتجت ان الطفل لا بد ان يكون قد ولد لاحد اصدقاء السيدة كوفي ولم يكن راغباً في ولادته. ولم تر الطفل اطلاقاً في صحبة احد يتنزه في الطريق ماشياً ولا في غرفة اطفال. وعندما كانت تزور عائلة كوفي كان الطفل دائماً وحيداً في حجرة مغلقة، وان يكن قد سمح لها برؤيته. ومع هذا، كان التبني ومعاملة الزوجين للطفل يحيران رينز.

والآن صار المخبر ويليامز اكثر ارتباكاً وحيرة، وبدأ يشك في قدراته الشخصية كمخبر ومحقق. فهو ناقش كل وجوه القضية مع زملائه المخبرين، وسأل فرانسز مراراً وتكراراً عن كل جزيئة. وتعاون بحمية ونشاط خلال العام الماضي، مع مخبري الصحافة والاذاعة والتلفزيون في شأن قصص الاختطاف. وكان كلما ذكر الجريمة يحصل على معلومات وبلاغات جديدة، ومع ذلك توقف الاعلان بالفعل، فليس هناك ما يبلغونه اياه.

اما فرانسز فلم تفقد الامل. "ان الموضوع في سبيله لأن يأخذ مساراً واحداً. قد يحدث ذلك غداً وقد يحدث بعد شهر". هكذا قالت فرانسز لويليامز في احدى زياراته لها. وعند خروجه القى نظرة على غرفة الطفل فوجد السرير معداً واللعب مصفوفة كما لو كانت عودة تومي منتظرة خلال ساعة.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ تحدث ويليامز الى مخبر صحافي في "مجلة موديستو" يدعى ستيف رينجهوف واقترح عليه ان يكتب مقالا في الذكرى الاولى لحادث الاختطاف، اذ كان يعرف من خبرته ان اجهزة الاعلام ستلتقط القصة فتكسب القضية بذلك اهمية على المستوى الوطني، فضلا عن اهميتها على المستوى المحلي. وهناك احتمال طبيعي بأن تثير القصة اهتمام احد القراء في مكان ما، وما يتبع ذلك من امكان وصول بلاغ او معلومة تؤدي الى معرفة مكان تومي لوفر.

"الطفل مسروق": في مساء ١٩ يناير (كانون الثاني) كانت كوفي تزور السيدة رينز. وبعد حديث عابر، سألت السيدة كوفي مضيفتها "هل تعرفين كيف احصل على شهادة ميلاد لشون؟" ودهشت السيدة رينز وقالت: "الم يعطوك واحدة عندما تبنيته؟" فاعترى التردد السيدة كوفي ونظرت الى جارتها ثم قالت: "لا تخبري احداً حتى زوجك. ان الطفل مسروق".

ولم تصدق السيدة رينز هذا

التصريح المباشر، لان صديقتها غالباً ما كانت تنسج الاوهام حول ماضيها مثل عملها في مرقص او كباريه او كوكيلة سرية في تجارة المخدرات، او غنائها في فرقةموسيقية وطنية معروفة في انحاء البلاد. ولكن بعد ايام قرأت السيدة رينز مقال رينجهوف عن الاختطاف في "مجلة موديستو"، وكانت سمعت بالجريمة من قبل. ولكن صورة تومي لوفر استوقفتها. لقد كان يشبه شون كوفي.

وانزعجت السيدة رينز. هل كان شون كوفي في الحقيقة تومي لوفر؟ هل هي مضطرة الى ابلاغ رجل الشرطة السري ويليامز المذكور في المقال؟

ولكن فلنفرض ان شون كوفي ليس تومي لوفر وان يكن آل كوفي تبنوه بطريقة غير قانونية؟ وماذا عن آل لوفر ومعاناتهم؟ واصابها الارق وباتت شاردة الفكر في عملها. وعندما انتقد مديرها عملها باحت له بالسر. وكان ردّ فعله مباشراً اذ قال "اطلبي المسؤول عن الامن. فأنت أم. بماذا كنت تحسين لو اختطف طفلك انت؟"

وهكذا كان فاتصلت السيدةرينز بويليامز. وفي اول الامر لم تثر المعلومات اهتمام رجل الشرطة فقد كان صوت المرأة ينم عن ترددها وعدم ثقتها بنفسها. ولكن موقفه تحوّل بعنف، عندما اتت على ذكر سؤال السيدة كوفي في شأن شهادة الميلاد المزيفة. وفي الحال اتصل هاتفياً وهو منفعل، بالمندوب المحلي لمكتب التحقيقات الفديرالي وذهب الاثنان لزيارة منزل كوفي.

الانكار الفاضح - انكرت السيدة كوفي أن يكون لها طفل، وقالت انها كانت ترعى ابن اخت زوجها. ولكن الام اخذت طفلها منذ ثلاثة اشهر. وخرج الضابطان ليقارنا انطباعاتهما، فاتفقا على ان المرأة كانت تكذب، واتصلا هاتفياً بالسيدة رينز، وكانت المكالمة تأكيداً على كذب السيدةكوفي، اذ اصرت الاولى على انها رأت الطفل منذ اسبوعين.

لم يكن هناك وقت للحصول على اذن بالتفتيش، فقد انذر آل كوفي. فلو كان الطفل هو تومي فسيحاولون الهرب واخفاء "دليل" الاختطاف او التخلص منه، وهذا هو الاشنع.

وبينما ذهب وكيل مكتب التحقيقات الفديرالي ليجد كوفي، عاد ويليامز واحد زملائه ويدعى الجاويش تشارلز كيرتس الى منزل كوفي. وهناك سألتهم السيدة كوفي اذا كانوا يحملون اذناً بالتفتيش، فرد عليها ويليامز: " اذا لم يكن لديك طفل فلماذا تعارضين التفتيش؟"

وبعد لحظات طويلة منالصمت قالت السيدة كوفي ان لديها طفلا في المنزل. ووافقت على احضاره. وفي غيابها القصير فتح الجاويش كيرتس باب خزانة صغيرة فوجد داخلها السيد كوفي الذي خرج من دون ان ينبس بكلمة.

احضرت السيدة كوفي طفلا فأحاط الضباط به وبكوفي وقادوهما الى مقر القيادة. وهناك اخذ خبير البصمات الجاويش روجر لوشري بصمات قدمي الطفل وخرج من الغرفة ليقابلها ببصمات تومي لوفر التي اخذت له في المستشفى.

وانتظر ويليامز والعرق يتصبب منه وعاد خبير البصمات وقال: "لقد خططت خمس عشرة نقطة لمقابلتها (في انظمة مكتب التحقيقات الفديرالي تمثل ١٢ نقطة مقابلة نتيجة ايجابية).

"انه الطفل. لا شك في ذلك".

واخذت ويليامز رجفة.

هدية ثانية — استدعي كل من فرانسز وتوم الى مكتب المسؤول عن الامن من دون اعطائهما اي تفسير. وافترض توم اسوأ الافتراضات: ان يطلب اليه التعرف الى بقايا ابنه. وكان يفكر في ما يمكنه ان يفعل لمساعدة زوجته على تحمل الصدمة. وما ان وصلا حتى حياهما ويليامز بابتسامة عريضة وقال: "اعتقد اننا وجدنا تومي" فأجاب: "لن اصبح متأكداً حتى تكونا انتما متأكدين".

وحمل تومي الى الغرفة فحملقت فرانسز واتسعت عيناها وابيض وجهها، فقال ويليامز "حسناً خذيه يا فرانسز".

ومدت يديها نحو تومي فبدأ الطفل بالبكاء فقالت وهي تنشج" هذا صوت بكائه وصراخه. هذا هو طفلي". وفجأة تعانقت الام وابنها، واختلطت دموعهما عندما قبلت فرانسز جبهته وخديه. وبكى جميع من في الحجرة.

واحس ويليامز بـ"الادرينالين" ينساب من جسمه... وفي اليوم التالي، اخرجت فرانسز المتهم كوفي من بين عرض للمشتبه بهم، فاعترف بالاختطاف، وقال ان حالة زوجته المعنوية كانت في الحضيض لانها لا تستطيع ان تنجب ثانية وانه سرق تومي انقاذاً لزواجه. وقد اكد ان زوجته لا تعلم شيئاً عن حادث الاختطاف كما ان السيدة كوفي نفت معرفتها، ولكن شهادة السيدة رينز بعد اداء اليمين امام هيئة المحلفين الكبرى كذبت هذا التصريح. وقد حكم على السيدة كوفي بالسجن مدة خمسةوعشرين عاماً وعلى زوجته من سنة الى خمس سنوات. وكان تومي في حال لا بأس بها. كانت هناك كدمات على صدره وذراعيه. ودلت الكدمات حول رسغي القدمين وسوء الدورة الدموية فيهما على انهتعرض للقيود. واتضح ان نموه الجسدي والعقلي قد عوق في الفترة التي قضاها مع آل كوفي وهي سنة وستة عشر يوماً.

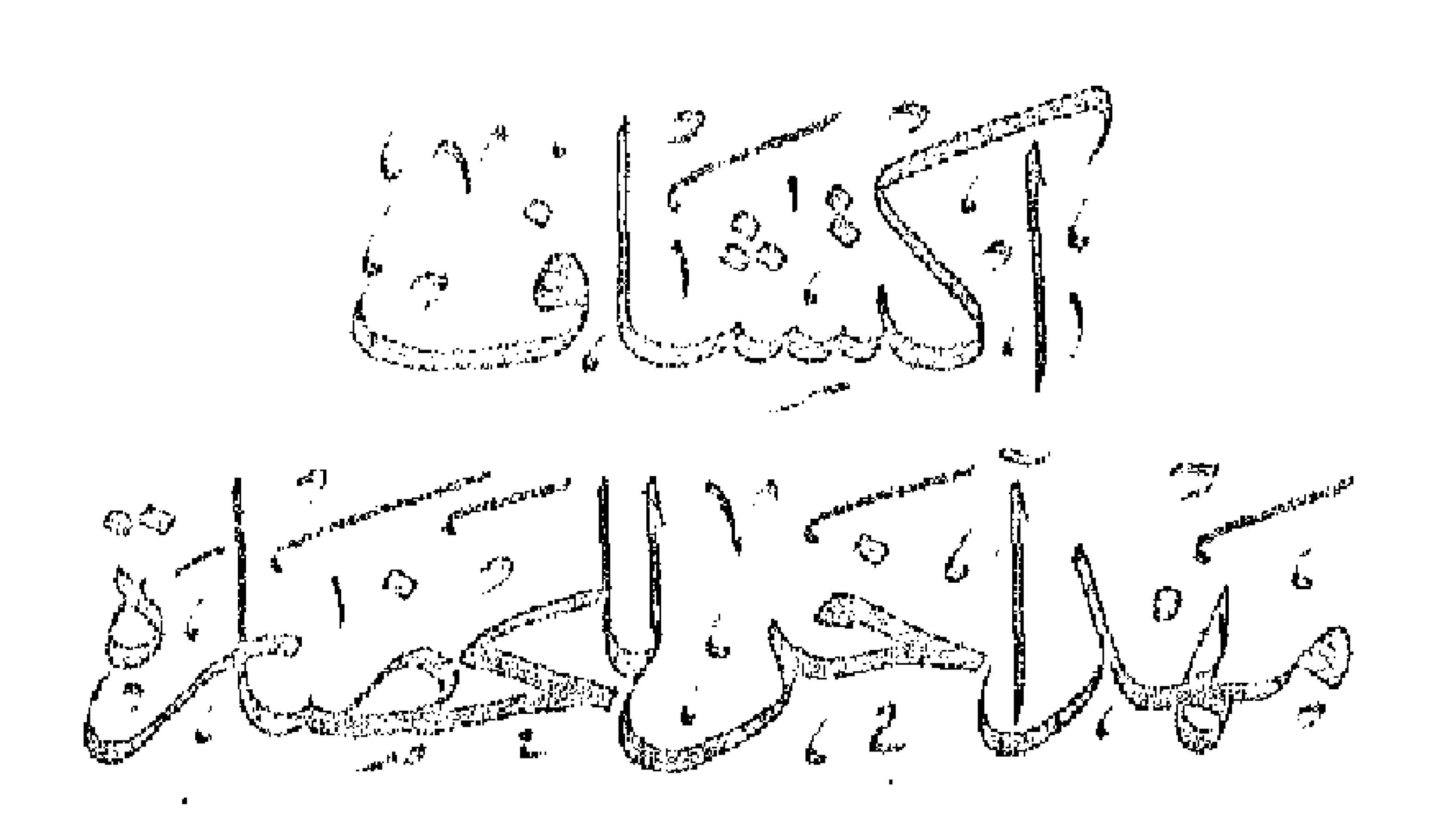
قالت لي فرانسز: "ولكنه الان في خير". واضافت: "انني اعرف ان اي طفل هو هدية من عند الله. ولقد اعطاني الله الهدية نفسها مرتين".

■ جوزف ب. بلانك

تلك مشكلتهم

حين كنت موظفاً في معرض موسمي محلي قبل بضع سنوات، شاهدت امرأة معها اطفالها الثمانية. فسألتها: "الا تخشين اضاعة اطفالك وسط الزحام؟" فاجابت بخفة ان ذلك لا يسبب لها اي مشكلة: "لا اعطي احدهم من المال الا ما يحتاج اليه لدى سؤاله. فاذا اراد شيئاً آخر، طلب المال مرة اخرى. وهذا يعني ان عليه هو الا يضيعني".

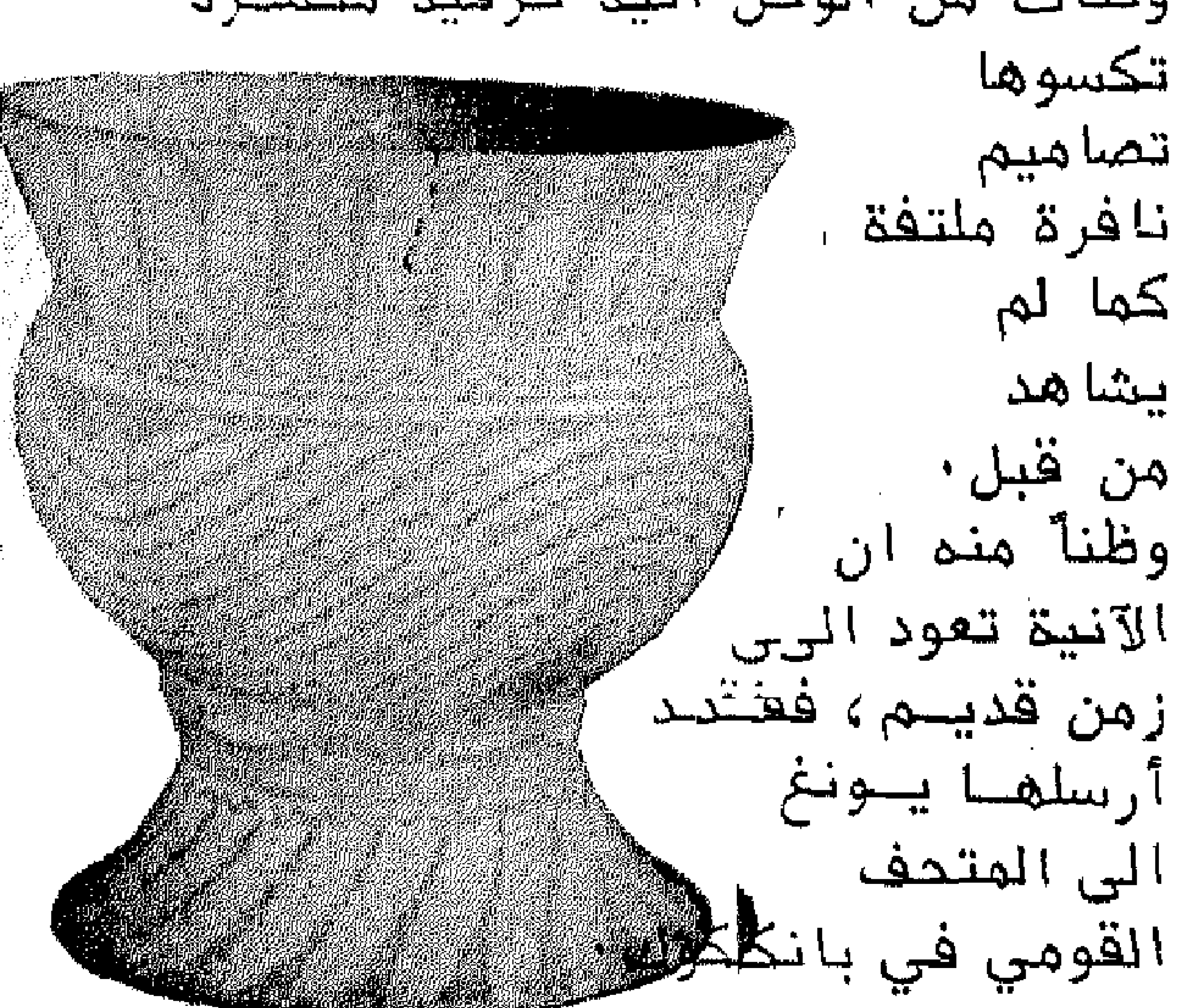
ج. د. ب.



بينت المكتشفات التي استخرجت من جوف الأرض في تايلاند أن جنوب شرق آسيا من مواطن الحضارة الانسانية الاولى

كان رجلا طويلا مضطجعاً على جنبه في وضع ملتو، وركبتاه مشدودتان الى ذقنه· ولكن لا أحد يعلم من كان ذلك الرجل ولا كيف مات قبل خمسة آلاف سنة أو أكثر· الا ان اكتشافه قد يؤدي الى تعديل مفاهيمنا الخاصة بالمكان والزمان اللذين نشأت فيهما الحضارة· فقد دُفن الى جانبه رمح برونزي مجوّف صُنع باتقان، وهو أقدم برونز من نوعه تم استخراجه من باطن الأرض، إذ يسبق تاريخ صناعة البرونز المتعارف عليه بـ ٥٠٠ سنة· وهو وُجد في مكان مستبعد بالنسبة الى كتب التاريخ، وذلك في قرية تقع شمال شرق تايلاند في الشرق الأقصى·

بدأت القصة عام ١٩٦٦ فيما كان الطالب الجامعي الامريكي ستيفن يونغ يسير على طريق جرفتها السيول خارج قرية بان شيانغ الزراعية· ونتأت من الوحل آنية خزفية مكسّرة تكسوها تصاميم نافرة ملتفة، كما لم يشاهد من قبل· وظناً منه ان الآنية تعود الى زمن قديم، فقد أرسلها يونغ الى المتحف القومي في بانكوك



آنية من عصر الحديد في بان شيانغ·

وبعد سنتين أُرسلت ثلاث من تلك الكِسَر الأثرية الى متحف جامعة بنسلفانيا الامريكية لتعيين زمنها بطريقة الاشعاع الحراري التي تقوم على قياس العناصر الاشعاعية المترسبة في الأجزاء المحماة من الطين. وبيّن الفحص أن ذلك الوعاء صُنع قرابة العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد.

ويتذكر فرويليك ريني، مدير المتحف آنذاك، أن ذلك بدا قديماً الى حد لا يصدّق. وزاد ذهوله وجود الخزف والبرونز جنباً الى جنب.

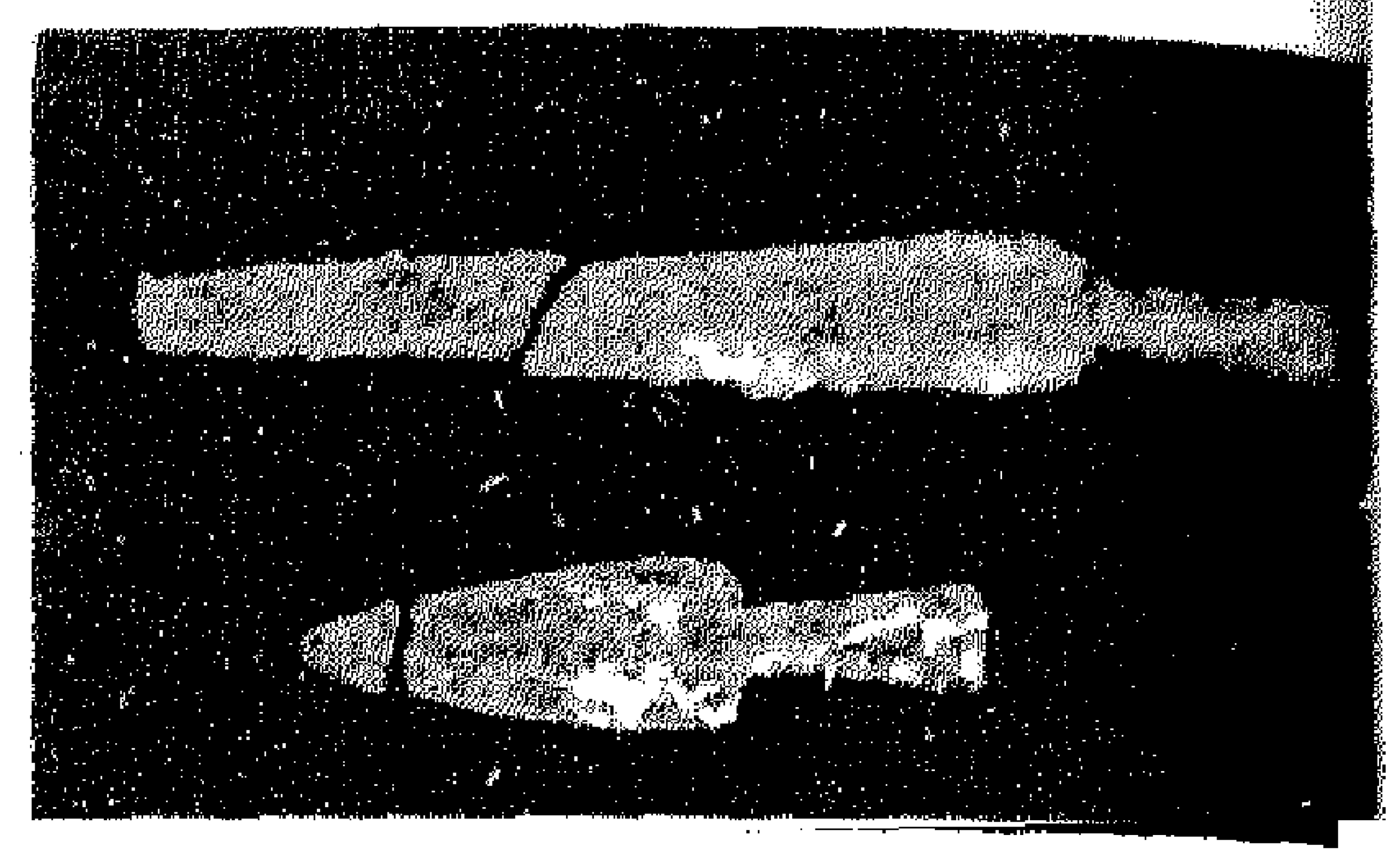
الفرضية الصاعقة – لقد اعتقد علماء الآثار، منذ ثلاثينات هذا القرن، أن حوض دجلة والفرات في بلاد ما بين النهرين القديمة (العراق حالياً) كان "مهد الحضارة". فهوشهد أول تجمّع سكاني ريفي في حدود الألف الثامن قبل الميلاد، حيث انصرف الناس الى زراعة الحبوب البرية وتدجين الحيوانات. وفي الألف السادس قبل الميلاد توصلوا الى صنع أشياء بدائية من النحاس المطرّق. ومع حلول الألف الثالث قبل الميلاد توصلوا الى صَهْر النحاس والتنك للحصول على سلَع معدنية قوية وأسلحة. وبذلك بدأ "العصر البرونزي". وليس معروفاً من أين حصلوا على التنك الذييكاد يكون منعدماً في المنطقة.

وتقول كتب التاريخ ان الحضارة انتشرت من قلب الشرق الاوسط الى مصر جنوباً وكريت وطروادة غرباً وآسيا شرقاً. كما تقول ان الزراعة وتدجين الحيوانات ظهرا في الصين عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وفي الهند عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد. وبعد ذلك بألف سنة أُدخل البرونز الى الهند والصين. أما منطقة جنوب شرق آسيا فكانت في حال ركود.

لذلك وقعت أنباء اكتشاف الخزف والبرونز في تايلاند على المعنيين بالآثار وقع الصاعقة. وزاد حدة الاضطراب مقالات أخذت تظهر في المجلات العلمية، وهي تصف عمليات التنقيب التي جرت عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ وعام ١٩٦٨ واشتركت فيها وزارة الفنون الجميلة في تايلاند وجامعة هاواي.

وفي مدافن نون – نوك – ثا بالقرب من بان شيانغ، وجد فيلهلم سولهيم من جامعة هاواي وزميلاه دونالد بايارد وهاملتون باركر من جامعة اوتاغو في نيوزيلندا فأساً مسبوكة من البرونز، بيّن الاختبار الاشعاعي أنها سبقت مثيلاتها من منطقة الشرق الاوسط. وفي "كهف الروح" الواقع شمال غرب تايلاند وجد طالب الدراسات العليا تشستر نورمان، في طبقة من الأرض تعود الى الألف العاشر قبل الميلاد، بقايا نباتية متفحمة، مما يشير الى أن سكان تلك المنطقة ربما سبقوا في الزراعة أهل ما بين النهرين بألفي سنة. كما عثر نورمان على كسر خزفية تعود الى العام ٦٨٠٠ قبل الميلاد، مما يعني ان سكان تايلاند القديمة سبقوا سكان ما بين النهرين في هذا الفن أيضاً. وبناء على هذه المكتشفات، وضع سولهيم فرضية قوامها أن جنوب شرق آسيا، وليس الشرق الاوسط، قد يكون شهد مولد الحضارة.

موقع الأحلام – من أجل الحصول على أدلة أفضل، سُمح لعلماء الآثار التايلانديين بالتنقيب في بان شيانغ



نصلا رمح، واحد من برونز وحديد (فوق) وواحد من نحاس.

عام ١٩٧٢. وبعد سنة وجّهت وزارة الفنون الجميلة التايلاندية دعوة الى فروبليك ريني لزيارة الموقع وفحص الآثار المكتشفة؛ وهناك ذهل ريني بما رآه. فقد كانت القرية المرتفعة على ركائز تقوم على رابية صنعتها الأيدي بارتفاع خمسة أمتار ومساحة كيلومتر ونصف كيلومتر مربع. وقد شيدها خلال آلاف السنين القوم الذين عاشوا عليها ودفنوا موتاهم فيها، وفي جزء صغير من تلك الهضبة، عثر علماء الآثار على عدد هائل من السلع المصنوعة من البرونز الفاخر والحديد والخزف، اضافة الى بقايا نباتية وعظام حيوانية مكدّسة بعناية تدل على تقدمة الحيوانات كجزء من مراسم الدفن. كما عثروا على هياكل عظمية بشرية بالغة الحجم. الا ان عدداً كبيراً من آثار المنطقة كان يتعرض للنهب. وكان على المعنيين العمل بسرعة قبل ان تقضي معاول الناهبين على آثار بان شيانغ وتخلطها بعضها ببعض. وجنّدت لذلك العمل جهود علمية متعددة الجنسية.

وفي العام ١٩٧٤ بدأت في بان شيانغ حملة تنقيب واسعة النطاق، بمشاركة غورمان الذي انضم الى متحف جامعة بنسلفانيا وبيسيت تشاروينوونغسا، أمين المتحف القومي في بانكوك. ويقول غورمان: "كان ذلك الموقع بمثابة الأرض التي يحلم بها علماء الآثار ولا يجدونها الا نادراً". وخلال فصلي عمل، كشف المنقبون عن سبع طبقات تنتمي الى مراحل حضارية مختلفة تمتد عبر ٥٠٠٠ سنة، ولكل منها مصنوعاته المميزة. واستخرجوا ١٨ طناً من السلَع و١٢٦ جثة بشرية كاملة وجدوها في طبقات عدة من الأرض. ووجدوا في احد المدافن هيكلا عظمياً عمره ٤٠٠٠ سنة لرجل طويل على نحو غير عادي حول عنقه عقد من مخالب نمر، وقد دُفنت الى جانبه قرون وعول وأسلحة صيد. وكانت أهم المكتشفات تلك المقبرة التي ذُكرت في بداية المقال ووجد فيها النصل البرونزي.

كما أسفر التنقيب عن استخراج ٤٠٠ وعاء خزفي متعددة الأشكال. وبينها الأوعية السود القديمة التي نُقشت عليها أشكال هندسية، والآنية الصفراء البرتقالية التي تعود الى المرحلة المتوسطة، والجرار القوية الصقيلة التي وُجدت في الطبقات العليا؛ ووُجدت كذلك مجموعة خرز مصنوعة من الحجر والعاج والزجاج وتلال من الخردق التي يُظَنّ أن السكان كانوا يستعملونه في قسيّهم لصيد الطيور كما لا يزال التايلانديون المعاصرون يفعلون.

واستُخرج البرونز من جميع الطبقات باستثناء الطبقة الدنيا، وقد صُنعت منه الفؤوس وأسلحة الصيد والأجراس وأدوات الزينة. ووُجدت

مع أحد الهياكل العظمية خمسة خواتم في اصبع واحدة. وكانت الأساور تطوّق يد هيكل عظمي آخر من المعصم حتى الذراع. وفي الطبقة التي تعود الى ما يراوح بين ١٦٠٠و١٠٠٠) سنة قبل الميلاد، عثر المنقبون على مواد مصنوعة من الحديد معاصرة للمواد الحديد الحثية التي اكتشفت في منطقة الشرق الأوسط والتي كان يُظنّ أنها الأقدم من نوعها.

ما قبل التاريخ – وبعد تركيبهم القطع التي استخرجت من بان شيانغ والمواقع الاخرى، وضع علماء الآثار مسودة نظرية لمرحلة ما قبل التاريخ الجلي في تايلاند. وجاء في نظريتهم ان من أقدم سكان المنطقة اولئك الذين وصلوا الى "كهف الروح" في حدود العام ١٥٠٠٠ قبل الميلاد من مكان غير محدد. وهم امتازوا بعضلاتهم وبطولهم الذي بلغ معدّله ١٧٣ سنتيمتراً للرجال و١٦٣ سنتيمتراً للنساء، وكذلك بعظمهم الثقيل ووجوههم العريضة وقمة جباههم النافرة. ولم يكن هناك من شبه جسدي كبير بينهم وبين سكان جنوب شرق آسيا الحاليين.

وكان سكان الكهف الأوائل صيادي حيوانات وأسماك، يعيشون في مرحلة متقدمة من حضارة العصر الحجري. غير أنهم حققوا تقدماً ملحوظاً. وفي الألف السابع قبل الميلاد كانوا يستعملون أدوات حجرية صقيلة مزودة بشفرات مستطيلة لحفر الخشب، وكذلك مناجل صخرية تشبه تلك التي لا تزال تستعمل لحصاد المحاصيل في بعض أجزاء اندونيسيا.

لكن "كهف الروح" هُجر في حدود العام ٥٥٠٠ قبل الميلاد. ومرت ألف سنة لم يُعْرَف شيء عن تاريخها وظهرت معالم بان شيانغ مرة اخرى: وأُعيدت الى حدود ٣٦٠٠ قبل الميلاد. وكان السكان قد حققوا تقدما جباراً، فاستقروا في القرى حيث اعتنوا بالحيوانات وزرعوا الرز وغزلوا الخيوط ونسجوا الأقمشة، وكانوا يلبسون المجوهرات البرونزية وثياب الحرير "المطبوع" بالرسوم. والحق انهم تعلموا استعمال المعادن قبل تلك الفترة بوقت طويل، لان البرونز الذي وُجد في الطبقات العليا كان مصهوراً بنسب تضمن بقاءه أطول مدة ممكنة. فقد استُعملت تسعة مقادير



بعض المكتشف في بان شيانغ، من اليسار: قرن وعلء انياب نمر، نصل رمح، ابرة خياطة.

من النحاس لمقدار واحد من التنك، علماً أن صنّاع منطقة الشرق الأوسط صرفوا ٣٠٠٠ سنة من الخبرة قبل التوصّل الى ذلك. وبدل وجود الصدف البحري على أن سكان بان شيانغ كانوا يتاجرون مع السكان الآخرين على امتداد الساحل.

وعلى رغم تلك الكماليات المادية، فان أسباب حياتهم كانت شاقة. فقد أظهر تحليل الهياكل العظمية ان

أصحابها كانوا يعانون فقر الدم والملاريا والسل . وكان معدّل وفيات الرضّع والاطفال مرتفعاً، كما كانت السن الثلاثون معدل الوفاة العامة. وكان دفن الموتى يتم في احتفال كبير، وتوضَع الى جانبهم وفرة من الأشياء لتكون زاداً لرحلتهم عبر العالم الآخر، وبينها المجوهرات والثياب والجرار والطعام.

وفي فترة من الألف الثاني قبل الميلاد، شهد الوضع الاقتصادي في بان شيانغ تقدماً ملحوظاً حين بدأ المواطنون يزرعون الرز في حقول ترويها الفيضانات. وقد مكنهم هذا الوضع من جني المحاصيل طوال السنة عوضاً عن مرة او اثنتين في العام. وهناك أدلة على ارتفاع مفاجىء في عدد الجواميس المائية التي يبدو أنهم استخدموها لجر المحاريث الفلاحية.

وخلال أربعة آلاف سنة، وهي مدة بقائهم، عاش سكان بان شيانغ حياة ازدهار وأمان واستقرار. ولم يظهر اي أثر يدل على ان حضارتهم، في أي من مراحلها، نغصها حريق هائل أو ثورة عنيفة. وتبين من تحليل الهياكل العظمية الـ١٢٦ التي وُجدت ان أحداً من أصحابها لم يمت ميتة عنف. كذلك لم تُستَخرَج أسلحة حربية. الا ان بان شيانغ خلت من سكانها الأقدمين في حدود العام ٢٥٠ قبل الميلاد.

ويُجمل غورمان المسألة بالآتي: "لقد كانت حياتهم متطورة ونابضة بالنشاط. ويبدو ان أي حضارة اخرى معاصرة لم تكن تضاهيها في مجال التعدين".

بحثاً عن الماضي ـ ان هذه النظريات المتعلقة بحضارة ما قبل التاريخ في تايلاند لم تلقَ البرهان القاطع بعد. فالمؤرخون وعلماء الآثار التقليديون يطرحون السؤال الآتي: اذا صح ان الشعب التايلاندي القديم كان على تلك الدرجة من التقدم، فلماذا لم يخلف مدناً ولغة مكتوبة؟ ألا يجوز ان تكون صناعة التعدين نُقلت اليه على أيدي تجار من الشرق الأوسط؟

ربما كانت المناقشة القائمة على أي الشعوب كان الأسبق الى ابتكار الحضارة غير ملائمة. وثمة بين المعنيين بحضارات ما قبل التاريخ من تخلى عن الاعتقاد الذي ساد طويلا والقائل بان الحضارة وُلدت في منطقة معيَّنة وانتشرت منها الى بقية المناطق، ليتبنى نظرية تقول بأصول مختلفة ومستقلة للحضارة. فليس من المعقول، في نظرهم، ان تكون زراعة القمح والشعير في وادي ما بين النهرين والرز في تايلاند (والذرة في وادي المكسيك بعد ألفي سنة) انتشرت من أحد تلك الأمكنة الى الآخر، لأن الحبوب مختلفة. وهناك علماء آثار، بينهم غورمان، يقولون ان تعدين البرونز نشأ مستقلا في كل من الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا والبيرو.

والواقع ان الاكتشافات الجديدة ووسائل تحديد الزمن المتطورة لا تزال تقلب التواريخ الأثرية التقليدية في أماكن كثيرة اخرى في العالم. فقد عُرِف اليوم أن المدافن الحجرية الضخمة في اوروبا الغربية التي كان يُظَن انها تقليد غير ناجح للأهرام المصرية، هي أقدم من الأهرام بألفي

سنة. كما ان سكان رومانيا الأقدمين ربما ابتكروا لغة مكتوبة قبل سكان ما بين النهرين. ومن المحتمل ان أول ناس دخلوا امريكا فعلوا ذلك قبل ٤٠ الف سنة وما يزيد، وليس قبل ١٢ ألف سنة فقط كما كان شائعاً لمدة طويلة.

وجدير بالذكر ان جنوب شرق آسيا هو من مناطق قليلة في العالم تقدم الى علم الآثار أرضاً خصبة بالوعود والمفاجآت. ولا تزال هناك طبقات كثيرة في باطن الأرض قد يتبين أنها كانت مدناً في عصور ما قبل التاريخ. وفي شمال شرق تايلاند تقوم أكثر من ٣٠٠ هضبة كتلك التي في بان شيانغ - فضلا عن هضبات كثيرة اخرى قد يتم اكتشافها - يرجّح انها تنطوي على غنى حضاري هائل سيحدث ثورة في معرفتنا المتعلقة بماضي الجنس البشري.

■ رونالد شيلر

قالت طالبة جامعية ستتخرج قريباً انها اوقفت البحث عن هويتها لتبدأ البحث عن وظيفة.

و.ت.

تعريفات ساخرة

الاقتصادي: شخص يحاول أن يعرف غداً لماذا لم تحصل اليوم الامور التي توقعها امس.

ك.ك.

عالم البيئة: صوت صارخ في البرية.

و.م.

التقاعد: عندما يكون العيش سهلا وقبض الرواتب صعباً.

ا.ك.ك.

لا تكرهوا شيئاً

عاجلا او آجلا، يصبح كل شيء مضحكاً او منسياً.
في أحد الايام رافقت امرأة زوجها الى لقاء لخريجي الجامعة التي درس فيها. وفيما كان يقود سيارته المكشوفة في ذلك الجو الحار، سقطت حشرة تحت عنق زوجته ولسعتها لسعة اليمة جداً مخلفة تورماً ظاهراً.
واستغرق اللقاء طوال عطلة نهاية الاسبوع. وكان المجتمعون، كلما دخلت عليهم، يسمعونها تعليقات لاذعة حول "صدرها الثالث".
غير ان الزمن هو الطبيب الاكبر حقاً. فقد اقنع الرجل زوجته بمرافقته، بعد خمس سنوات، الى لقاء آخر لخريجي جامعته. وهناك وجدت ان الجميع كانوا يتذكرونها، أما زوجها فلم يتذكره احد.

ا.ج.ب.



الضحك خيرُ دَواء

حلاق ليلي

عندما كنت أدخل غرفة النوم في ساعة متقدمة من الليل، رأيت اخي الاصغر، الذي كان في أول عهده بحلاقة ذقنه، يحلق أمام المغسلة. وسألته عن الدافع الى الحلاقة في تلك الساعة من الليل، فأجاب: "يجب ان يجف الدم على وجهي قبل حلول الصباح".

ج.ب.

حمية على الذكاء

كانت امرأة تشتري قالب حلوى من مخبز، فسألتها البائعة: "هل أجعله ست قطع أم ثماني؟"

فأجابت الزبونة: "اجعليه ست قطع، اذ اني اتبع نظام حمية".

صحيفة "اكسبرس ديلي نيوز"، هونغ كونغ

اصنع جميلا...

في احد ايام الشتاء الباردة، وقع رجل على الرصيف وتبعثرت الاكياس الكثيرة التي كان يحملها وسقطت نظارتاه. وركضت لاساعده فيما وقف هو على رجليه بعد جهد من غير ان يصاب بأذى، غير أني تعثرت ووقعتُ على نظارتيه فكسرتا.

وقدمت اليه اعتذاري، متعهدة ان اعطيه ثمن النظارتين، واستأنفتُ جمع الاكياس الباقية على رغم اصراره على عدم حاجته الى مساعدة. وكدت ان اسقط مرة اخرى، لكني حافظت على توازني فيما استقرت رجلي على مجموعة اسطوانات موسيقية. وبذل المسكين أقصى جهده للحفاظ على هدوء اعصابه، ثم خاطبني بنبرة مكبوتة: "هلا فكرت يا آنسة في أن تصبحي فاترة الشعور تجاه الآخرين؟"

ك.ا.ل.

بذلة مثل العالم!

راح رجل يحتج الى خائطه على تأخره في انجاز بذلة جديدة: "ستة اسابيع؟ لماذا؟ العالم كله خلق في ستة أيام".

فأجاب الخائط مدافعاً: "أعرف هذا. ولكن انظر الى العالم كيف هو!".

صحيفة "الفايننشال تايمس"، لندن

تعانقوا وتلامسوا من غير حرج

في اجسادنا طاقة غامضة تنتقل لدى التلامس كالكهرباء

ان في اعماقنا جوعاً شديداً لا يسده اي طعام. انه نهم في اللمس والاحتكاك بين اجساد البشر. انه "جوع جلدي".

وتفيد التجارب العلمية ان كل الحيوانات ذوات الدم الحار مفطورة على الحاجة الى اللمس، وان بين الآثار التي يخلفها حرمان الجلد متعة اللمس فقدان الشهية والنمو البطيء وتدني نسبة الذكاء والسلوك الشاذ.

وعلى سبيل المثال، ابعد الباحثون في جامعة ويسكونسن الامريكية بعض صغار القردة عن امهاتها فور الولادة، وربوها في اقفاص منفصلة داخل غرفة خاصة. وكان في وسع الصغار ان ترى وتسمع بعضها بعضاً، الا انه لم تتح لها فرصة ملامسة اجساد سجانيها او بقية القردة. فكانت النتيجة مجموعة من القردة الانتحارية والشديدة الانفعال والمنكفئة على ذاتها.

وفي حين ان اجراء تجارب عيادية على الاطفال البشريين ليس امراً مرغوباً فيه، يثبت عدد من الشواهد ان تصرفات غريبة وشاذة تبدر من الاطفال الذين يلازمون المستشفيات او المدارس مدة طويلة من دون ان يحصلوا على مقدار وافر من الملامسة الجسدية المباشرة. فيكتئب بعضهم وينعزل عن العالم، ويهز الآخرون اجسادهم الى الامام والى الوراء او يلطمون رؤوسهم بالجدران او قطع الاثاث.

والحقيقة البسيطة هي اننا جميعاً يسكننا جوع جلدي. وقد لاحظ عالم النفس سيدني جورارد "ان اللمس

حيي اجسادنا ويرد نفوسنا اليها".
واشدد في مادة "تربية النفس" التي اعلمها في جامعة امهرست في ولاية مساتشوستس الامريكية على المبادىء الآتية:
١ تولد الحاجة الى اللمس مع الانسان، وتلازمه حتى يموت.
٢ قد يكون اللمس الناعم الحنون علاجاً شافياً.
٣ هناك اشخاص كثيرون يخلطون بين اللمسة الحنون المواسية التي تريح الاعصاب، واللمسة التي تهيج المشاعر الجنسية.
٤ في بعض العائلات يحصل الاولاد على مقدار كاف من اللمس لاشباع جوعهم الجلدي، وهم في ذلك محظوظون. وفي عائلات اخرى لا يحصل الولد على اللمس الا عندما يؤدبه والداه. (ويظن بعض العلماء ان هناك اولاداً يسيئون التصرف عمداً للحصول على التلامس، وان يكن من قبيل الصفع).

ويسهل التمييز بين هاتين الفئتين من الاسر. فالاولاد الذين اشبع جوعهم الجلدي ينزعون الى الانفتاح على المجتمع والتصرف بارتياح. اما الذين حرموا ذلك فكثيراً ما يبدون منكفئين في عالم خيالي، ولا يبعد ان يتصرفوا بعدوانية. وانا مقتنع بانهم يعانون نقصاً في شعورهم بقيمتهم الذاتية. ويمكنك ان ترى هذا النوع من الاطفال في كل مكان، تميزهم النزعة الى العنف، وتكمن وراء كل واحدة من حركاتهم صرخة غير مسموعة تعبر عن جوعهم الجلدي.

ولذلك فعلى كل انسان ان يلمس الآخرين بكل ما يستطيع من الرفق واكبر عدد ممكن من المرات. لكن ذلك لا يحدث فعلا.

الابسط هو الانجح – في معظم المنازل يداعب الاطفال فيحضنون ويعانقون. ولا تتضمن عملية اللمس هذه الا قليلا من الدلالات الجنسية الاضافية. ولكن عندما يغدو الاطفال اولاداً، تعمل مجموعة من العادات والتقاليد على كبت غريزة اللمس الفطرية فيهم. وغالباً ما تمتنع الامهات، حتى في اكثر العائلات تحرراً في التعبير عن المشاعر، عن تقبيل اولادهن ومداعبتهم. ويظن الاولاد، لا سيما الصبيان، اللثم والعناق عملا غبياً. وفيما يتحملونهما من امهاتهم، فانهم يرفضونهما من آبائهم. ثم ان الآباء يتوقفون عن تقبيل اولادهم على اي حال.

وعندما يبلغ الاولاد سن المراهقة، يكون الامر زاد خطورة. فلا يعودون يحصلون على لمسة حانية واحدة، اللهم الا في حالات المرض. فكيف نستطيع ان نوجد طريقة للمس لا توحي بمعان جنسية من جهة، ولا تكون لمساً مزيفاً، من جهة اخرى؟

يمكن تعليم هذه الطريقة لمجموعات طالبية، تماماً كما افعل انا، او للاصدقاء والاقرباء. لكن الاسرة المتحابة تؤمن الجو الافضل لتعليم هذه الطريقة. كما ينبغي ان نمارسها على اساس اقتناعنا بحاجتنا الطبيعية الى ان نَلمس ونُلمس ووعينا هذه الغريزة. وأبسط العلاجات تكون انفعها احياناً.

المعانقة – هناك عدد كبير من اساليب العناق التي لا تعد معانقة حقيقية. ومن الامثلة على ذلك العناق

الذي يشبه الرقم "٨" اذ يتلامس رأسا المتعانقين فقط، وتكون النتيجة انحناءة حادة يشبه معها المتعانقان خيمة الهنود الحمر، وهناك عناق مزيف آخر اسميه "عناق التربيت"، هنا يكاد صدرا المتعانقين لا يتلامسان، ويربت كل منهما ظهر الآخر كأنه طفل صغير، وذلك لاخفاء ارتباكه، انها طريقة نتوسلها لنقزم معانقنا فنشعر كأنه طفل يؤمن جانبه.

ان العناق الحقيقي هو الذي يشمل الجسم كله، ويمضي وقت طويل قبل ان ينظر المتعانقون بعضهم الى بعض، جرب عناقاً كهذا مع زوجتك واولادك، واذا الم افراد الاسرة بطريقة عناق صحيحة، فانهم لا يرضون منها بديلا.

تدليك الظهر — يحك الظهر او يدلك بالاصابع، او يفرك بعقب القدم او بحذاء من غير كعب او حتى بعقد الاصابع، والغاية من ذلك تخفيف الاجهاد والتعب واشباع جوعنا الجلدي، ويتعلم طلابي هذا النوع من اللمس بسرعة، ويمكنك انت ايضاً ان تتعلمه مع افراد اسرتك.

تدليك العنق — والهدف منه هو القضاء على الاجهاد، عليك انت ان تخمن الحركات التي تستخدم في سبيل ذلك، وقد تكون في بادىء الامر مدلكاً غير بارع، فمعظمنا يجهل هذا الفن، لكننا نتعلم هذه الاساليب بسرعة.

تدليك الذراع — وهي عملية تتألف من ضغط خفيف للذراع من المعصم حتى الكتف، وتدلك الذراع بعنف احياناً، وقد تغدو عملية اللمس هذه دغدغة لطيفة، لاحظ كم تشعر بجوع في الذراع التي لا تدلك، والفرق بين الشعورين عظيم الى حد يؤكد لك ان الناس الذين لا يلمسون يحسون معظم الوقت كأنهم موتى او مهملون.

ولكن كم مرة يجب ان نمارس هذه التمارين؟

لاشباع الجوع الجلدي لدى الصغار، تنبغي ممارسة لمسات خاصة يومياً: على كل من الوالدين معانقة الطفل مرة واحدة في اليوم على الاقل، وتدليك ظهره او عنقه كل مساء وقت النوم، واقترح ان يمارس الاولاد الاكبر سناً تمريناً واحداً على الاقل لمدة ٢٠ او ٣٠ دقيقة في الاسبوع، على ان يفسح مجال المشاركة في هذه التمارين امام كل افراد الاسرة.

ولكن لا تلتزم صيغة جامدة ثابتة، فالملامسة تكون مهمة احياناً بعد رحلة طويلة، مثلا، حيث تزيل ايد لطيفة التعب والاجهاد عنا، ويسعف الاهتمام الذي تقدمه الاسرة بواسطة اللمس الفرد المتألم جسدياً او نفسياً.

ويبني اللمس في الاطفال قدرة افضل على التخاطب في مجالات العلاقات الانسانية كلها، كما يجعل الناس مطمئنين يعرفون حاجاتهم، وكرماء يعطون الآخرين ما يحتاجون اليه، واللمس يربي اولاداً اكثر تفوقاً، ويحضر آباء اكثر محبة وأوفر حظاً بالنجاح، ويصنع ازواجاً وزوجات اكثر تفاهما.

في اختصار: ان اللمس يغير الناس الى الافضل.

■ سيدني سيمون

الشرق الاوسط
مرأب السيارات المسروقة

السيارات التي تسرق سنوياً من شوارع اوروبا وتباع في اسواق العالم، خصوصاً في الشرق الاوسط، تعد بالآلاف

إنّ الرحلة من جنوب المانيا الى سهل لومباردي الأخضر، مروراً بجبال الالب، ممتعة حقاً لما يتخللها من مشاهد طبيعية خلاّبة. لذلك كان طبيعياً، عندما عُقد مؤتمر لطب الاسنان في مدينة ميلانو الايطالية، أن يذهب أعضاء الوفد الالماني في سياراتهم الخاصة، ومعظمها من صنع شركة "مرسيدس" المرموقة. وكان عددهم ٣٤، إلاّ أنّ ١٨ منهم اضطروا الى العودة في القطار او الطائرة لأن سياراتهم سُرقت.

وقد غدت سرقة السيارات الفخمة – مثل المرسيدس والـ ب.ام.ف. والبورش والرولز رويس والفيراري والراينج روفر وبعض انوع البيجو والفيات – تجارة واسعة متعدّدة الجنسيات منذ العام ١٩٧٥، يتولى القائمون عليها اشباع نهم محبي السيارات المبهرجة في أجزاء كثيرة من العالم. وهذا يؤدي سنوياً الى اختفاء سيارات فخمة كثيرة من الشوارع الاوروبية، يراوح عددها بين عشرة آلاف و٢٠ الفاً، يتم شحنها براً وبحراً، وأحياناً جواً، الى الشرق الاوسط وافريقيا والولايات المتحدة وكندا، حيث تباع بضعفي ثمنها في اوروبا. ويقدّر الخبراء في دائرة السيارات المسروقة التابعة للشرطة الفرنسية ان واحدة من كل ثلاث سيارات تباع في البلدان العربية المنتجة للنفط اليوم تسرق من اوروبا. ويضيفون انه من غير السهل وقف هذه الاعمال. فالذين يقفون وراءها يتمتعون ببراعة يدوية وحماية كبيرة. ويقول احد خبراء سرقة السيارات في مركز الانتربول الرئيسي انهم "زمر متعددة الجنسيات احترفت السرقة ونظمت نفسها بمهارة فائقة بحيث لم يقع احد من عقولها المدبرة في قبضة القانون او تُعرف هويته".

وفي ما يأتي رواية محتملة للطريقة التي تتمّ بها السرقة: يذهب أحد المتمولين لشراء سيارة مرسيدس

«500 SLC» "من طراز ١٩٨٠، مزودة بهاتف ومقاعد جلد حمراء. ويخبره الوكيل المحلي انه يحتاج الى تسعة اشهر لتسليم السيارة.

وخلال أيام يعرض "رجل أعمال"، استدعاه مخبر يعمل لحسابه، على المتموّل أن يؤمن له السيارة التي يريد خلال شهر. ويتهافت هذا على قبول ذلك العرض المغري.

عندئذ يتصل "رجُل الاعمال"، المعروف في هذه المهنة باسم "الوسيط"، بعميل اوروبي محدداً له نوع المرسيدس التي يريدها. فينطلق العميل الى المرائب الخاصة بسيارات المرسيدس والفنادق الفخمة والمطاعم باحثاً عما طلب منه، حتى اذا وقع نظره على سيارة فخمة، طلب من أحد لصوص السيارات الماهرين ازاحتها من مكانها والهرب بها.

وسواء أكانت السيارة مزودة بقفل أمان وما شابهه او لم تكن، فانّ سرقتها، بالنسبة الى لصّ متمرس، هي من قبيل لهو الاطفال. وربما ساعده شريك - ميكانيكي او حاجب فندق - في الحصول على نسخة من مفاتيح السيارة. وربما كانت لدى اللص أساليب شخصية أكثر حنكة. وقد ارتني الشرطة الهولندية في امستردام علبة تحوي عدة خبير في امكانه اشعال السيارة والانطلاق بها - مهما يكن نوعها - في ٤٥ ثانية. ومن محتويات العلبةمرآة ذات مقبض طويل يستعملها أطباء الأسنان، وتمكن اللص من العمل تحت لوحة أجهزة القياس وهو جالس. ومنها أيضاً مثقاب يفتح أي قفل في ثوان. ولإدارة السيارة، على اللصّ وصل أسلاك الاشعال بمفك براغي" او مبرد او حتى باليد.

حيل متطورة - هناك عصابة باريسية مختصة بسرقة سيارات من نوع بورش، ابتكرت طريقة اخرى للظفر بغنائمها. وكانت شركة بورش قد أضافت الى السيارة حيلة الكترونية لمنع السرقة، من شأنها قطع التيار الكهربائي ومنع وصول الوقود الى المحرك واطلاق صفارة إنذار في حال العبث بالسيارة. فحلت العصابة تلك المشكلة عن طريق جرّ السيارة بشاحنة مخصصة لهذا الغرض. وتوّصل اللصوص أخيراً الى تزويد شاحنات الأثاث بآلات رفع لإدخال السيارات المسروقة بسرعة الى الشاحنة.

وكيفما حصل رفع السيارة المسروقة، فهي تؤخذ فوراً الى مرأب وتزود بهوية جديدة. ويتمّ ابدال رقمي الهيكل والمحرك برقمين جديدين يُضّهر كلّ منهما على لوحة معدنية تركب فوق اللوحة القديمة. كما تعطى السيارة رقماً جديداً وتزود بوثائق تحمل اوصافها الجديدة. وتأتي هذه الوثائق من مصادر عدة، احدها شراء سيارة برسم الكسر واستعمال اوراقها ولوحاتها لإضفاء هوية جديدة على سيارة مسروقة من النوع نفسه. وفي حال عدم توافر هذه الاوراق "القانونية"، يلجأ افراد العصابة الى التزوير. وهم ابتكروا بضع وسائل، منها الحصول على اوراق رسمية غير مملوءة وأختام مطاطية تمت سرقتها من المكاتب المختصة في مختلف البلدان الاوروبية. وقد عثرت الشرطة

لفرنسية عام ١٩٧٩ على أكثر من الفي "بطاقة رمادية" لتسجيل السيارات في مخابىء كثيرة في باريس.

واذا توافرت هذه اللوازم جميعاً، فان اعطاء السيارة هوية جديدة - او "عذرية" كما يدعوها وسطاء السيارات احياناً - لا يستغرق أكثر من ساعتين. ثم يُعْهد بالسيارة الى سائق يأخذها الى أحد المرافىء الاوروبية: انتويرب (بلجيكا)، مرسيليا (فرنسا)، برشلونه (اسبانيا)، البيريه (اليونان)، او الى أحد المرافىء المنتشرة على امتداد الساحل الايطالي. وربما أخذت السيارة براً عبر يوغوسلافيا وبلغاريا وتركيا الى الشرق الاوسط. ويعتبر خبراء الانتربول ان الامل في استعادة السيارة يفقد متى تجاوزت حدود مضيق البوسفور في تركيا. وفي نهاية المطاف تسلم السيارة الى طالبها.

وتعبر فرق مكافحة سرقة السيارات عن قلق بالغ ازاء ازدياد جرأة اللصوص وثقتهم بأنفسهم، فضلا عن تنوع اساليبهم. فهم يطوفون الشوارع المكتظة، حتى في وضح النهار، حيث يجدون السيارات الفخمة موقوفةعلى جانبي الطريق، فيعمدون الى سرقتها على مرأى من المشاة. وأكثر قحة من هذا الطريقة المعروفة في "المهنة" باسم "السرقة على الطريقة الايطالية"، حيث يتولى شريك في السرقة المرور بدراجته عن جانب سيارة متوقفة عند اشارة المرور الحمراء، متعمداً جرح طلاء السيارة بحافة الدراجة. وعندما يترجل سائق السيارة لتفقّد الحادث، يقفز اللص الى مقعده وينطلق بالسيارة.

العرض والطلب - إنّ طلب السيارات الفخمة المسروقة فاق العرض الى حدّ بعيد، مما جعل افراد العصابات يغزون مواقف السيارات في المدن على نطاق واسع، حيث يجدون عدداً كبيراً من السيارات الفخمة. وتحصل السرقة بخداع حارس الموقف او التواطؤ معه. وفي أي حال، فهو ليس على استعداد للجدل مع اشخاص صوبوا مسدساً الى رأسه. وهناك طريقة اخرى، وهي ان يذهب اللص الى صالة العرض المحلية التابعة لشركة مرسيدس او ب.ام.ف. ويطلب معاينة احدى السيارات التي لا يلبث ان يفر بها. وربما كانت اسهل الطرق الفرار بسيارة مستأجرة من مكتب مختص. فما ان يبدأ البحث عنها حتى يكون اللصّ قد انطلق بها وراء الحدود. وفي المانيا الغربية وحدها، فقدت ٤٠٠٠ سيارةمن مكاتب تأجير السيارات عام ١٩٧٩.

وأخيراً تمّ الكشف في بريطانيا عن عصابة متمرسة في السطو على هذه المكاتب، ووجد أنها تضم افراداً من بريطانيا وايرلندا والولايات المتحدة وكندا وهولندا والمانيا واسبانيا. وقد حمل هؤلاء جوازات سفر ورخص قيادة مزورة واستأجروا سياراتمن نوع مرسيدس وراينج روفر وفورد غرانادا، وقادوها عبر اوروبا الى الشرق الاوسط، "كالذاهب في نزهة عائلية عصر يوم احد، خالياً من الهموم"، على حدّ تعبير المدعي العام بريان اسكوت كوكس، الذي يضيف أن زوجين شابين من العصابة

اخذا معهما ابنتهما الصغيرة لإضفاء جو العطلة على الرحلة.

وليس ضرورياً ان يعرف السائقون انهم يقودون سيارات مسروقة، لكنهم يجهلون حتماً من يوجههم. وكما في مؤامرات من هذا النوع، توزع العملية على مراحل مستقلة. ويقول المدعي العام الالماني كارستن كوخ: "اذا قبضنا على أحد افراد هذه المهنة، فهو يكون عادة بمثابة السمكة الصغيرة. أما الكبيرة فلا تقع في الشرك".

وعلى اثر تلقي معلومات سرية، راحت الشرطة الالمانية تراقب شاحنة سيارات فارغة صُفت على جانب طريق هامبورغ - بريمن. وفي الثانية بعد منتصف الليل، ظهرت سيارتا مرسيدس كبيرتان على تلك الطريق وأدخلتا الشاحنة، وجاءت في اثرهما سيارة شفروليه وسيارة فولكسفاغن كبيرة. واوقفت الشرطة ثلاثة رجال كانوا هناك، أما الرابع فتمكن من الفرار. ولم تكن تلك بالغنيمة القليلة كما يقول المدعي العام كوخ، ولكن لم تؤد الى غنائم اخرى او كشف اسماء افراد العصابة الغائبين.

تفاؤل حذر - على رغم المشكلات الكثيرة التي تعترضهم، الا أن المحققين العالميين ابدوا تفاؤلا يشوبه الحذر بأنهم بدأوا يكسبون المعركة ضد العصابات. ومن الابتكارات المستجدة "خط احمر" للسيارات المسروقة يصل ثمانية مراكز للشرطة الاوروبية(★) بفرع انتربول المانيا الغربية في فيسبادن ويتولى، بمساعدة الادمغة الالكترونية، تزويد ضباط الجمارك على الحدود بمعلومات فورية عن السيارات المسروقة حديثاً.

ففي صيف ١٩٧٩، استبد القلق بمسؤولي الجمارك والشرطة في مالطا حيال عدد السيارات الالمانية الحديثة الفخمة التي عبرت العاصمة فاليتا وهي مأخوذة من ايطاليا الى بيروت ومدن ساحلية اخرى في الشرق الاوسط. واتصل المسؤولون بمكتب الانتربول الالماني الذي أرسل اثنين من خبرائه الى مالطا، ما لبثا ان وجدا أنّ ست سيارات مرسيدس واثنتين من نوع ب.ام.ف. من التي كانت تنتظر على رصيف الميناء سُرقت جميعاً في ايطاليا حيث كانت في حوزة مسافرين من المانيا الغربية وسويسرا وفرنسا وايطاليا. والشرطة المالطية اليوم على اتصال دائم بالانتربول الذي يساعدها في اكتشاف السيارات المسروقة التي تنتظر دورها للشحن على رصيف الميناء. وهذا التدبير أنهى اعتماد العصابات على ميناء فاليتا.

ومن الاسباب الاخرى التي تدعو الى التفاؤل أن المحققين الرسميين باتوا أكثر حنكة. وقد ادى حذر ضابط جمركي اخيراً في ميناء "لاسبيتزيا" شمال ايطاليا الى اكتشاف ثماني سيارات مرسيدس مسروقة وموضوعة ضمن صناديق ضخمة كُتب عليها "الواح زجاج للنوافذ". وافتضح امر عصابة اخرى بفضل انتباه مسؤول في الجمرك اليوغوسلافي لاحظ ان جميع سيارات المرسيدس التي مرت أمامه

(★) مراكز الشرطة الثمانية موجودة في: لندن، باريس، استوكهولم، روما، فيينا، لوكسمبور، بلغراد، بروكسل.

اليوم تحمل لوحة فرنكفورت وتتدرج أرقامها كالآتي: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، وهكذا. وربما تبين لأفراد العصابة أن السائق الذي كلفوه قيادة السيارة المسروقة هو في الحقيقة رجل شرطة سري. وقد باشرت الشرطة الجنائية في المانيا الغربية عمليات سرية لمعرفة مصدر السيارات المسروقة ومصيرها بغية التوصل الى اعتقالات واسعة النطاق.

يضاف الى هذا ان صانعي السيارات جعلوا عمل العصابات اكثر مشقة. فقد زودت شركة مرسيدس ابواب سياراتها بمزالج ضد السرقة وبأقفال مصفحة لعجلات القيادة ذات مفاتيح اسطوانية غير قابلة للتقليد. كما تولى مسؤول الامن في الشركة، كارل بيتشوكي احداث ذاكرة الكترونية مهمتها جمع معلومات كاملة حول كل سيارة انتجتها الشركة، تتناول اللون ورقم المحرك والهيكل وعلبة التروس واسم البائع والشاري، فضلا عن الاحتفاظ بالرقم الاضافي الذي حُفر ووضع في مكان سري داخل السيارة من أجل معرفتها في حال تغيير جميع الارقام الاخرى اذا سُرقت.

وحذت شركات اخرى منتجة للسيارات الفخمة حذو المرسيدس في اعتماد ذاكرة الكترونية. واذا استعمل مسؤولو الجمارك هذه الآلة، فان عصابات سرقة السيارات تزول سريعاً. ويقول بيتشوكي: "في معظم الحالات، يكفي ارسال تلكس الى الشركة الصانعة ليعرف سريعاً ما اذا كانت السيارة مسروقة. وهذا يجب ان يحصل كلما قام شك حول هذا الامر".

ولكن مهما أمكن فعله في البلدان الاوروبية "المصدرة" لمحاربة عصابات سرقة السيارات، فالمسؤولية الاخيرة تقع على عاتق البلدان "المستوردة". وهناك شرطي متمرس اخبرني ما يأتي: "كلما توافرت سوق في العالم العربي والامكنة الاخرى لتلقي السيارات الفخمة المسروقة، فان العصابات ستبقى ناشطة". وأضاف بابتسامة عريضة: "العبرة هي ان يشتري المرء سيارة مستعملة بثمن زهيد".

■ كريستوفر ماتيوز



الكافيار سردين الاغنياء!

بعد اتمام تبضعها في محلات الاغذية الانيقة في ساحة مادلين الباريسية، لم تجد احدى سيدات المجتمع المخملي سيارة تاكسي تنقلها الى منزلها في وقت اقفال المحلات المزدحم. ودفعها يأسها للنزول الى محطة المترو (قطار تحت الارض) للمرة الاولى في حياتها. وفي وقت لاحق وصفت تلك الخبرة لاحدى صديقاتها بقولها: "لقد وقفت هناك محشورة مثل سائر الناس... مثل... الكافيار".

م.١٠.غ.



هنريك إبسن شاعر الأزمنة الحديثة

قلة من الادباء نالت من الذم والتكريم في حياتها ما ناله هنريك يوهان إبسن. فكان في نظر بعضهم صوتاً مدوياً يروي الحقيقة، وفي نظر آخرين مفسداً للاخلاق. ولدى وفاته في مدينة كريستيانيا (اوسلو حالياً) عاصمة النروج في ٢٣ مايو (ايار) ١٩٠٦، كان يلقب "ابا الفن المسرحي الحديث".

وبالنسبة الى العلماء والنقاد والمعجبين، يبقى إبسن لغزاً. انه رجل صغير خجول اعترف بكبريائه الجامحة و"انانيته القوية". رجل هاجم الاخلاقية التقليدية لكنه التزم القيم البورجوازية كلها. متمرد نادى بتحطيم الاصنام من دون ان يتوانى عن التطلع الى رفع نفسه الى مصافها.

هذه الذكريات الحميمة تكشف بعض جوانب شخصية ابسن المعقدة والمضطربة.

ولد إبسن في سكين (النروج) في العشرين من مارس (آذار) ١٨٢٨. وكان ابوه رجل اعمال ثرياً اعلن افلاسه عندما كان هنريك في الثامنة. وسعى الفتى الى الهرب من عار الفقر عبر احلام اليقظة وقراءة مسرحيات الهواة واخراجها.

في امسيات الآحاد كان هنريك يدعو الجيران الى عروض يظهر فيها قدرته على الكلام من البطن. فيقف وراء صندوق كبير في احدى حجرات الجلوس، ويدهش جماهيره بعروضه الصوتية. ولم يكن احد يعلم ان شقيق هنريك الاصغر كان في الصندوق.

هيدفيك ابسن، شقيقة هنريك

كان حلم طفولته ان يصير رساماً. ولكن نظراً الى عدم توافر المال لدى العائلة، ترك إبسن البيت وهو في الخامسة عشرة والتحق بصيدلي ليتعلم

مهنة على يديه في قرية غريمشتاد الساحلية. وكانت حياته شاقة هناك.

كان هنريك يعمل ليل نهار. فبعد ساعات دوامه في الحانوت كان يشعر انه مجبر على الكتابة والرسم. فلم يبق له وقت كاف للنوم.

كريستوفر ديو، صديقه في غريمشتاد

بحثاً عن متنفس لكل ما يعتمل في نفسه غادر ابسن غريمشتاد بعد ست سنوات الى العاصمة كريستيانيا. وكانت مسرحيته الاولى، التي طبعها على نفقته الخاصة، بيع منها عدد ضئيل جداً من النسخ. فتخلص من النسخ الباقية على انها اوراق تالفة. الا ان مسرحيته الثانية عرضت عام ١٨٥٠ على خشبة مسرح كريستيانيا. وفي العام التالي عمل ابسن مؤلفاً مسرحياً مساعداً لدى المسرح الجديد في بيرغن. وخلال وجوده هناك، وقع في هوى ريكه هولشت ذات الخمسة عشر ربيعاً، وطلب يدها للزواج. لكن والد الفتاة منعها من رؤية الكاتب المعدم غير انها بقيت تجتمع به سراً، الى ان باغتهما ابوها وهما معاً. وهرب إبسن.

وبعد سنوات، عندما صار إبسن شهيراً، زار ريكه التي كانت آنذاك زوجة واماً تنعم باستقرار مريح. فقال لها متأملا: "ترى لماذا لم تأت علاقتنا ثماراً؟" فضحكت وقالت له: "الا تذكر يا عزيزي إبسن؟ لقد اسلمت ساقيك للريح". فقال: "اجل، اجل. لم اكن يوماً رجلا يواجه الخطر بشجاعة".

غيرهارد غران، كاتب سيرة حياة إبسن

عندما بلغ إبسن الثلاثين من عمره، تزوج سوزانا تورسن، ابنة كاهن في برغن. وانجبا صبياً في العام ١٨٥٩. ومع ان إبسن كان ألف آنذاك ما يزيد على ست مسرحيات، فانه لم ينل التقدير الذي شعر بأنه يستحقه.

ارغم الفقر ابسن على الظهور في ثياب رثة. وكان الناس يتحدثون عنه على انه عبقري مغرور بائس. وكثيراً ما كان الطلاب العائدون الى غرفهم ليلا يصادفون ابسن بلحيته السوداء ثملا متمدداً في قناة على جانب الطريق.

ا. زوكر، كاتب سيرة حياة إبسن

استولت على ابسن كآبة شديدة، فلم يكتب اي مسرحية طوال خمس سنوات. وجاءت نقطة التحول في حياته العملية حين بلغ السادسة والثلاثين. فبعدما احتال في الحصول على منحة حكومية صغيرة، غادر الارض التي وجد ان جميع قنوات ذكائه مسدودة فيها. وبدا كأن النفي الذي فرضه على نفسه في ايطاليا، والذي دام ٢٧ سنة، اطلق قواه الخلاقة. فانتج سلسلة من المسرحيات، كانت اولاها "براند" و"بير غنت"، جلبت له الشهرة.

في ذلك الحين كان لدي على مكتبي في احدى ضواحي روما عقرب في زجاجة بيرة فارغة. وكانت هذه الحشرة تمرض من حين الى آخر، فأقذف لها بقطعة من ثمرة يانعة، فتنقض عليها في غيظ شديد نافثة سمها. وعندئذ تتعافى ثانية. اليس هذا ما يحدث لنا، نحن الشعراء، احياناً؟

إبسن في رسالة الى بيتر هانسن، المؤرخ الادبي الدنماركي

كان يعتري ابسن خوف من ان امرأ ما قد يمنعه من تحقيق هدفه. فكان يرفض ان يركب حماراً او يتسلق جبلا او يتنقل في مركب.

ا. زوكر

وصار إبسن يعيش لعمله، فلا يستقبل الا قلة من الزائرين ولا يرى عائلته الا وقت تناول الطعام.

الاصدقاء متعة مكلفة. وحين يوظف المرء ماله في الوصول الى هدف ما، فان وضعه لا يسمح بان يكون لديه اصدقاء.

إبسن في رسالة الى جورج برانديز، الناقد والمؤرخ الدنماركي

بعد فطور متقشف كان ابسن يعزل نفسه في مكتبه ويعمل حتى الحادية عشرة صباحاً. ثم يتنزه مشياً مرتدياً سترة "الفراك" (سترة رسمية طويلة مشقوقة الذيل) ومعتمراً القبعة الرسمية العالية، ومظلته في يده. ولدى وصوله الى مقهاه المفضل، كان يجلس مواجهاً مرآة كبيرة تمكنه من رؤية بقية الغرفة والوافدين الجدد. وبعد ان يمشط شعره امام مرآة صغيرة يحملها دائماً في اعلى قبعته، كان يرشف شراباً منعشاً ويقرأ الصحف بدءاً باسم الصحيفة وانتهاء باسماء مالكي المطبعة.

جون بولسن، صديق ابسن وكاتب سيرة حياته

أعلم ان لدي عيباً هو اني لا استطيع اقامة علاقة حميمة مع اشخاص يطلبون من المرء ان يعطي نفسه من غير قيد او تحفظ.

إبسن في رسالة الى بيورنشتيرنه بيورنسون، زميله في التأليف ومنافسه الادبي

وكي لا يسبب العالم له مزيداً من الالم، بنى ابسن قوقعة من الهجاء الساخر فوق كل ما هو لطيف وحساس في نفسه. ومات قلبه تدريجاً ومعه ماتت احلامه في السعادة الشخصية، وانغلق الباب المؤدي الى عالم الحب والصداقة.

جون بولسن

وفيما كبر ابسن في السن، استحوذت عليه فكرة نيل الاوسمة، حتى انه استجدى عام ١٨٧٠ ميدالية اجنبية من دون حياء، هي الميدالية التي تؤرخ تدشين قناة السويس في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٩. وكان ابسن حضر حفلة الافتتاح بدعوة من الخديوي.

هذا الوسام سيعزز مكانتي الادبية في النروج. وسيكون تعويضاً من الاهمال الذي تحملته في وطني.

إبسن في رسالة الى ممثل البلاط المصري

في اواسط سبعينات القرن التاسع عشر، بدأ إبسن سلسلة المسرحيات التي طرحت فكرته الرئيسية العظيمة: الفرد في نزاعه مع المجتمع. مسرحيته "بيت دمية"، ١٨٧٩، حققت له شهرة دولية وأثارت مناقشات حامية حول "الابسنية" التي غدت تعني اي نقد مسرحي للقيم التقليدية.

ان التأثير الذي احدثه ابسن في انكلترا يكاد يساوي عمل ثلاث ثورات وست حملات صليبية وغزوين اجنبيين وزلزال. والفتح النورمندي عام ١٠٦٦ لم يكن شيئاً بالمقارنة مع الفتح النروجي.

جورج برنارد شو

طوال حياته العملية، كان ابسن ير انتباهاً شديداً للتفاصيل في خصيات مسرحياته وتطوير حبكاتها أليف حواراتها البارعة.

عندما أباشر كتابة المسودة ولى، اشعر كأني اعرف شخصياتي مرفة عابرة بعد رحلة في القطار. عند المسودة الثانية ارى بوضوح كثر واعرف الاشخاص كما يعرفهم لمرء بعد تمضية شهر معاً في منتجع ترف. وعند المسودة الاخيرة اعرف شخصياتي معرفة شخصية وثيقة، نهم اصدقاء حميمون لن يخيبوا املي.

ابسن في ملاحظاته عن احدى مسرحياته

قال احدهم يوماً ان نورا، في مسرحية "بيت دمية"، كان لها اسم غريب. فاجابه ابسن على الفور: "آه، كان اسمها الكامل ليونورا. الا انه اختصر الى نورا عندما كانت فتاة صغيرة جداً. فأنت تعلم، طبعاً، ان والديها دللاها تدليلا مفرطاً". بقي ان تعلم ان المسرحية نفسها لم تكشف النقاب عن اي من هذه الامور.

ادموند غوسه، كاتب سيرة حياة ابسن

في العام ١٨٩١، عندما كان ابسن في الثالثة والستين، عاد الى النروج وقد غدا بطلا قومياً. واصبح ارتشاف قدح البيرة في مقهى "غراند كافيه" في كريستيانيا طقساً من طقوسه اليومية.

في الحادية تماماً ترى امامك تلك الطلعة الصارمة الخشنة التي تحيطها لحية بيضاء عظيمة تبدو كأنها مشحونة بالكهرباء. فيهب جميع من في المقهى هبة رجل واحد، واقفين على اقدامهم في وضع تحية. وقال لي احدهم: "ذلك هو شاعرنا العظيم، هنريك ابسن".

رتشارد لو غاليين، ناقد انكليزي

ألف ابسن مسرحياته الاربع الاخيرة بعد عودته الى النروج: "الباني البارع" و"ايولف الصغير" و"جون غابرييل بوركمان" و"عندما نستيقظ نحن الموتى". وفي ١٩٠٠ اصيب بسكتة دماغية شلته. وخلال السنوات الست الاخيرة من حياته، لم يكن يعي العالم حوله الا في فترات متقطعة.

ترى هل كان لاي رجل آخر مثل هذه السلطة الشديدة على عالم الفكر في الازمنة الحديثة.

■ جيمس جويس



كيف تنام

كتب المؤلف بول غاليكو: "بين وقت وآخر تمرّ عليّ ليلة لا أنام فيها. لكن ذلك لا يهمني ولا يسلبني الراحة. فأنا اقرر ان ابقى مستيقظاً لاحاول استجماع الافكار لاحدى قصصي. إلاّ أن عقلي يقف خائفاً وساخطاً أمام فكرة حمله على العمل فوق طاقته، وسرعان ما يحسّ بخدر... فيغفو، وأغفو".

جيمس بندر، "كيف تنام"

رفقاً بالحيوانات أيها العلماء

يزعم مؤيدو هذه التجارب
ان الحد منها يضر
بالتقدم العلمي.
ولكن هناك عدد متزايد
من العلماء يؤيد البحث
عن بدائل من هذه التجارب

لم يغادر الاستاذ مدرسة الطب الا في موعد متقدم فوجد زوجته واطفاله نائمين عندما وصل الى بيته وانتابه فجأة شعور بالوحدة وهو يضع المفتاح في قفل الباب. ولكنه لم يكد يدخل حتى وجد سالومي ترحب به، فقد أخذت الكلبة الصغيرة تتقافز في ابتهاج شديد وهي تهز ذيلها وتلعق يد الاستاذ الذي كان يرفع معنوياته دائماً هذا البشر الدافق الذي تستقبله به سالومي.

وفي باكورة الصباح التالي عاد الاستاذ الى مدرسة الطب ودخل المختبر فلاحظ ان كلباً كان احد طلبته اجرى له جراحة بعد ظهر الامس لا تزال تبرز من حلقه الانبوبة الواصلة الى معدته، وانه لم يتلق دواء مضاد للالم. ورأى كلباً آخر نزف خلال الضمادات واستلقى ساكناً في بركة من الدم.

واستاء الاستاذ من هذا الاهمال وقرر ان يتحدث الى هؤلاء الطلبة في هذا الشأن. ولم يكن يصدر عن الكلبين اي صوت، لان هذه الحيوانات تخضع لدى وصولها الى المختبر لجراحة في اوتارها الصوتية فلا تعود تزعج بنباحها وزمجرتها الجيران في المباني المحيطة بالمختبر.

وعرض الاستاذ الحيوانات التي سيستخدمها طلبته في قسم الجراحة ذلك اليوم فرأى بينها كلبة وصلت لتوها وقد انتابها الخوف فأخذت تهز

يلها في تودد ذليل. وأحس الاستاذ انقباض لان الكلبة الصغيرة كانت شبه كلبته سالومي الى درجة دهشة، ومع ذلك فقد سجل ملاحظة ذكره بوجوب اعداد الكلبة الصغيرة لجراحة التجريبية.

ولا يعرف احد بالضبط عدد لحيوانات التي يفتك بها الباحثون كل عام، ولكن التقديرات الخاصة في لولايات المتحدة الامريكية وحدها تفيد ان هذا العدد يراوح بين ٦٤ مليونا و٩٠ مليون حيوان. وهذه الحيوانات تشمل الكلاب والقطط والقرود والخيل والافراس الصغيرة والعجول والاغنام والماعز والخنازير والطيور والفئران الكبيرة، والصغيرة. وهذه الحيوانات تستخدم كلها في تجارب تنطوي في اكثر الاحيان، على العناء والالم الشديد.

الوسيلة الوحيدة؟ – وتصر دوائر البحوث عموماً على ان الحيوانات الحية هي الوسيلة الوحيدة الموثوقة لاختبار العقاقير والمواد الكيمياوية ومستحضرات التجميل التي سيستعملها البشر.

ويعتقد الباحثون ايضاً أن التجارب التي تجرى على الحيوانات ضرورية في سياق البحث عن وسائل لعلاج الامراض ونواحي القصور التي تصيب البشر. ولا شك في أن كثيراً من الاكتشافات الطبية المهمة، من مصل الوقاية من شلل الاطفال الى طريقة الاستجابة للتوتر، قد تحققت بالفعل من خلال مثل هذه الحيوانات. ولذا فان الجامعات والمؤسسات الطبية والعلمية وشركات الادوية، ومنتجي مستحضرات التجميل والدوائر العسكرية تعتبر ان لها حقاً بديهياً في استخدام الحيوانات على اي وجه تراه.

لكن اعداداً متزايدة من العلماء بدأت تتساءل عما اذا كانت جميع التجارب التي تستخدم فيها ادوات اختبار مؤلمة – مثل انابيب فحص المعدة ومعدات الحرق واجهزة الاشعاع وادوات الصدم الكهربائي – تستحق العذاب الذي تجره على الحيوانات. أما الدكتورة باربارا اورلانز الاختصاصية بالفيزيولوجيا في معاهد الصحة الوطنية الامريكية، ورئيسة مركز العلماء لرعاية الحيوان الذي انشيء حديثاً، فانها تقول: "هناك اهتمام متزايد في الدوائر العلمية بأمر الحيوانات لم يجد له منبراً بعد. وسنحاول نحن رفع صوت العقل بين اوساط العلماء والمنظمات الرحيمة".

ويكمن مبعث هذا الاهتمام المتزايد لدى كثير من العلماء في الاكتشافات التي توصل اليها العلم نفسه. فنحن نعلم الآن ان كثيراً من الحيوانات تحس وتفكر وتمنطق الامور وتتصل ببعضها وبغيرها، بل وتسلك في بعض الاحيان مسلك الايثار تجاه بعضها. وقد ادت هذه المعلومات الى تضييق الهوة التي نرى انها تفصلنا عن سائر اعضاء المملكة الحيوانية، وهو ما يزيد من صعوبة التبرير العقلاني للتجارب القاسية.

وفي ضوء هذا التناقض في المواقف، فان الجمهور يبدي تميزاً لفصائل معينة من الحيوانات. فكثيرون يرون ان التجارب تكون جائزة عندما تسبب الالم لحيوان

مصنف في المرتبة الدنيا في مملكته مثل فئران الـ"هامستر" (★)ولكنها غير جائزة اذا اجريت على الكلاب.

التجارب النفسية ــ ومن الشائع اليوم اجراء التجارب النفسية التي يطلق عليها اسم تجارب "العجز العارف"، حيث تتعرض الحيوانات المحبوسة في اقفاص لصدمات كهربائية تستهدف دفعها الى القيام بمناورات معينة للحصول على الطعام، ثم يغير الباحثون قواعد اللعبة بحيث تضطر الحيوانات الى تعلم المزيد ثم المزيد من السبل لتجنب الصدمات الكهربائية. ومع اطراد تغيير القواعد، تيأس الحيوانات في النهاية فتستلقي على ارض القفص وتتلقى الصدمة تلو الصدمة بسلبية تامة. وقد حاول الباحثون ان يستنتجوا، بالمقارنة، مشابهات بين حال "العجز العارف" هذه وحالات الاكتئاب لدى البشر.

وهناك تجربة أخرى تعتبر نموذجاً لسلسلة من التجارب التي تجرى منذ العام ١٩٦٦ في معهد بحوث بيولوجيا الاشعاع التابع للقوات المسلحة الامريكية (في بتيسدا). وتقوم هذه التجربة على تجويع عشرةمن القرود لمدة ١٨ ساعة، ثم يجري "حثها" بالوكزات الكهربائية على الجري فوق ارضية متحركة الى الخلف. وتتكرر هذه العملية اسابيع عدة يعقبها اخضاع القرود لاشعاعات "غاما ــ نيوترون"، ثم يعاد اختبارها على الارضية المتحركة لمدة ست ساعات، ثم لمدة ساعتين يومياً حتى تموت.

(★) حيوان من القوارض شبيه بالفار يعرف بـ"فارة حلب".

واستهدفت هذه التجربة تكوين فكرة عن مدى تحمل الانسان للاشعاع.

ومن الحجج التي تساق لتأييد الاختبارات على الحيوانات ان هذه الاختبارات تجرىبموضوعية واتساق بفضل اجواء المختبر العلمية الا ان الاختبارات نفسها التي تجرى على انواع الحيوانات عينها كثيراً ما تسفر عن نتائج تختلف من مختبر الى آخر. ويسلم كثير من الباحثين بأن حالات التوتر الناشئة لدى الحيوانات بسبب الاقفاص المزدحمة او المعاملة الفظة او الالم او الخوف يمكن ان تؤثر على التمثيل الغذائي لدى الحيوانات وتؤدي بالتالي الى ارباك نتائج الاختبارات.

ومن المبررات الاخرى التي تساق، تأييداً للتجارب على الحيوانات، انها تتيح التنبوء بردود الفعل البشرية. لكن انواعاً مختلفة من الكائنات يمكن ان تستجيب بطرق مختلفة للمواد والمواقف الواحدة وعلى سبيل المثال، فان عقار الثاليدوميد لم يؤد الى احداث اي تشوهات في اجنة الكلاب والقطط والقوارض.

الآمال الزائفة ــ وطبقاً لما يقرره الطبيب البيطري تيرمان جرافتون المدير التنفيذي للجمعية الوطنية الامريكية للبحوث الطبية في واشنطن، فان الناس الذين يتحدثون عن بدائل منالحيوانات يخلقون آمالا زائفة "لأنهذه التكنولوجيات الجديدة لا يعدو كونها ملحقات لاستخدام حيوانات التجارب. وهي قد تقدم مؤشرات الى الاتجاه الذي يمكن ان يسير فيه نوع معين منالبحث، ولكنك لا بد ان تحتاج في النهاية الى حيوان

ذي وظائف بيوكيميائية متبادلة التغير حتى يمكنك تجربة اي عقار على نحو سليم".

ومع ذلك فقد استعيض عن الحيوانات بطرق اختبار أخرى في بعض الحالات، مثل انتاج أمصال واقية معينة. وتشجيعاً للبحث عن المزيد من البدائل، فان هناك جماعات - مثل الصندوق الامريكي للبدائل من استخدام الحيوانات في البحوث وصندوق اللورد داورينغ في انكلترا - تقدم منحاً وهبات الى العلماء المشتغلين في البحوث الهادفة الى ايجاد بدائل من الحيوانات في اجراء التجارب.

وعام ١٩٧٨ قدم الصندوق الامريكي منحته الاولى ونالها البروفسور ايرل ويليام فليك استاذ البيولوجيا في كلية ويتمان في مدينة والاوالا في ولاية واشنطن. وسوف تساعد هذه المنحة على تمويل بحوثه الهادفة الى تطوير اختبار تستخدم فيه كائنات عضوية وحيدة الخلية تسمى "تتيراهايمينا" - بدلا من الحيوانات - في فحص المواد لاكتشاف احتوائها على "التيراتوجينات"، وهي عوامل يمكن ان تؤدي الى عيوب خلقية. ومن المتوقع ان يكون هذا الاختبار أقل واسرع وادق نتيجة واكثر رحمة من قتل الآلاف من حيوانات التجارب الحوامل. أما الدكتور جون بتريتشياني الحاصل على منحة من صندوق داورينغ فهو طبيب بحوث يعمل حالياً في ادارة الاغذية والعقاقير الامريكية، وقد توصل الى طريقة لتقدير طريقة نمو الاورام بحقن خلايا الاورام في الجلد المأخوذ من أجنة فراخ الدجاج التي لا يزيدعمرها على تسعة أيام، بدلا من حقنها في الحيوانات.

وكثيراً ما يتم اكتشاف طرق اختبار بديلة على ايدي علماء يبحثون عن وسائل اكثر بساطة واقل كلفة لبلوغ اهدافهم. وقد تمكن باحث السرطان الكندي هانز ستيتسن مثلا من تصميم اختبار لقابلية احداث الاصابة بالسرطان يستخدم فيه الخلايا البشرية. ولا يستغرق هذا الاختبار سوى اسبوع واحد ولا يكلف اكثر من الف دولار، في حين ان الطريقة العادية التي تستخدم فيها القوارض يستغرق تطبيقها ثلاث سنوات وتكلف ما يقرب من ٤٠٠٠٠٠ دولار.

الامل البعيد - واذا كانت هذه الطرق لا تغني، حتى الآن، عن استخدام بعض الحيوانات في اجراء الاختبارات النهائية التي تحدد سلامة اي مركب كيميائي، الا انها يمكن ان تنقذ حياة حيوانات اخرى لا حصر لها كانت ستذهب ضحية الاختبارات الاولية.

ويقول العالم البريطاني د.هـ. سميث في كتابه "بدائل التجارب على الحيوانات" ان هناك املا بخفض هذه الاعداد المتزايدة باطراد من حيوانات التجارب، ولكنه استبعد امكان الاستغناء القريب عن هذه الحيوانات، ثم سأل: "هل يعني هذا أننا نستطيع ان نفرض على الحيوانات أي معاناة، مهما بلغت قسوتها في سبيل ارضاء الفضول العلمي، على امل ان يثبت نفع ما نفعله ذات يوم؟ ان هذا في نظري امر غير مقبول اطلاقاً".

أما الاختصاصي في علم النفس البريطاني ريتشارد رايدر فهو يوجه اللوم الشديد الى الباحثين لانهم يريدون التمتع بميزتين متناقضتين في آن. فهم يدافعون عن عملهم من الناحية العلمية استناداً الى اوجه التشابه بين البشر والحيوانات، ثم يدافعون عنه خلقياً استناداً الى الاختلافات بين البشر والحيوانات.

وهنا تكمن العقدة الكبرى: ذلك ان هذه الاختلافات لم تعد محددة بوضوح مطمئن كما كانت الحال من قبل. فنحن نعلم الآن ان بعض الحيوانات يتمتع بذكاء يفوق ذكاء بعض البشر، مثل الاطفال الرضع والافراد الذين يعانون التخلف العقلي الشديد. ويسأل رايدر: "لنفرض ان مخلوقات تفوقنا ذكاء جاءت من مكان آخر في الكون واكتشفتنا، فهل تكون تلك المخلوقات آنئذ على حق في اجراء التجارب علينا نحن؟".

■ باتريشيا كيرتيس



فلك نوح!

في لقاء عقدته جمعية للبحوث العلمية في مدينة فونتانا (ولاية ويسكونسن الامريكية)، تولى رئيس الجمعية تقديم احد رؤساء اللجان، واسمه شلبي شلبي، بأنه ينتمي الى شركة جونسون آند جونسون، إلا أن مركزه ليس مدينة والا والا. وعلق السيد شلبي على ذلك التقديم بأنه يحمل شهادتي دكتوراه، مما يعني انه الدكتور شلبي شلبي من شركة جونسون آند جونسون.

ب. ل.

لون العيون

أعلن دان لاندرز، استاذ التربية البدنية في جامعة بنسلفانيا، انه وزملاءه اجروا دراسة توصلوا فيها الى ان ذوي العيون البنية او العسلية اسرع استجابة من ذوي العيون الزرق. وتزيد استجابة الناس كلما ازداد قتام عيونهم، مما يعني ان اللون البني الادكن يفوق البني الفاتح في هذا المجال.

ويذهب لاندرز الى أن احد الاسباب عائد الى مادة الميلانين التي تعطي العينين لونهما. ويقول انه يمكن ان تكون للميلانين علاقة وراثية بمادة في الجهاز العصبي وظيفتها تسريع حركة الاعصاب. ويضيف لاندرز: "كانت تلك نظرية سريعة لم اعرها اهتماماً بالغاً في البداية. إلا أن الفحوص التي اجريناها في مختبر العلوم السلوكية اظهرت أن ذوي العيون القاتمة ادعى الى الحركة واسرع، بغض النظر عن الجنس والعرق والوضع الاجتماعي والاقتصادي وبقية العوامل التي درسناها".

مجلة "الحياة الجامعية"

٥ شروط للزواج الناجح

في الخطبة يتولى اثنان عرض شخصيتين ابدعاهما لتلبية حاجات الساعة. والزواج يبدأ فعلا حين يخلع كلّ منهما قناعه

قال الكاتب الساخر ساموبل رودجرز من القرن التاسع عشر: "لا يهم من تتزوج بما أنك ستجد حتماً صباح اليوم التالي انه كان شخصاً آخر".

صحيح أنّ الساخرين يبالغون دائماً. لكنه صحيح ايضاً أن مراحل الزواج الاولى التي يبدأ فيها الشريكان معرفة احدهما الآخر هي مزيج من الحلاوة والمرارة. ويجمع الخبراء على أن هناك خمسة امور محددة ـ وقد سميناها "تحديات" ـ من شأنها احداث الاضطراب في هذه الفترة، وأن السيطرة عليها شرط لنجاح الزواج.

التحدي الاول: معرفة الذات

إن معرفة ذواتنا هي شرط النجاح في اي علاقة. وهذه المعرفة تعني فهم الانفعالات التي تختلج في نفوسنا والرغبات والحاجات التي تحفزنا والمخاوف التي تجابهنا. ويقول هيربرت غليبرمان، أحد مؤسسي الجمعية الامريكية للمحامين المختصين بالقضايا الزوجية، ان هناك عنصراً مشتركاً بين تجارب معظم زبائنه. "فالعديد من الشبان غير واثق من نفسه. ولأن الواحد منهم لا يعرف ذاته، فهو لا يشعر بالراحة مع شريكه".

بيد أن الاطمئنان تجاه "الأنا" في الداخل ليس بالمسألة البسيطة. وبعض الناس يختارشريكاً يظن أنّ في استطاعته ان يستمد منه القوة والقدرة على مواجهة العالم. لكنّ المشكلة هي أن الآخر ربما كان يبحث عن الامر نفسه. ويصف غليبرمان هذه الحال بأنها حال "شخصين يقفان على ارجل ضعيفة". وربما وقف عدم الاطمئنان الذي يعانيه الزوجان في طريق المودة الزوجية.

وتقول مارلين موريس، التي تطبق العلاج النفسي على ازواج ينشدون المودة ويخشونها في آن، أنّ الواحد منهم يظنّ أنّ اقترابه من الآخر يغرّبه عن ذاته. "وربما شاء الاثنان إقامة المودّة ولكن جهلا كيف يتم ذلك. ولن يتمكن أحدهما من قبول شريكه إلاّ بعد أن يبدأ معرفة نفسه".

وليست هناك طريقة جاهزة

وبسيطة لإقامة الود، كما أنه ليست هناك طريقة جاهزة لاكتساب حسّ قويّ بالذات. والأمران يستدعيان البحث عن الهوية واتخاذ القرارات. وعلى كلّ امرىء أن يسأل نفسه: "ماذا اريد أن أفعل في حياتي؟ ومع من اريد أن أفعل ذلك؟" كما أنّ الامرين المذكورين يستدعيان الجرأة على التغيير. والتغيير ممكن إذا انطلق المرء من الحبّ الزوجي والرغبة في حياة مشتركة والتصميم على ركوب الاخطار النفسية. وهكذا يحصل النموّ في المعرفة وتتحقق المودة الفعلية.

التحدي الثاني: معرفة الشريك

كم هو الوقت اللازم لمعرفة الشخص الآخر على نحو صحيح؟

قد تلزم ذلك حياة كاملة، هذا اذا كنا مكبين. وربما كان أحدنا يشارك الآخر في سرير وبيت وحياة يومية، لكن فهم تكوين الآخر بكل تعقيداته، ثم ربط شؤونه بشؤوننا، يقتضي وقتاً طويلاً. وقد نباشر عملية الفهم بالحبّ والرغبة الجنسية والاعجاب، لكنّ ذلك ليس كافياً. فهناك حاجة ايضاً الى رؤية واضحة.

في حياة كلّ منا مرحلة تتسم بنظرة مثالية الى المحبوب لا تنسجم، في الغالب، مع الشخص الحقيقي. ولدى اكتشاف الفوارق بين المثال والواقع، ليس من السهل قبولها. وتشير هذه الفوارق الى قصر نظر من جانبنا. كما أننا بطيئون جداً في التخلي عن الاوهام الرومنطيقية لكي ننظر واقعياً الى من نحب، فنراه في ضعفه وقوته، في ما يحب وما يبغض، في تفضيلاته واهتماماته التي قد تختلف عن تفضيلاتنا واهتماماتنا. والسر هو أن نحيا وندع الآخر يحيا. فحين تتلاقى القيم والمواقف، يمكن الزوجين الابتهاج بالمشاركة. أما حين تختلف، فيجب تقدير الفوارق.

ويقول عالم الاجتماع روبرت وينش في كتابه "العائلة العصرية" انّ ضرب المواعيد بين العشاق يشبه "التبضع من واجهات المحلات". أما الخطبة فهي "عملية مفاصلة"، يتولى فيها اثنان عرض شخصيتين ابدعاهما لتلبية حاجات الساعة. اذاً، فان كلا منهما يلبس قناعاً. ويجمع الخبراء على أن الزواج يبدأ فعلا حين تُخلع الاقنعة.

واحدى الطرق لفهم شريك حياتنا هي أن نكون صريحين معه ونعبر له عن حقيقة مشاعرنا. وكلما كشفنا له عن ذاتنا على نحو سليم، زادت ثقتنا به وسهل انفتاح الواحد على الآخر. كما أنّ للاصغاء المتفهم أهمية كبرى في معرفة الآخر فعلا.

التحدي الثالث: معرفة الوالدين

كيف نوازن بين انطباعاتنا حول زواج اهلنا ومتطلبات زواجنا نحن؟

لقد وجد الخبراء أنّ المتزوج حديثاً ينزع الى التفكير كالآتي: "لن أكرر الاخطاء التي ارتكبها والداي"، أو: "لقد كان زواج والدي رائعاً. وليس هناك سبب كي احيد عن مثلهما".

وقد تبين للخبراء، مرة بعد أخرى، أنّ المرء لا ينفصل عما نُشىء عليه بالسرعة او بالنسبة التي يدعيها. لكنه، بالاحرى، يحمل على ظهره حقيبة الطفولة والمراهقة والبلوغ، التي لا تبارحه وهو زوج وأب. ويقول

احد الخبراء انه قابل ازواجاً كثيرين افزعهم أن يكتشفوا، في سني زواجهم الاولى، "أنهم أقرب الى والديهم مما ظنوا أو ارادوا".

ويقتضي الزواج أن يصل الشخص الى تعريفه الخاصّ لعبارات من نوع "زوج"، "زوجة"، "زواج" "واجبات". ويقول الباحث الامريكي المرموق والعامل في ميدان العلاج النفسي كارل رودجرز إنّ على الشخص فصل ما يتوقعه من نفسه ومن شريكه عن أفكاره حول والديه، لأنه، من دون هذا الفصل، لا يتمكن شخصان من "مواجهة احدهما الآخر في الزمن الحاضر".

والتحدي الحقيقي هو أن يكتفي المرء بتبني الجوانب الصالحة من حياة ابويه الزوجية ويكمل الصورة الزوجية بعناصر منه ومن شريكه. واذا كانت هناك جوانب من حياة الابوين الزوجية لا تنسجم مع الصورة التي وضعناها لزواجنا نحن، فمن الحكمة ابقاء تلك الجوانب خارجاً.

التحدي الرابع: فهم حياتنا الجنسية

صرحت زوجة في الثامنة والعشرين، مضت سنتان على زواجها، للمعالجة النفسية مارلين موريس بالآتي: "أعرف أن الطريق الى قلب الرجل تمر بأعضائه التناسلية".

ويعود ما تسمعه مارلين موريس من هذا الرأي اللاذع الى رغبة معظم النساء في ان يشعرن بأن هناك رجلا قريباً منهن. لكنها، معظم الاحيان، تستمع الى شكاوى من العزلة الجنسية، حيث تكون الميول والرغبات والمشاعر غير معبر عنها، وحيث يبقى احد الزوجين (أو الاثنان) صامتاً وخائباً ووحيداً.

إنّ فتنة الجنس يمكن ان تزداد خلال سني الزواج الاولى. كما يمكن ان تذوي بين ليلة وضحاها نتيجة الضغوط والواجبات في المنزل والعمل والعلاقات الاجتماعية والمشاكل المالية. وهكذا تتحول التجربة التي يجب أن تنشأ في تربة الراحة والعطف والمحبة الى عمل تتحكم به السرعة وغياب التفكير وعدم الاشباع.

وتقول مارلين موريس: "من الضروري أن يتكلم الشريكان عما يحبه كل منهما ويكرهه، وخصوصاً عما يبغيه من الجنس، وذلك ليس من أجل المتعة فحسب ولكن من أجل اضافة تعابير جديدة الى قاموس الحب. ان الجنس، بالنسبة الى الرجل، يعني الجماع معظم الاحيان. لكنه، بالنسبة الى المرأة، اوسع نطاقاً اذ يشمل، اضافة الى الجماع، أشياء اكثر رقة وعذوبة بينها الاستلطاف والحنان... وتقول المرأة غالباً: لا يمكنني أن اعبر عن عاطفتي تجاه زوجي لاني حين ابدأ ذلك فسرعان ما يريد الجماع، في حين قد لا اريد سوى لمسه وتقبيله تعبيراً عن حبي له.

ان حل هذه المشكلة هو التفاهم. وعلى كلّ زوج أن يبذل قصارى جهده لنقل مشاعره الى شريكه بمحبة ومن غير أذى. وهكذا لا يعود الجنس منفصلا عن الزواج، بل يصبح جزءاً منه لا يتجزأ، ويستأهل التقدير".

التحدي الخامس: تكييف الادوار

لقد طرأت تغيرات حاسمة في

الآونة الاخيرة على العلائق بين الجنسين والادوار المتوقعة من الرجال والنساء في المنزل والعمل. ويقول المحامي هيربرت غليبرمان: "هناك تبدل أكيد في مواقف الرجال التقليدية. فالازواج باتوا عموماً يقبلون تحمل المسؤولية في شؤون المنزل وتربية الاطفال".

ويهز خبير آخر رأسه قائلا: "أن معظم الازواج غير متأكدين من أنهم يريدون التخلي عن القيم والطرق القديمة. وفي بداية الزواج، ليست هناك افكار محددة عن ادوار كل من الزوجين. كما أنه ليست هناك نماذج جديدة لهذه الادوار. لكن الازواج، ولاسيما النساء، يريدون الرجوع الى الماضي والاعتصام بالطرق القديمة".

ويقول أحد علماء النفس: "ان الازواج اليوم يحاولون تحسس شؤون احدهم الآخر. لكن الصراحة والانفتاح حيال هذه المسائل ليسا بالأمر السهل، خصوصاً بالنسبة الى الرجال. واذا تصورنا رجلا أمكنه أن يقول بخفة: "لقد انزلت عن كاهلي عبء الاعالة"، فلا يمكن تعميم هذه الصراحة على جميع الرجال. وأظن أن الشباب وحدهم يمكنهم اللجوء الى حلول من هذا النوع".

إن التغيير، أي قبول الادوار الجديدة، هو جزء من عملية النضج. لكن الازواج يجدون أن النضج عادة لا يحصل تلقائياً، وان عليهم السعي اليه. إلا أن هذا النوع من النضج الذي ينطوي على تحمّل المسؤولية وتعميق المشاركة، يحمل معه مقداراً أكبر من السعادة في نهاية الامر.

والاتفاق على طرق جديدة لاقتسام مسؤوليات الحياة الزوجية يأخذنا من جديد الى التحدي الاول، وهو معرفة هويتنا وفهم ذواتنا. والواقع أن التحديات الخمسة التي ذكرناها مترابطة في ما بينها.

أننا نتزوج على أساس من المحبة والرجاء، بعد أن نكون وجدنا احداً يشاركنا في حياتنا. واذا قبضنا على زمام هذه التحديات، نكون قد حققنا خطوة جبارة نحو مستقبل مفعم بالفرح وتحقيق الذات.

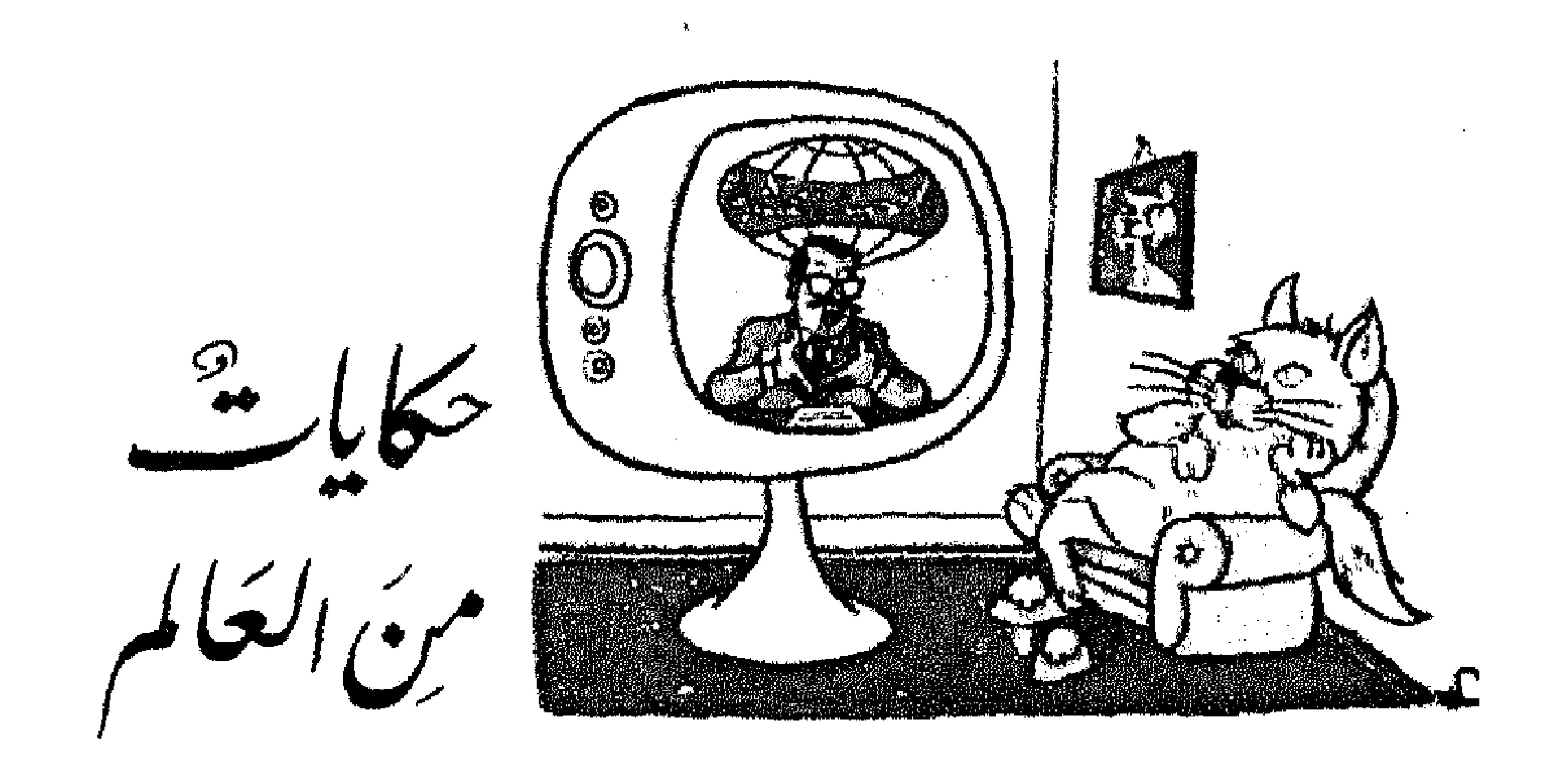
■ جوديت بارنارد ومايكل فاين

الكاتبان زوجان يضعان مؤلفات في حقل الزواج

الايام الضائعة

في مقابلة اذاعية، سئل مستيسلاف روستروبوفيتش، المدير الموسيقي للاوركسترا السمفونية الوطنية في الولايات المتحدة، اذا كان صحيحاً انه تزوج امرأته غالينا فيشنفسكايا، مغنية الاوبرا المعروفة، بعد اربعة ايام فقط من تعارفهما. فأجاب بحزن ظاهر: "نعم! لقد اضعت اربعة ايام".

ج.ش.



جولييت القرن العشرين

على رغم ان جولييت التي تكلم عنها شكسبير في مسرحيته الشهيرة "روميو وجولييت" لا تعيش في بلدة فيرونا الايطالية ولا في اي مكان آخر، الا ان ادارة البريد في فيرونا تتلقى نحو مئة رسالة حب شهرياً، بلغات مختلفة، موجهة الى جولييت.

ويحيل البريد هذه الرسائل على البلدية حيث تطوعت باولا سيلا، وهي طالبة اقتصاد، لقراءة الرسائل والاجابة عنها في اوقات فراغها. وهكذا اصبحت هذه الفتاة سكرتيرة جولييت غير الرسمية.

د.ج.هـ.

الهنود اخترعوا القبلة

هناك مادة يدرسها الاستاذ فون بريانت، رئيس دائرة الانتربولوجيا (علم الانسان) في جامعة تكساس، اسمها "اصل القبلة" ويقول ان هذا التقليد اخترعه سكان الهند قبل اربعة آلاف سنة.

فقد وجد بريانت في كتابات الشعب الهندي "اشارة الى التحية بحك الانوف بعضها على بعض. وليس صعباً ان نتصور الخطوة اللاحقة، وهي التقاء الشفتين. والذي حدث له هذا وجد فيه اثارة اكبر من السلام بالانف".

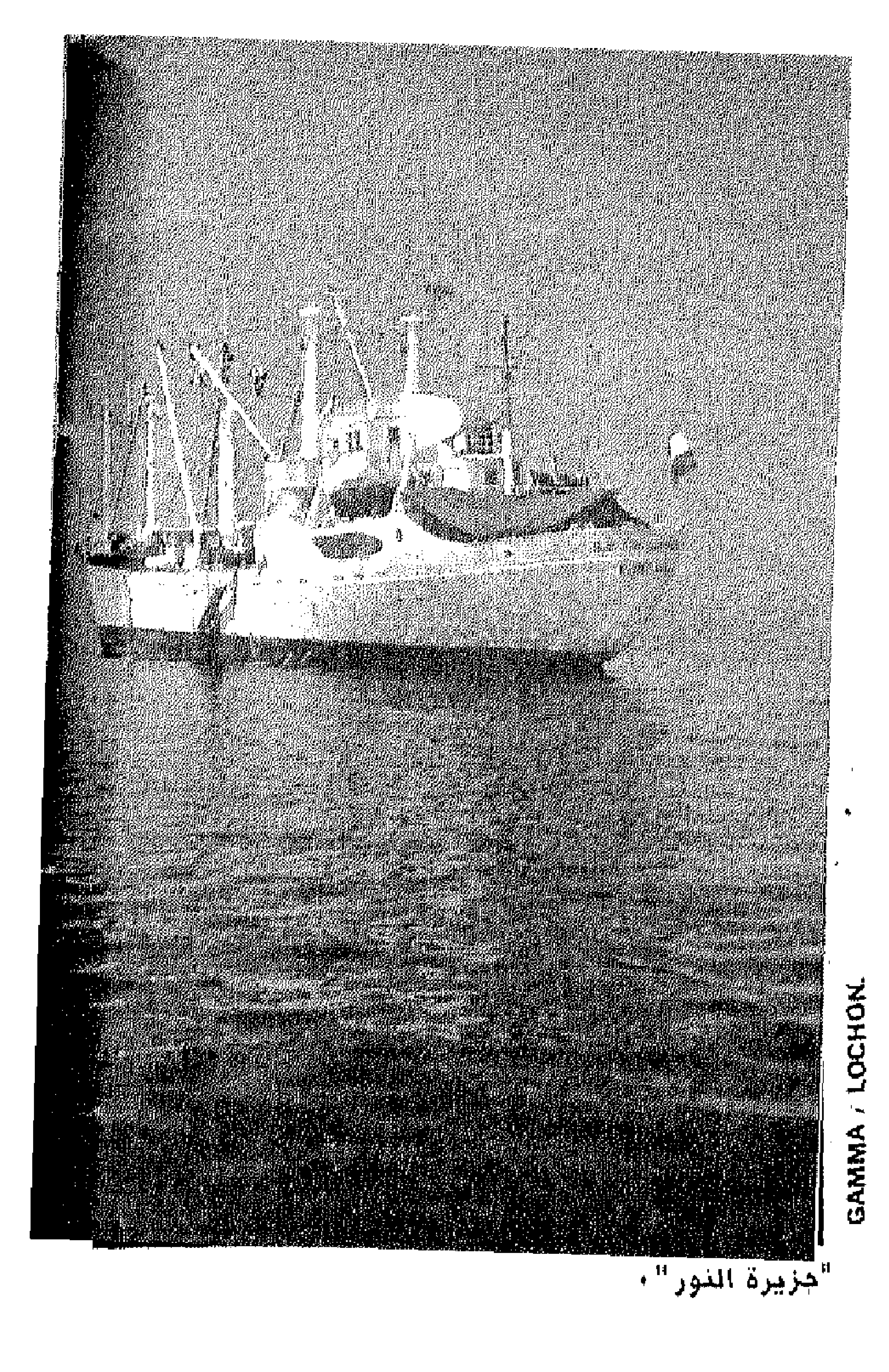
ويضيف بريانت ان الرومان، في زمن لاحق، طوروا فن القبلة وحملوه معهم اينما ذهبوا حتى ليصح اعتبارهم مبشري هذا الفن.

"النيويورك تايمس"

حمام الهناء

الغناء في الحمام من الامور المألوفة لكن معظم الناس لا يحفظون كلام الاغنية كلها غيباً. وهذا اعطى احدى الشركات فكرة صنع علب صغيرة تحوي الواحدة منها ثماني اغنيات مطبوعة على ورق صقيل مقاوم للماء. وتقول التعليمات: الصق العلاقة على جدار الحمام، ثبت الورقة عليها. والان غنِّ اغنيتك.

ر.هـ.


GAMMA / LOCHON

"جزيرة النور".

سَفينة الرّجَاء

طوال ١١ اسبوعاً راح فريق طبي فرنسي يعمل على متن "جزيرة النور" التي حوّلت مستشفى، مكرّساً علمه ووقته وعطفه لاعانة بعض بؤساء هذا العالم

بدت جزيرة بولاو بيدونغ الماليزية كالجنة تحت ضباب الصباح الرقيق. وكان شجر جوز الهند يرتفع على امتداد شاطئها الرملي. ووقفت سفينة بيضاء على بعد ٣٠٠ متر من الشاطىء، انحدر منها ١٢ راكباً الى زورق بخاري أنزلهم على أرض الجزيرة.

وما هي إلا دقائق حتى اختفت رمال الشاطىء تحت مدّ بشري هائل. فقد تجمع هناك عشرة آلاف شخص، وربما ١٥ ألفاً، من "لاجئي القوارب"، وهم بعض من مئات آلاف اللاجئين الذين استقلوا مراكب صغيرة وتحدّوا أهوال بحر الصين للهرب من فيتنام.

وقد هلك عدد كبير منهم في عرض البحر وانتهى آخرون الى مخيمات للاجئين كتلك التي اقيمت في جزيرة بولاو بيدونغ. وحين لامس الزورق البخاري الذي يحمل عدداً من الأطباء الآتين من فرنسا، ترافقهم ممرضة، رصيف الميناء، ارتفعت صيحات الترحيب الحماسية من الجموع المحتشدة.

كان ذلك في ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٧٩. وقبل خمسة أشهر فقط، كان عدد قليل من الأشخاص الذين أسسوا جمعية صغيرة يؤمنون بجدوى ذلك العمل الانساني. والأفراد المؤسّسون هم الكاتبان جاك وكلودي بروييل

رئيسة الجمعية)، وفرنسواز غوتييه، هي ربة منزل عملت أمينة صندوق جمعية، والمحامي جاك ميكيل، استاذ القانون ماريو بيتاتي. وقرّ أيهم على تخصيص سفينة لمساعدة ولئك اللاجئين الآسيويين في البحر. تعاون معهم الدكتور برنار كوشنيه بعدد من زملائه في جمعية "أطباء بلا حدود"، وقوامها أطباء فرنسيون كرّسوا جهودهم، منذ العام ١٩٧١، لاعانة ضحايا الحروب والكوارث الطبيعية.

وطُلب الى الدكتور كوشنيه أن يكون ناطقاً باسم الجمعية. فعقد مؤتمراً صحافياً قال فيه: "عندما ترون الناس يغرقون، ترمون إليهم عوامة صغيرة. أما نحن فنريد أن نرمي إليهم سفينة كاملة". وللحال أخذت المساعدات تنصبّ على المؤسسة. فنظم أطفال بلدة دارني حفلة موسيقية جُمع فيها ٣٠٠٠ فرنك فرنسي. وجمع السجناء في إصلاحية بلدة "سان مارتان دو ري" ١٦٠٠ فرنك. وقدم متبرع من باريس ٥٠٠ فرنك من مدّخراته. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، كان هناك مليون ومئتا ألف فرنك في خزينة الجمعية.

لكن وزارة الخارجية الفرنسية قابلت ببرود خطة مساعدة اللاجئين في البحر لما تنطوي عليه من تعقيدات ديبلوماسية. وهكذا فعل المدير العام لوكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. ويقول الدكتور كوشنيه: "ذلك جعلني افكر في تحويل سفينة الى مستشفى وارسائها قرب احد مخيمات اللاجئين في جنوب شرق آسيا، وربما في جزيرة بولاو بيدونغ". ووافقت وزارة الخارجية الفرنسية على تلك الخطة المعدّلة، وتوسط مدير وكالة غوث اللاجئين رسمياً لدى حكومة ماليزيا لتسهيل المهمة. وهكذا سُمح لسفينة البعثة الفرنسية بأن ترسو شهراً واحداً على شاطىء بولاو بيدونغ، ثمّ مُدّدت الفترة الى ١١ شهراً تم فيها بناء مستشفى على الشاطىء ليجهّز بفريق أطباء فرنسي.

في ذلك الوقت كانت هناك سفينة شحن راسية في مياه "كاليدونيا الجديدة" (مستعمرة فرنسية جنوب غرب المحيط الهادىء) ويمكن استعمالها لتلك الغاية. وطُلب من برنار كوفير، وهو ربان سفينة شحن متقاعد، أن يستقل الطائرة ويذهب لمعاينة السفينة. وكان للسفينة اسم باعث على التفاؤل: "جزيرة النور" (★). وكان صاحبها، ميشال كوردييه، متزوجاً امرأة فيتنامية ويمارس دوراً في جمعية اخرى لاعانة لاجئي القوارب. ووافق فوراً على تأجير السفينة التي نالت إعجاب الربان كوفير. وتم تجهيز السفينة بغرف للعمليات والتصوير بالأشعة والتوليد والمختبر، ووُضع فيها ١٢٠ سريراً وكمية كبيرة من الأدوية والمعدات الطبية، وذلك في إشراف كوفير وبتبرعات سكان كاليدونيا الجديدة التي خفضت الكلفة الى الثلثين.

المستوصف المركزي ــ عندما نزلت المجموعة الطبية الاولى على شاطىء

★ Ile de Lumière

بولاو بيدونغ في ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٧٩، واجه أفرادها ٣٦ ألف شخص محشورين في فسحة لا تتجاوز مساحتها الكيلومتر المربع، على رغم ان منظمة الصحة العالمية نصحت بأن يكون الحد الأقصى في مساحة كهذه ٣٠٠٠ شخص. لكن تلك الالوف أقامت هناك، تتهدّدها الكوليرا والطاعون والتيفوئيد والتيفوس. وكان بين اللاجئين ستون طبيباً فيتنامياً وثمانون أو تسعون ممرضة وقابلة، ولكن لم يكن لديهم عقاقير أو لقاح أو معدات طبية. وكل ما كان هناك كوخ من الحديد المموج سُمي "مستوصفاً مركزياً" وأُرسل اليه المرضى الذين يواجهون خطر الموت. وقد شُيد ذلك الكوخ تحت الشمس الحارة، وكانت معداته أربع حشايا من القش استُعملت أسرّة، وبرّاداً قديماً يعمل بالزيت. وفي ذلك المستوصف عاين الطبيبان برنار كوشنيه وجان كلود سينيشال الدفعة الاولى من المرضى بعد ساعة من وصولهما.

أما في غرفة العمليات في عنبر السفينة فكان الحر شديداً على رغم مكيفات الهواء. وراح الجراحان باتريك لابورت واريك شيسون يعملان بلا توقف بعد وصول المريض الأول الذي كان اسمه لي وكان يعاني التهاباً حاداً في الصفاق (الغشاء المصلي الشفاف للتجويف البطني). وقد ارتدى كل من الجراحين سروالا قصيراً وثوباً فضفاضاً أخضر وخفين مطاطين. وفي أقلّ من ساعة فرغا من الجراحة بنجاح.

وحمل المريض الثاني الذي أُصيب بكسر ملأه الالتهاب وكان يحتاج الى تجبير. ويتذكر الدكتور لابورت أن "الحر كان أسوأ ما في الأمر. وكان علينا الركض الى الحمام بين جراحة واخرى لننعش أجسادنا بالماء". وكانت الممرضة جيزلين مارتان تتنقل كالمكّوك بين غرفة العمليات وغرفة "العناية الفائقة" حيث وُضع نحو ٣٠ طفلا وُصلت انوفهم بالأنابيب وأذرعهم بابر مصل الغلوكوز (مادة سكرية) لمعالجتهم من نقص الماء الشديد من أجسادهم.

وكان الظلام حالكاً والرطوبة مرتفعة جداً حين صعد الجراحان لابورت وشيسون الى السفينة وقد أعياهما التعب. وفجأة سمعا صرخة توجها على أثرها الى حافة السفينة. وارتفعت أصوات تقول: "لاجئو القوارب! لاجئو القوارب!" وحمل الزورق البخاري التابع للسفينة ١٧ شخصاً من رجال ونساء وأطفال هدّهم الارهاق.

ولم يكن بين اولئك الوافدين سوى امرأة شابة بقي لديها بعض النشاط وتمكنت من أن تروي كيف تاهوا ١٦ يوماً في بحر الصين بلا طعام أو شراب. واعترضت الشرطة الماليزية مركبهم وأجبرتهم على الرجوع الى البحر. ومات منهم خمسة أشخاص قُذفت جثثهم عن ظهر السفينة. وأخيراً لفظ الموج مركبهم عند الغروب على خليج صغير شمال بولاو بيدونغ. وهناك عثر عليهم الدكتور كوشنيه ومعاون ربان "جزيرة النور" ورنر برينيول. وكانوا في حاجة الى عناية مركّزة ومستمرة طوال ٤٨ ساعة لاعادتهم الى الحياة.

وعلى سريره في غرفة الأطباء

المشتركة، كتب الجراح لابورت في مذكراته الليلية: "لقد انقطعت أنفاسنا وتلاشت أصواتنا. ولم يبقَ لواحد منا سوى غصة في حلقه".

البؤساء – في الأيام التالية قام الأطباء بزيارات خاطفة الى بيدونغ اظهرت لهم البؤس المخيم على اللاجئين. وقد حُشر عشرون شخصاً في كل من الأكواخ الحقيرة التي رُفعت على ركائز خيزران غارت في الوحل. واستُعملت أكياس النايلون كسقوف وجدران لتلك الأكواخ. أما الأسرّة فكانت أكواماً من الأشجار الصغيرة. وكانت الحرارة ٤٠ درجة مئوية، وماء الشرب الوحيد يأتي كخيط هزيل من مضخة واحدة. وكان الناس أحياناً يقفون ١٥ ساعة في طابور طويل للحصول على مقدار ضئيل من الماء. وكانت الآبار التي حُفرت قد نضبت سريعاً أو تلوّثت بما تسرّب اليها من اقذار وأوساخ بشرية. ولم تنشىء جمعية الهلال الأحمر الماليزية، وهي ممثلة وكالة غوث اللاجئين، مراحيض أو مجامع للاقذار. واكتفت بتوزيع الرز والحليب المجفف والحبوب المعلبة والدجاج مرتين في الاسبوع.

وقال لي الدكتور كوشنيه: "من أجل التصدّي الفعال لهذه الظروف الحياتية البائسة، كان علينا وضع نظام للعمل نتقيد به". فكان الأطباء يجتمعون حول طاولة الفطور في الثامنة صباحاً. ويبدأ اثنان منهم، برفقة الممرضة، عيادتهم اليومية الاولى، فيما ينطلق الجراحان الى غرفة العمليات ويباشر طبيب آخر التحاليل في المختبر. ويقول الدكتور سينيشال: "بما أن أحداً منا ليس اختصاصياً في التحليل، فقد تناوبنا العمل في المختبر".

وعند الظهر كانت تُمَدّ طاولة الغداء على ظهر السفينة ويلتهم أفراد الفريق طعامهم بسرعة. وفي الثانية يركب الطبيب المعيَّن للخدمة على الجزيرة الزورق البخاري الذي يعود به في الرابعة ومعه المرضى الذين يحتاجون الى دخول المستشفى. وفي السادسة يعود اللاجئون الذين تطوّعوا للخدمة على "جزيرة النور" الى الشاطىء في المركب البخاري.

وكان أفراد الفريق يتناولون طعام العشاء في الثامنة، على أمل ان يقضوا المساء في الاسترخاء والراحة. ولكن لم يمرّ مساء واحد من غير أن يدعى الأطباء والممرضون لمعالجة مريض طرأ على حاله خطر داهم.

ولم يمض وقت طويل حتى بات نجاح البعثة يعتمد على مساعدة اللاجئين أنفسهم. فقد توجه أطباء فيتناميون مع ١٢ ممرضة لمساعدة الفريق على ظهر السفينة، فيما عمل آخرون كمترجمين. وكان الحر يمنع خزن الدم في جوّ يبقيه صالحاً، فشكلت مجموعة متطوعين للتبرع بالدم في الحالات الطارئة. وكان عمال الكهرباء الفيتناميون يهرعون الى السفينة كلما توقف أحد مولدّي الكهرباء عن العمل.

أعيُن جاحظة – كانت أكثرية اللاجئين الى بيدونغ مؤلفة من الأحداث. فهناك ٥٠ في المئة دون الثامنة عشرة ونحو ٢٠ في المئة دون

الخامسة. وكان معظم الذين يتجاوزون سن الرضاعة يعانون سوء تغذية. ويقول الدكتور سينيشال: "حُمل الأطفال إلينا بالعشرات، وكانوا شاحبين وبلا شعر وأعينهم كبيرة وجاحظة. واذا أغراهم أحد على النظر اليه أشاحوا بوجوههم بعيداً. وقد حُمل بعضهم الينا وهو على الرمق الأخير، فلم نستطع إنقاذه بأيّ وسيلة".

ومن هؤلاء فو - مي - آن، وعمرها ١٨ شهراً، لكن وزنها لم يتجاوز وزن مولود جديد. وقد جيء بها إلينا شلواً أجهده الاسهال والتهاب اللثة والجَرَب. وتناوب الأطباء والممرضة جيزلين التي لا يعرف التعب اليها سبيلا البقاء الى جانب الطفلة أربعة أيام بلياليها، يحرصون على تثبيت المحقنة الوريدية وحسن دخول الاوكسيجين وعدم حدوث نوبة قلبية. وفي مساء اليوم الثالث تحسنت حال فو وظهر الابتسام من جديد على وجه أمّها، لكنها انتكست على نحو مفاجىء في السادسة والنصف من صباح اليوم التالي.

ويتذكر الدكتور لابورت قائلا: "كان دوري في العمل. وخضت تلك المعركة حتى النهاية. إلاّ أنّ فو - مي - آن لم تصمد أمام النوبة القلبية الثالثة. وألبستها امها ووضعت على رأسها قبعة صغيرة مزينة بالشرائط، ثم حملت الجثمان بين يديها وجلست ساعات تبكيها. وعلى رغم اني اواجه مشاهد الموت يومياً، إلاّ أني ذلك الصباح شعرت للمرة الاولى بالرفض يملأ كياني".

وعلى الطاولة نفسها وُلدت طفلة بعد ساعتين من رحيل فو، وهي المولود الأول على ظهر السفينة، وأطلقت عليها امها اسم داو - آن - سانغ الذي يعني، في اللغة الفيتنامية، "جزيرة النور".

لم تكن "جزيرة النور" مستشفى عائماً فحسب، بل كانت أيضاً سفينة تحنو على أيتام كثيرين. ومن اولئك فتى في الثانية عشرة اسمه دونغ، وقد هرب من فيتنام مع خمسة اخوة وأخوات له بعدما عجز والداهم عن تأمين المال الكافي لاعالتهم. ومنحت دائرة الهجرة الاوسترالية تأشيرات سفر للاخوة والأخوات الخمسة، لكنها لم تمنح دونغ تأشيرة لاعتلال صحته. وأصبح طاقم السفينة يعتبر دونغ جالب الحظ السعيد. وأطلق عليه الربان فرنسوا ابرلان لقب دونغ - دونغ تحبباً، وأبقاه الى جانبه. وعلمته الممرضة جيزلين، بمساعدة الجراح لابورت، اللغة الفرنسية. وكان طبيب التخدير فلادان رادومان يطمئنه دائماً بقوله: "لا تخف يا دونغ، فاننا لن نتركك". وبرّ رادومان بوعده. واليوم يعيش دونغ مع الدكتور رادومان وزوجته وأطفالهما الأربعة في مدينة نيس الفرنسية.

وهناك شخص آخر اسمه لو وصل الى بيدونغ ومعه سروال قصير وقميصان. وكان لو طالب طبّ لكنه في بيدونغ عمل على ظهر المستشفى العائم وأضحى، في وقت قصير، صديقاً للطبيبين لابورت وشيسون. وما ان عاد هذان الى فرنسا حتى ساعدا لو في الحصول على تأشيرة هجرة. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٩، بدأ

و يحضر صفوف الطب في جامعة وان، المدينة التي يمارس فيها جراحان مهنتهما.

داعاً يا بيدونغ — في الثانية عشرة الدقيقة الخامسة والأربعين عصر لجمعة ٥ يوليو (تموز) ١٩٧٩، أطلقت "جزيرة النور" أعنة الرحيل. وكانت لأسابيع الأحد عشر شهدت ثلاث جموعات متعاقبة من الأطباء الذين عالجوا ١٩٢٥ شخصاً على ظهر السفينة وأجروا ١٥٥ جراحة استُعمل فيها البنج العمومي، فضلا عن ١٨ عملية توليد شاقة اجريت ثلاث منها بالطريقة القيصرية. كما التقطوا ٥٠٠٠ صورة بالأشعة لارسالها الى السلطات المختصة بشؤون الهجرة في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا. وقاموا بحملة تلقيح واسعة. وكان المستشفى العائم مجهزاً بسبعين سريراً ومعدات جراحية ومخبرية ومولد كهرباء ومحروقات وعقاقير.

وكان أعضاء الفريق لا يزالون متأثرين بحفلة الوداع التي اقيمت على شرفهم الليلة السابقة. فقد تحلق اللاجئون على ظهر المستشفى العائم وقدموا الى أفراد الفريق هدايا تذكارية من صنعهم، وهي مشابك شعر حُفرت من خشب جوز الهند وميداليات ودبابيس زينة قُصَّت من العلب الفارغة. وعانقت جيزلين المرضى واحداً واحداً، وهمست "وداعاً" في آذان الأطفال الذين اعتنت بهم طوال أسابيع. وحيا الدكتور كوشنيه اولئك الرجال والنساء الذين "كانوا يصارعون الأقدار حفاظاً على كرامتهم".

ولم يخلُ الوداع من ذكريات أليمة، خصوصاً عندما شُرع باخلاء الأسرة من المرضى الذين كانت حال بعضهم لا تزال سيئة. غير أن تعليمات السلطات الماليزية كانت صارمة: لا يحق لأي لاجىء مغادرة الجزيرة على ظهر تلك السفينة.

وفي الاولى من بعد ظهر ذلك اليوم، كان في وسع الذين أبحروا على متن "جزيرة النور" أن يسمعوا رنين السلاسل وضرب مطارق العمال المشغولين ببناء المستشفى. بينما راحت السفينة تمخر المياه الرمادية. وتجمهر آلاف اللاجئين على الرصيف والحاجز الممتد في البحر يطلقون صيحات الوداع. وقال لي الدكتور ماريو دوران، بعد أشهر من عودته الى فرنسا: "لا يزال وداع بيدونغ يوجع فؤادي".

وفي ٧ يوليو (تموز) ١٩٧٩، دخلت "جزيرة النور" ميناء سنغافورة وعلى متنها ٨٣٧ لاجئاً صعدوا اليها في بحر الصين. وسُمح لهم جميعاً بدخول فرنسا بناء على تعهُّد الرئيس فاليري جيسكار ديستان. وأكملت "جزيرة النور" مهمتها بنقل الأغذية التي أرسلتها وكالة غوث اللاجئين الى جزر أنامباس الاندونيسية. وأخيراً عادت الى مكانها الأصلي، وهو مرفأ نوميا في "كاليدونيا الجديدة"، في ٧ فبراير (شباط) ١٩٨٠، بعدما رفضت السلطات الكمبودية السماح لها بنقل المساعدات الطبية الى كمبوديا وطلبت الاقتصار على نقل الغذاء. واليوم تعمل "جزيرة النور" كسفينة شحن بين "كاليدونيا الجديدة" واوستراليا ونيوزيلندة.

■ فرجيني هنري

الدراجة العفريتة



الآن، حين يوقظ البرد في عظامي وجع الجروح القديمة، اذكر التفاصيل الحية لآخر اللحظات الرهيبة القليلة التي امضيتها على دراجتي

في عهد حداثتي كان لدى معظم اترابي دراجات هوائية تتميز بجودة الصنع واناقة الشكل أما دراجتي فكانت جسماً هائلا ذا دولابين عريضين، وليد اختلاط غير شرعي بين كومة مهملة من الخردة ومتجر للسلع المستعملة، اشترتها امي بسعر بقرة حلوب من ميكانيكي محلي "عبقري" كونها بسرعة فائقة.

وكنت على استعداد، في مقابل درهمين او حتى حبة كروية قاسية من الحلوى، لضربها بعصا غليظة حتى تتلاشى انفاسها. ولكني كنت في حاجة اليها كوسيلة نقل، نظراً الى صعوبة المواصلات في تلك الايام كما في يومنا هذا.

الأسوأ — ولعل اسوأ ما في دراجتي هذه، استحالة ركوبها بطريقة تتيح

شعور بدرجة من الوقار. فمقعدها فع في شكل ثابت لا يقبل التعديل، ى مستوى شخص يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً، وكنت انا في حوالي ١٦٠ سنتيمتراً. ومقودها يوحي بأنه سروق من دراجة للاطفال ذات عجلات لاث... وكانت النتيجة المؤلمة ان ؤخري، اينما توجهت على دراجتي، كان أعلى من عظم كتفي بسبعة سنتيمترات او ثمانية.

كان المقعد من النوع الذي يصنع عادة لدراجات السباق. ولكي تكون فكرة صحيحة عما كنت اشعر به وأنا عليه، عليك ان تمضي ساعة او ساعتين راكباً نبوتاً رفيعاً احيط بمنديل. ومع ذلك، فقد كنت، بفضل هذا المقعد، اسرع مخلوق على عجلتين.

وكانت للدراجة اطوار غريبة. فما ان تبدأ بالهبوط بها على هضبة شديدة الانحدار طويلة ومنحنية، حتى يتناول جنزيرها سروالك ويدسه بين اضراس العجلة المسننة. وانها لحيلة بارعة، لا لانها تمنعك من استعمال الفرامل (المكابح) الخلفية فحسب، بل لانها تشدك مقيداً الى آلة موت تندفع في سرعة فائقة. وكم مرة انفصل جنزيرها وانت في أمس الحاجة اليه. ومن عادة هذا الانفصال ان يحدث بينما انت تحاول ان تهرب لتنجو من احد ذئاب الغابات الامريكية الشمالية الضخمة التي يستخدمها الجيران ككلاب حراسة.

ويصدف احياناً ان يبقى الدولاب الامامي ثابتاً في مكانه اسابيع عدة من دون ان ينفك ويشرد. وكنت اعتبر هذا "الانضباط" خدعة لاغرائي بالاطمئنان. ثم فجأة، وبينما أكون منطلقاً في سرعة لأصل البيت باكراً اذا بالدولاب الامامي يفلت ويبتعد فترتطم الشوكة بالارض وتقذف بي. وقبل ان الملم انفاسي، يكون الذئب منتصباً فوقي محدقاً الي كأنه يقرأ على بطني قائمة طعام ليقرر ماذا يأكل اولا.

تحد صارخ - وعلى رغم كرهي لهذه الدراجة، فلا يسعني الا الاعتراف بأنها كانت مستعدة لأن تأخذني الى حيث اشاء. كان يمكنها ان تجتاز جدولا، وتثب فوق اخشاب متراكمة، وتشق طريقها عبر الدغل. وكانت، الى ذلك، وسيلة النقل الرئيسة في رحلات التخييم.

وحتى اليوم ارى بعضهم يستخدمون الدراجات الهوائية في مثل هذه الرحلات. فهم ينطلقون على دراجات سياحية مزودة بعشر سرعات، واضعين رزمة صغيرة على رفرف العجلة الخلفي هي عدة التخييم. أما نحن، فكنا نبدو في رحلاتنا على دراجات ذات سرعة واحدة، كأننا نحمل فيلا صغيراً على المقود وأمه على المؤخر.

كان تحميل الدراجة في رحلة تخييم تحدياً صارخاً لكل قوانين الطبيعة. فالقدر الصغيرة ذات المقبض تفوق في وزنها احدى الدراجات السياحية. الى خيمة من قماش "التربولين" المشمع او المزفت تستخدم في الشتاء لتغطية اكوام التبن، وطعام معلب وفؤوس وبلطات ومناشير ومدى ضخمة، وحراب كأنها من مخلفات الحرب العالمية الثانية، تلف كلها في خيمة "التربولين" التي تربط بمئات الامتار

من الحبال، ثم ترفع كلها على سواعد عشرة فتيان الى الرفرف الخلفي للدراجة. وما يبقى يطوى في ارجوحة من شبك ويربط الى المقود الصغير.

ذكريات! — والآن، حين يوقظ البرد في عظامي اوجاع آلاف الجروح القديمة، أذكر التفاصيل الحية لآخر اللحظات الرهيبة التي امضتها دراجتي ككيان مستقل متماسك.

كنا اشبه بعصابة صعاليك من الغجر وقد ابتدأنا منذ قليل رحلة تخييم. وكنت، كالعادة، متقدماً كثيراً على الآخرين ومقعد الدراجة الطويل النحيل يستحثني الى أمام. وكانت هناك هضبة تبعد خمسة كيلومترات عن منزلي، ويا ليتها سميت "هاوية الموت" او "تل الوداع". وكان من عادة الخشابين ان يقودوا شاحناتهم في اثناء النزول من الهضبة وقد وضعوا احدى القدمين على عتبة الترجل خارج الباب المفتوح وقبضوا بأحدى اليدين على سبحة صلاة، بمن فيهم الملحدون...

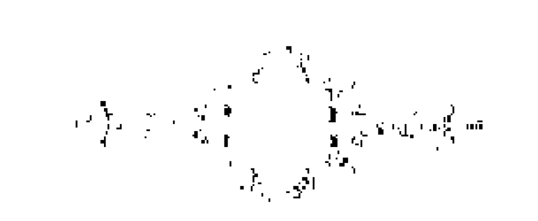
وما ان بلغت قمة الهضبة واخذت في الهبوط حتى شاهدت احد ذئاب جيراني صاعداً التل، وكان، على ما يبدو، عائداً الى البيت بعد ليلة شاقة امضاها في قتل الايائل. ومن مسافة ٥٠ متراً، استطعت ان ارى وجهه يشرق حينما لمحني مندفعاً نحوه بسرعة، كأنني الشيطان فوق دولابين. فربض مترقباً، والفرح يشع في عينيه.

واختار الجنزير تلك اللحظة بالذات لكي يلف سروالي حتى منتصف المسافة الى الركبة. وتوقعت ان يتخلى الدولاب الامامي عني في اي لحظة. ولوت الطريق المليئة بالاخاديد عظامي، وتطايرت الفؤوس والمناشير والحراب في الهواء، وهددت الحزمة الخلفية الهائلة بالانهيار علي. وفي محاولة يائسة، سددت ركلة سريعة الى الذئب، ثم نفضت ساقي بقوة فحررتها بعدما تمزق السروال، وقذفت بنفسي في الفضاء، ووثبت اربع وثبات واخيراً استخدمت انفي كمكبح وانزلقت ثم توقفت.

حتى ان الذئب اهتز من وقع الارتطام. وراح يحدق الى الحطام في رهبة صامتة انسته ساقي السليمة التي كان يقبض عليها بشدقيه.

وعندما ابليت بعد فترة، اشترت لي امي بسرعة فائقة سيارة من ميكانيكي محلي "عبقري" كان كوّنها بسرعة فائقة. ولهذه قصة اخرى مختلفة.

■ باتريك ف. ماكمانوس



عادم المستقبل

عُلقت الملاحظة الآتية على عربة يجرها حصان:
سيارة اختبارية للمستقبل، تسير على الشعير والعشب. تحذير: اياك ان تدوس العادم (الانبوب الذي يطرد ابخرة المحروقات).

ش.م.

عادة صارخة ـ على سخريتها ـ يدلي بها الممثل الاميركي الشهير حول هذا العصر

وودي ألــن:

نحن تائهون في الكون

اكثر من اي وقت مضى، يقف الانسان اليوم امام مفترق طريقين، يؤدي الاول الى القنوط وانعدام الامل، ويفضي الثاني الى الابادة الشاملة. لهذا دعونا نصلي من اجل الحكمة في الاختيار الصائب.

اني لا اتكلم كمن فقد احساسه بجدوى الحياة، ولكن كمن اقتنع تماماً بانعدام اي معنى للوجود. وربما كان من اليسير اساءة تفسير هذا الموقف باعتباره تشاؤماً مع انه ليس كذلك، وانما هو اهتمام سليم بمأزق الانسان العصري وحيرته.

تتلخص مشكلة الانسان، بأبسط تعبير، في السؤال الآتي: "كيف يمكن العثور على معنى للوجود في عالم محدود لا تتجاوز قياساته عرض خصري واتساع قميصي؟"

انه سؤال عويص للغاية، خصوصاً اذا ادركنا ان العلم خيب آمالنا.

صحيح انه تغلب على امراض عدة وحطم سر الوراثة وأوصل الانسان الى القمر. ولكن على رغم ذلك، اذا انفرد رجل في الثمانين بنادلتين فاتنتين في الثامنة عشرة من عمرهما، فلن يحدث شيء على الاطلاق. صحيح ايضاً ان العلم أرآنا كيف نعقم الجبن، وفي ذلك ـ ولا شك ـ امتاع للبطون. ولكن ماذا عن القنبلة الهيدروجينية؟ هل رأيت قط ماذا يحدث حين تسقط احداها عرضاً عن منضدة؟

اين العلم منا حين نتأمل في ألغاز الابدية؟ أيعقل ان يرى الانسان روحه تحت المجهر؟ وكيف نشأ الكون؟ وما المقصود بقولنا ان الانسان فان؟ من الواضح اننا لا نقصد الاطراء. مما يؤسف له ان الدين، هو الآخر، خذل بعض الناس في مجتمعنا. وكثيراً ما افكر في سعادة الانسان البدائي لأنه آمن بوجود خالق قادر محب لخلقه

ويعنى بكل شيء. لكني، مع ذلك، اتصور خيبة الرجل في ذلك الزمن حين بدأت زوجته تتسع حجماً وتزداد وزناً.

الـه التكنولوجيا — إن ما فعله اولئك الذين فقدوا الايمان بوجود إله خالق هو انهم جعلوا من التكنولوجيا الهاً. ولكن هل لدى التكنولوجيا جواب شاف اذا كانت محمصتي الكهربائية لا تعمل على نحو سليم منذ اربع سنوات، وكلما وضعت في فتحتيها قطعتين من الخبز قذفت بهما بعد ثوان كصاروخين في الهواء؟ وقد تسببت ذات مرة في كسر أنف سيدة أحببتها كثيراً. هل نوكل حل مشكلاتنا الى البراغي والصمولات والتيار الكهربائي؟

مصيبتنا هي ان رجالنا السياسيين فاسدون او غير جديرين، او انهم يحملون هاتين الصفتين السلبيتين معاً، وان الحكومة لا تتجاوب مع احتياجات الرجل الصغير، في حين ان الواحد منا لا يستطيع، اذا كان أقصر من متر وسبعين سنتيمتراً، ان يقنع نائباً بالرد على مكالمته الهاتفية.

انا لا أنكر ان الديموقراطية لا تزال ابدع نظام حكومي، وانه لا يجوز في ظلها، على الاقل، سجن الانسان جوراً او ارغامه على الجلوس في مقعد ليشاهد عرضاً ما على احد مسارح برودواي!

تحديات كثيرة — الا انه لم يسبق للانسان، في اي وقت من التاريخ، ان توجس خيفة مثلما يفعل الآن كلما أعمل سكينه الكهربائي في قطعة من اللحم خشية ان ينفجر في وجهه. والعنف من طبيعته ان يولد مزيداً من العنف. ومن المتوقع ان يصبح الخطف، بحلول ١٩٩٠، نمطاً من انماط التعامل الاجتماعي.

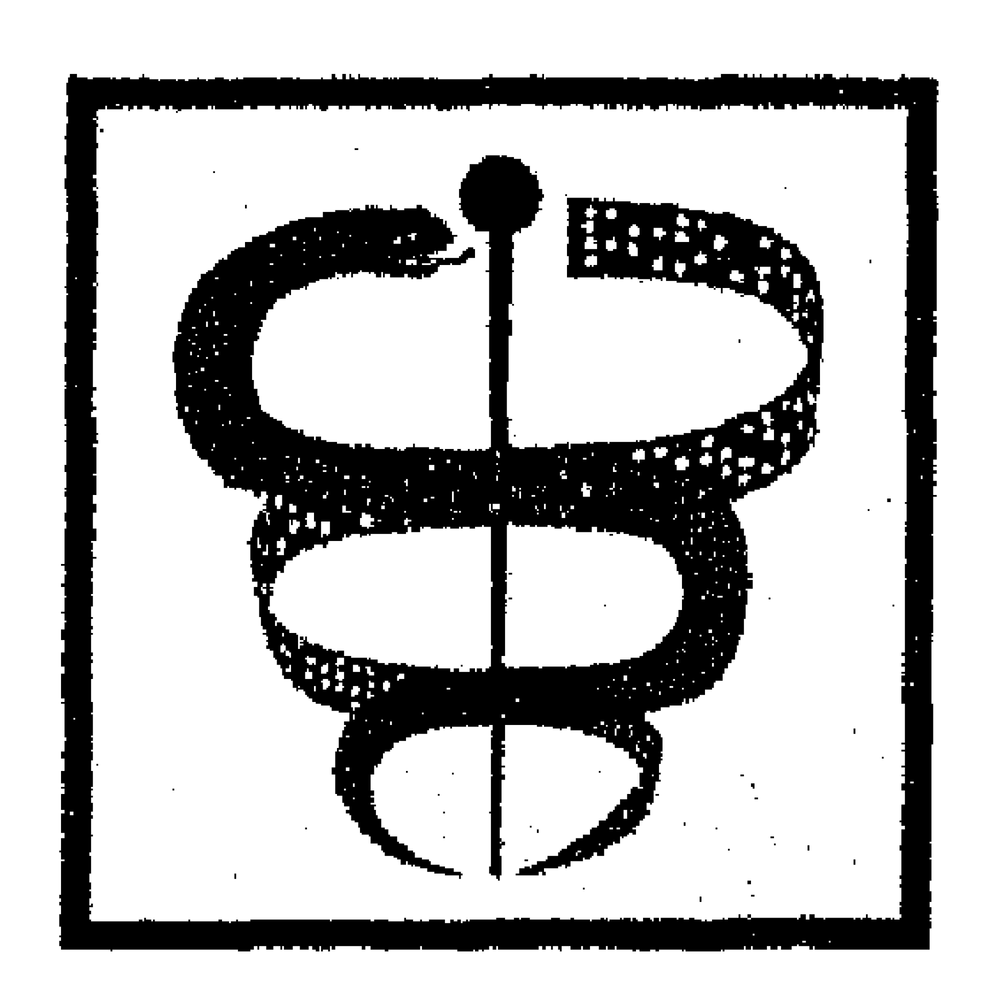
كما انه من شأن تكاثف عدد السكان ان يفاقم توتر العلاقات الى حد بترها. وتفيد ارقام الاحصائيات ان في العالم اليوم أناساً أكثر مما نحتاج اليهم حتى في نقل اضخم آلة بيانو! وما لم نطالب اليوم بوقف التناسل، فلن يتسع العالم عام ٢٠٠٠ لاقامة مأدبة عشاء إلا اذا رضينا بوضع المائدة على رؤوس الغرباء، ولكن سيتحتم عليهم عندئذ ألا يتحركوا بتاتاً زهاء ساعة حتى نفرغ من العشاء. ومن الطبيعي ان تشح الطاقة الى حد لن ينال معه صاحب السيارة قسطاً من البنزين اكثر مما يكفيه للرجوع بسيارته الى الوراء بضعة سنتيمترات.

وبدلا من ان نواجه التحديات، ترانا نتلهى عنها بالجنس والمخدرات. ونحن نعيش اليوم في مجتمع اكثر اباحية مما ينبغي. وليس لنا محور روحي، بل نحن تائهون وحدنا في خضم الكون، فيما ينزل بعضنا ببعض ألوان العنف الوحشي والقسوة بسبب يأسنا وألمنا. لكننا، لحسن الحظ، لم نفقد بعد احساسنا بالنسبة والتناسب.

ومجمل الكلام هو الآتي:من الواضح ان المستقبل ينطوي على فرص عظيمة سانحة، لكنه ينطوي ايضاً على مزالق. والمهارة هي ان نتحاشى المزالق ونتحين الفرص، وان نعود الى عقر دورنا في حدود السادسة مساء!

■ وودي الن

أصداء من عالم الطب



مسكن فعال من غير ادمان

بات وشيكاً صنع عقار مسكن للالم، له مفعول المورفين من غير ان يؤدي الى الادمان. وقد اجرى ٢٠٠ طبيب اختبارات لهذا العقار، واسمه "صوديوم زومبيراك"، على ٣٢٠٠ مريض، واعتبره بعضهم ثورة في عالم العقاقير المسكنة.

ويقول الدكتور وليم بيفر، استاذ العقاقير والمخدرات في جامعة جورجتاون في واشنطن: "قبل ابتكار هذا الدواء، لم يكن هناك اي مسكن للالم يؤخذ عن طريق الفم اكثر مفعولا من الاسبيرين. ثم اتضح ان "زومبيراك" يتفوق على جرعة الاسبيرين العادية ويجاري المسكنات التي تعطى عن طريق الحقن بالابر".

وفي اثنين من الاختبارات، تبين ان العقار الجديد اكبر فعالية من الكوديين في ازالة الالم الذي يعقب الجراحة. وبينت دراستان اخريان ان هذا العقار بديل صالح من حقن المورفين بالنسبة الى الالم الذي يعقب الجراحة وآلام السرطان. كما أظهرت دراسة خامسة ان "زومبيراك" لا يولد الادمان.

نشرة اخبار الطب العالمية

الدم الاصطناعي

بعد استئصال البروستات من جراء تورم سرطاني، كان المريض البالغ عمره ٦٥ عاماً في مركز فوكوشيما الطبي في اليابان ينزف بلا انقطاع. ولم تكن في المركز كمية دم كافية من فئة النادرة لنقلها اليه.

فقرر الجراح كينجي هوندا حقنه بمادة "فلوزول - دأ" المكونة من الاوكسيجين والكربون، والتي حلت محل الهيموغلوبين (مادة داخل كريات الدم الحمراء) في نقل الاوكسيجين الى خلايا جسمه، ريثما تؤمن كمية الدم المطلوبة.

وبعد نجاح تلك العملية في ابريل (نيسان) ١٩٧٩، لجأ الاطباء في مركز فوكوشيما ومستشفيات اليابان الاخرى الى اعتماد هذا البديل الوقتي. وطبقوا هذا العلاج على اكثر من خمسين مريضاً كانوا يعانون نزفاً قوياً، فأصبح هؤلاء المرضى اوائل من يتم انقاذ حياتهم بالدم الاصطناعي.

ويبحث العلماء المختصون عن مادة كيميائية فضلى تخدم كبديل من الدم. وهم متفائلون بالتوصل اليها، لكن المسألة وقف على الوقت والعمل الشاق.

ت.م.، مجلة "العلوم"

طائرة التضامن الأوروبي

الاوتوبيس الجوي، تحد اوروبي لامريكا يحلق بثقة ويتهافت عليه الكثيرون



رغب رائد الفضاء فرانك بورمان، الذي يرئس اليوم شركة "ايسترن آرلاينز" الامريكية، في شراء طائرة جمبو نفاثة صنعها كونسورسيوم (اتحاد شركات) اوروبي صغير ومغمور يدعى "آربوس اندوستري"، الا ان بورمان اراد دليلا على جودة الطائرة، اذ لم يسبق لهذا الكونسورسيوم ان باع اي طائرة في الولايات المتحدة ·فكيف يحصل على هذا الدليل؟

على هذا السؤال رد رئيس "الاربوس" برنار لاتيير وهو جالس في مكتب بورمان في ربيع ١٩٧٧: "هذا امر سهل، سأسلمكم اربعاً من طائراتنا "الاربوس" لمدة ستة اشهر...مجاناً". تلك كانت خطوة جريئة، اذ لم يسبق لاي شركة تصنع

Illust: Harry Scharre

ائرات ان عرضت على زبون ان ستعمل طائراتها قبل شرائها ٠

بعد ذلك ببضعة اشهر كان لآربوس يطير على خط الشركة لامريكية بين نيويورك وفلوريدا ٠ خلال الاشهر القليلة التالية اثبتت لطائرة جدارتها الفائقة، اذ ان اقل ن اثنتين في المئة من رحلاتها اخرت لاسباب ميكانيكية ٠ كانت آنذاك اقل النفاثات العاملة في الطيران المدني ضجيجاً فضلا عن كونها توفر ما لا يقل عن ٣٠ في المئة من الوقود استناداً الى وعدد المقاعد) بالمقارنة مع طائرات مماثلة من فئتها ٠

كل ذلك ترك انطباعاً حسناً في نفس بورمان، فقدم طلباً لشراء ٢٣ طائرة آربوس واحتفظ بحقه في شراء تسع طائرات اخرى، تساوي مجتمعة نحو ٨٠٠ مليون دولار ٠ ويتذكر لاتيير بسعادة: "شربنا كثيراً من الشمبانيا تلك الليلة" ٠

جاذبية لا تقاوم — قبل غزو الآربوس السوق الامريكية الصعبة، بيع منها ٧٢ طائرة ٠ وبعد ذلك تدفقت طلبات الشراء من مختلف انحاء العالم ٠ فوقع الزبائن عقوداً لشراء ٨٢ طائرة في ١٩٧٨، وارتفع هذا الرقم على نحو مذهل ٠ فبلغ ٢١٥ طائرة عام ١٩٧٩، جاعلا "آربوس اندوستري" ثانية اكبر شركة لصنع الطائرات المدنية في العالم بعد شركة "بوينغ" الامريكية ٠

ويقول لاتيير (٥١ سنة) بكثير من الحماسة: "لا تجرى اليوم اي مفاوضات مهمة لشراء طائرات الا ونبقى فيها حتى الجولة الاخيرة" ٠

وهناك اليوم نحو ٢٠ شركة طيران تستخدم طائرات آربوس: من القاهرة الى كراتشي، ومن طوكيو الى تايبيه، وخطوط كثيرة سواها ٠

وحملت الآربوس حتى اليوم نحو ٦٠ مليون راكب الى اكثر من ١٠٠ مدينة في ٤٥ بلداً ٠ والعدد يزداد باطراد ٠

وفي المركز الرئيسي لشركة "آربوس اندوستري" قرب مدينة تولوز الفرنسية، يتندر العمال بأن "للآربوس جسداً مغرياً يشتهيه رؤساء شركات الطيران" ٠ ولا عجب، فتكاليف الوقود المرتفعة اليوم تجعل طائرة الجمبو النفاثة، المتوسطة المدى وذات الهيكل الواسع والكلفة المتدنية، جذابة جداً ٠ والركاب ايضاً يجزلون الثناء لمقصورة الآربوس الرحبة بمقاعدها الثمانية المتجاورة ورفوفها الفسيحة فوق الرؤوس التي تترك على الارض متسعاً للارجل لا للحقائب ٠

والطيارون متحمسون للآربوس ٠ فالادمغة الالكترونية الخمس والسبعون في الطائرة تخفف وطأة العمل بتوليها او تسهيلها معظم مهمات الطيران الاساسية كالاقلاع وضبط السرعة والارتفاع ووجهة السير والهبوط في رؤية تقترب من درجة الصفر ٠

وتكمن وراء نجاح الآربوس اعوام

من الجهود بذلتها بلدان مختلفة. بدأت هذه الجهود عام ١٩٦٥، حين وافق ممثلون لشركات طيران، اجتمعوا في لندن لايجاد الطائرة المثالية لعقودهم المقبلة، على ان هذه الطائرة يجب ان تكون "جمبو" متوسطة المدى تتسع لما يراوح بين مئتي مقعد وثلاثمئة. ويجب ان تكون هادئة واقتصادية. والاهم من ذلك ان تكون ثمرة جهد مشترك، اذ ليس في وسع اي دولة اوروبية الانفراد بتنفيذ مشروع كبير كهذا. وفي العام نفسه بدأ صانعو طائرات من فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا اعداد التصاميم للطائرة المنشودة. وبعد اعوام انضمت الى هذه المجموعة هولندا واسبانيا وبلجيكا.

بين الصوت والاقتصاد — يتذكر روجيه بيتاي، المدير العام لشركة "آربوس اندوستري": "قلنا لمصممينا اننا نريد طائرة تجني ارباحاً ثابتة وتتميز بثقة تامة وبصيانة سهلة". وفي بادىء الامر تذمر مهندسوه من ان الآربوس يبدو غير انيق بالمقارنة مع الكونكورد الفوق ـ الصوتية وذات الشكل المثير. وكانت الكونكورد حينئذ المشروع الكبير الذي يعد القائمين به بنيل الاحترام والاعتبار البالغين. الا ان بيتاي اقنع مهندسيه بأنه في حين كانت الكونكورد اول طائرة مدنية اخترقت جدار الصوت، فستكون الآربوس الطائرة التي تخترق "الجدار الاقتصادي" لتكاليف الوقود المرتفعة.

وكان التحدي اعظم لكونه عالمياً، فصانعو الطائرات المنتمون الى جنسيات مختلفة لهم تقنياتهم الخاصة. وتوقع كثير من المراقبين انهيار المشروع بسبب تناقضاته.

وكانت هناك تناقضات فعلا، الا انها تحولت مزايا وفوائد. مثال ذلك ان لجنة من المهندسين تمثل الشركاء كانت تدقق في كل جزء من اجزاء الطائرة التي يبلغ مجموعها ٦٠ الف جزء. وكان احد مواضع الجدل باب الحمولات الكبيرة الخلفي. ففي معظم الطائرات المدنية يفتح هذا الباب الى الخارج، لكن احد الاعضاء اقنع الاخرين، بعد نقاش حاد، بأن باب الحمولات الذي يفتح الى الداخل سيكون اكثر اماناً. وبعد بضعة اعوام ثبت ان القرار كان حكيماً. فقد وقع حادث مشؤوم لطائرة "دي سي ـ ١٠" عندما انفتح باب الحمولات الكبيرة محدثاً هبوط ضغط انفجارياً في مقصورة الركاب ادى الى مقتل ٣٤٦ شخصاً في احدى اسوأ كوارث الطيران في التاريخ.

الا ان الحكومات المعنية، بعد فتور حماستها الاولى، اخذت تشك في ان المشروع سينجح اقتصادياً. فالتشارك الفرنسي ـ البريطاني في بناء الكونكورد وتطويرها صار يكلف مليارات الدولارات. وخُشي ان يقع الآربوس فريسة المشكلات المالية عينها. كما ان المهندسين طلبوا مبالغ طائلة لتطوير محركات الطائرة. وفي اوائل صيف ١٩٦٨ قررت فرنسا العمل على الغاء المشروع. ثم عين هنري زيغلر رئيساً لشركة "سود افياسيون"، وهي الشريك الفرنسي في مشروع الآربوس. وكان زيغلر مؤمناً بالآربوس.

الوليد الموعود — راح زيغلر ينادي

على الملأ: "هذه هي طائرة المستقبل، لا الكونكورد". ولانت الحكومة الفرنسية واعطته مهلة ستة اشهر اخرى. واتخذ زيغلر ثلاثة قرارات حاسمة انقذت الطائرة:

اولا، خفض تكاليف التطوير بشراء محركات جاهزة من نوع تستعمله طائرات اخرى.

ثانياً، لزيادة ايرادات الشحن، عدل هيكل الطائرة كي يتسع لصناديق حمولة من الحجم التقليدي.

ثالثاً، خلق بنية ادارية قوية يشرف عليها رئيس له حرية اتخاذ القرارات، بحيث لا يبقى مجال للمساومات كما في اللجان الحكومية التي عاقت مشروع الكونكورد.

وبقيت بريطانيا غير مقتنعة، وانسحبت كشريك رسمي في ابريل (نيسان) ١٩٦٩. الا ان الرسميين الفرنسيين والالمان الغربيين قرروا في ٢٩ مايو (ايار) متابعة العمل. وفي السنة التالية ابصر "كونسورسيوم آربوس اندوستري" النور.

وتقرر بناء الآربوس بطريقة تختلف عن بناء اي طائرة اخرى. ففي حين يركب صانعو الطائرات كل جزء في الطائرة من قطع يؤمنها ملتزمون عديدون، قرر الكونسورسيوم ان ينتج كل شريك اقساماً كاملة. وهكذا صنعت شركة "آيروسباسيال" الفرنسية حجرة الطيار، وانتجت شركتا "مسرشميت بولكوف بلوم" و"ف.ف.ف. فوكر" الالمانيتان هيكل الطائرة الرئيسي، وصنعت "كونستركسيونس ايرونوتيكاس" الاسبانية جهاز حفظ التوازن الافقي.

وعلى رغم انسحاب بريطانيا رسمياً، الا ان شركة "هوكر سيدلي افييشن"، وهي اليوم جزء من "بريتيش ايروسبايس كوربوريشن"، صنعت الجناحين بصفتها شركة خاصة وبالتعاون مع مصنع هولندي.

وجمعت كل الاقسام معاً من اجل التركيب النهائي في مدينة تولوز. واكتمل صنع الآربوس الرقم ١ في اغسطس (آب) ١٩٧٢، وما ان اقبل مارس (آذار) ١٩٧٤، حتى كانت الطائرة اجتازت جميع رحلاتها الاختبارية، وبات لدى اوروبا طائرة جاهزة للبيع.

الا ان المشكلة كانت ان شركات قليلة ابدت استعدادها للشراء. فالآربوس وصلت خلال فترة الركود الاقتصادي التي عقبت حظر النفط العربي عام ١٩٧٣. ودفع ذلك برنار لاتيير، الذي اصبح رئيساً للشركة بعد تقاعد هنري زيغلر عام ١٩٧٥، الى تقديم عرضه المدهش لفرانك بورمان.

وحققت المغامرة نجاحاً باهراً، حتى ان "آربوس اندوستري" تعتزم زيادة وتيرة انتاجها من ثلاث طائرات شهرياً في العام ١٩٨٠ الى عشر طائرات عام ١٩٨٥ وسيرتفع عدد العاملين فيها ايضاً، جاعلا الآربوس احدى الواحات القليلة في القارة الاوروبية التي لا تعاني بطالة متزايدة. ويعيش اكثر من مئة الف اوروبي على دخل مستمد من الآربوس.

حين تنصهر الاعراق – في زيارات الى مصانع عدة، راقبت الطريقة التي تركب بها هذه الطائرة الاوروبية

الرائعة. ابتدأت بالجناحين في مصنع "بريتيش ايروسبايس" في مدينة تشيستر الانكليزية. فهناك يصنع غلاف الجناح الرقيق من كتلة المنيوم ومعادن اخرى تزن طنين ونصف طن يجري فرزها الى نصف طن فقط بآلات تديرها حاسبات الكترونية، تتولى ايضاً تقطيع المعدن الى الاشكال المطلوبة. ثم يوصل الغلافان، العلوي والسفلي، آلياً بمسامير خاصة. وبعد تثبيت خزانات الوقود، يكتمل الجناحان الضخمان اللذان يكلف كل منهما مليون دولار.

وبينما كان جون سكوت، احد موظفي "بريتيش ايروسبايس"، يقودني في ارجاء المصنع ويريني معالمه المختلفة، راح يشرح سر نجاح الآربوس كجهد دولي. قال: "نحن شركاء وديون طبعاً، لكننا مع هذا نشعر بالاعتزاز الوطني وبروح المنافسة. ونعلم ان الالمان والفرنسيين سيفحصون هذين الجناحين، ولذلك نبذل اقصى جهدنا. وبما انهم يعتمدون علينا في مواصلة الانتاج، فلا يمكننا ابداً التأخر في التسليم".

وفي هامبورغ في المانيا، سرت عبر قاعة جمع الاجزاء التي كلفت ٣٦ مليون دولار، حيث تصنع شركة "مسرشميت بولكوف بلوم" هيكل الطائرة، وطوله ٥٤ متراً. وقبل الجمع، تعالج الاجزاء كلها بطلاء مقاوم للتآكل وتختم بارقام تظهر مَن صنعها وفحصها. وهنا، كذلك، تجهز كل طائرة بالمعدات وفقاً لطلبات الزبائن. فبعضهم يريد آلات وشاشات للعرض السينمائي، والبعض الاخر يطلب آلات خاصة لصنع قهوة "الاسبريسو" في مطبخ الطائرة او طاولة تطوى في المراحيض لتبديل حفاضات الاطفال.

وسافرت من هامبورغ الى تولوز في اكبر طائرة نقل في العالم تدعى "سوبر غوبي". وهي مهمة جداً بالنسبة الى نظام بناء الآربوس، اذ انها تنقل الاقسام الجاهزة من مصنع الى آخر في غضون ساعات، بدلا من الايام التي يستغرقها النقل البري او البحري. وقبل ان اصعد الى متنها، رأيت مقدم "سوبر غوبي" بأسره ينفتح ويُجَرّ الى داخله بعناية هيكل طائرة آربوس يزن ١٥ طناً.

وفي تولوز، أُخرج هيكل الآربوس من "غوبي" مجروراً على عجلات، ووضع في خط التجميع. وبعد شهرين يتم تركيب الجناحين وحجرة الطيار والذيل والمحركات، فتتجه الى ورشة الدهان لترش بالوان شركة الطيران التي اشترتها. وآنذاك يكون آربوس آخر مستعداً للطيران.

لقد تعلم الاوروبيون امثولات مهمة من الآربوس. فهم يدركون الان انهم قادرون على اجتراح المعجزات ومنافسة الآخرين في نجاح عندما يتعاونون، حتى في حقول تكنولوجيا عالية كالطيران المدني.

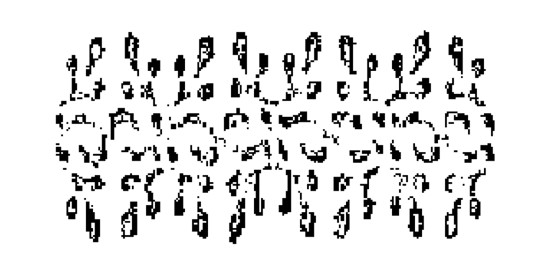
واذا امكن لرئيس "آربوس اندوستري" تحقيق ما يريد، فلن تكون هذه سوى البداية. ويقول لاتيير: "اريد ٣٠ في المئة من السوق العالمية. ولن تتضرر الصناعة الاميركية اذا تدنت حصتها من احتكار تام عملياً الى ٧٠ في المئة".

والآربوس مستعد لمواجهة المنافسة، فهناك الان تسعة اشكال مختلفة من طراز "الآربوس - ٣٠٠أ" الاساسي وشقيقه الاصغر حجماً "الاربوس - ٣١٠أ"، بينها طائرة مخصصة للشحن، وهناك تصاميم لطائرات اخرى، بينها نموذج لطائرة اكبر حجماً وتتسع لمزيد من المقاعد.

فهل ينتصب الوافد الاوروبي الصغير بجرأة في وجه المارد الامريكي؟

احد الاوروبيين المؤمنين بقدرته على الصمود هو برنار زيغلر، ابن هنري زيغلر، وكبير الطيارين الاختباريين في "آربوس اندوستري" واحد نواب رئيس الشركة. فهو يقول بابتسامة تنم عن ثقة بالنفس: "ان قوة شركتنا مستمدة من المصدر نفسه الذي امد امريكا بالقوة. لقد صرنا نحن ايضاً بوتقة تنصهر فيها اعراق مختلفة".

■ جوزف هاريس



سحر عملي

البساط السحري، بالنسبة الى معظمنا، هو ذاك الذي لا يحتاج الى تنظيف.

ا.ت.

استنتاج منطقي

جلست اربع فتيات في مقهى المطار يرشفن القهوة وينتظرن وصول الطائرة التي تقل صديقتهن. وكانت كل منهن تنظر الى ساعتها بين فترة واخرى، الى أن قالت احداهن: "هناك متسع من الوقت أمامنا. فأنا أعرف صديقتنا جيداً، ويمكنني الجزم بأن طائرتها ستتأخر ساعة على الاقل".

ا.ط.

ضائعان!

وقفت موظفة شابة في مطار لوس انجلس الدولي توجه ركاب النازلين من احدى الطائرات بقولها: "فليقف الاجانب في صف على يميني، والمواطنون الامريكيون على اليسار". وكان هناك رجل وامرأة متقدمان في السن بدا عليهما الارتباك ووقفا بين الصفين. وعندما لاحظت الموظفة حيرتهما، كررت قولها: "الاجانب على اليمين والمواطنون على اليسار".

عندئذ تقدم منها الرجل وقال: "المعذرة يا آنسة. اين نقف نحن؟ أننا بريطانيان".

ف.س.

تعاطي الماريوانا يؤذي الدماغ ويضعف القدرة الجنسية

طوال هذا العقد تتراكم الأدلة، منذرة بان تدخين الماريوانا قد يكون ضاراً بالصحة الى درجة بالغة. وفي السنوات القليلة الماضية زادت الدراسات المثيرة التي اجريت حول هذا الموضوع من قتام الصورة المبينة لمدى الضرر الذي تلحقه الماريوانا بمختلف اجهزة الجسم، وعلى الاخص بالدماغ والوظائف التناسلية. واليوم يلاحق شبح سلالة بشرية مشوهة الباحثين العلميين والاطباء العياديين على السواء.

بدأ العلماء من انحاء العالم يرسلون اشارات التحذير الى الملايين الذين يدخنون الماريوانا. فقد تراكمت الادلة التي تشير الى ان الذين يتعاطون هذا المخدر ربما كانوا، من غير ان يدروا، يلحقون الضرر بادمغتهم ويعملون على التقليل من فرص انجاب الاطفال الاصحاء تماماً.

وقد نشأت هذه التحذيرات نتيجة للاجتماعات التي عقدها العلماء حديثاً للافادة عن آخر ما توصلوا اليه في بحوثهم حول هذا الموضوع. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٨ قدم خمسون باحثاً من ١٤ بلداً، في الندوة الدولية التي عقدت في مدينة ريمس في فرنسا حول اضرار الماريوانا، دراسات جديدة حول الآثار الضارة للماريوانا على الجهاز التناسلي والرئتين وجهاز الايض الخلوي والدماغ. وفي شهر مارس (آذار) ١٩٧٩، في المؤتمر الذي عقد في ولاية فرجينيا الامريكية في رعاية المعهد القومي الامريكي للنظر في الاضرار التي تنجم عن اساءة استعمال الادوية، كشف المنقبون عن

المزيد من الآثار الضارة للماريوانا على الجهاز التناسلي.

وفي المؤتمر الذي عقد في مدرسة الطب التابعة لجامعة نيويورك، بعد ثلاثة اشهر من المؤتمر السابق، اضاف الاطباء والعلماء النفسيون اضراراً جديدة اكتشفوها على قائمة الاخطار التي يحدثها ادمان الماريوانا.

وفي شهر يوليو (تموز)، واستجابة لتلك الادلة المذهلة، تولت لجنة خاصة في مجلس النواب الامريكي بحث اخطار الماريوانا على الصحة. وقال رئيس اللجنة: "ان الولايات المتحدة هي اكثر بلد في التاريخ يسيء استعمال المواد المخدرة، واكثر المخدرات المحظورة التي يساء استعمالها هي الماريوانا". وكشف عن دراسة اجريت عام ١٩٧٨ تبين ان واحداً من كل تسعة طلاب في المدارس الثانوية كان يتعاطى الماريوانا على اساس يومي او شبه يومي، اي بزيادة نحو ٨٠ في المئة على النسبة التي سجلت خلال السنوات الثلاث السابقة. كذلك كشفت الدراسة ان تدخين هذا المخدر اصبح شائعاً اليوم بين الطلاب الذين تراوح اعمارهم بين ١٣ سنة و١٥ سنة، وان الاقبال على تدخين الماريوانا بات على ارتفاع متزايد بين الطلاب الذين تراوح اعمارهم بين ٨ سنوات و١٢ سنة.

وقد اصبحت جميع آثار الماريوانا واخطارها على الدماغ والجهاز التناسلي تدق ناقوس الخطر الداهم نظرا الى سرعة تسرب المخدر الى الدماغ والاعضاء الجنسية. وهناك مادة في الماريوانا تعرف باسم "كانابينويد - (٦١" يحتوي عليها نبات القنّب الهندي (الحشيش)، وهي قابلة للتحلل في الدهن وسريعة التسرب الى اعضاء الجسم التي تشتمل على الدهنيات حيث تستقر وتتحلل تدريجاً. وقال احد الباحثين: "تبقى هذه المادة المخدرة في جسم الشخص الذي يتعاطاها الى ما بعد زوال شعوره بالنشوة".

اما الخصائص التي تؤثر في عقل الشخص الذي يدخن الماريوانا فتتلخص في مشتقاتها المعروفة باسم "دلتا - ٩ - ت هـ س"، والتي امكن التعرف اليها عن طريق الاشعاعات، وفي العادة، تمكث مشتقات هذه المادة في السيجارة الواحدة من خمسة ايام الى ثمانية قبل زوالها من الجسم. اما اعضاء الجسد التي تشتمل على نسبة عالية من الدهنيات فهي الدماغ والخصيتان والمبيض. فما أثر تجمع الماريوانا في هذه الاجهزة؟

لعل الطبيب النفسي الدكتور روبرت جيلكيسون من كليفلاند (ولاية اوهايو) هو الثقة في هذا الموضوع. وقد جاءه عام ١٩٧٦ شاب مراهق يدعى ستيفن، جميل الطلعة، طويل القامة، وكان طالباً نجيباً في ما مضى. اشتكى ستيفن من حصوله على علامات منخفضة وعلى صعوبة في التركيز وتذكر الدروس، وقال: "كل شيء كنت احبه بات مملاً، وحتى البنات اللواتي كنت استحسن مصادقتهن صرت اميل الى تجنبهن".

اكتشف الدكتور جيلكيسون ان ستيفن صار يعكس كتابة الحرفين b و d، وهو أمر يعد علامة مميزة

للذين يعانون عسر التعلم. واقترح عليه اجراء فحص كهربائي لقراءة ذبذبات دماغه.وعلى اثر هذا الفحص جاءه التقرير ليكشف عن نتائج غير طبيعية وتضرر في الدماغ يجب الا يصيبه في هذه السن. بعبارة اخرى كشفت الذبذبات الكهربائية موجات اشبه بتلك التي يطلقها دماغ شخص يراوح عمره بين ست سنوات وثماني سنوات.

اعترف ستيفن بانه مدمن الماريوانا. وقد نصحه الطبيب النفسي بوقف هذا المخدر لمدة شهرين، فوافق بعد ان هزته تلك النتيجة المفزعة.

وبعد ثمانية اسابيع تحسنت ذبذبات دماغه على رغم انها لم تبلغ المستوى الطبيعي. وعلق الدكتور جيلكيسون: "المهم ان تحسناً طرأ على العلامات التي يحصل عليها ستيفن، وهذا التحسن شمل مزاجه وذاكرته وميله الى المزح وطريقته في الحديث". وتشجع ستيفن اثر ذلك، ووافق على مواصلةالامتناع عن تدخين الماريوانا لمدة شهرين آخرين. وبعد هذه الفترة كشفت ذبذبات دماغه انها كانت طبيعية بالنسبة الى سنه.

وبسبب عمله مع ستيفن، أكب الدكتور جيلكيسون على دراسة لا تزال قيد البحث. وهي فحص الذبذبات الكهربائية لثلاثة واربعين مراهقا كانوا يدخنون الماريوانا مرتين في الاسبوع على الاقل خلال الاشهر الاربعة الماضية ولكن توقفوا عن التدخين لمدة ٤٨ ساعة سابقة للاختبار. واظهرت نتيجة هذه الفحوص الثلاثة والاربعين — كما اظهر الفحص الذي اجري على ستيفن — نقصاً في النضج وبلبلة في الدماغ.

تغييرات مثيرة — وقد عرض الدكتور روبرت هيث، رئيس قسم الامراض العصبية والنفسية في مدرسة تولين الطبية، اشرطة غير متحركة على المشاركين في ندوة ريمس تبين الخلايا المكبرة المستخرجة من ذلك القسم في دماغ قردة ريسوس الذي يتحكم تحكما مباشرا بالدوافع الجنسية والاحساس بالشهية والانفعالات. وهو قسم الدماغ المتشابه كثيراً في الانسان وقرد ريسوس الذي يستعمل للتجارب المخبرية. وقد جرى تعريض هذه القردة لدخان سيجارتين او ثلاث سجائر صغيرة من لفائف الماريوانا في اليوم، تبلغ فيها نسبة ال "ت.هـ.س." ثلاثة في المئة، علماً بان هذه النسبة في لفائف الماريوانا التي تباع للمدخنين اليوم تراوح بين ٣و٦ في المئة في اللفافة الواحدة.

وبعد اجراء الاختبار ظهرت في خلايا ادمغة القردة تغييرات مثيرة، بما في ذلك رواسب غير طبيعية من مواد قائمة بين طيات الخلايا العصبية التي لوحظ فيها اتساع. ويقول الدكتور هيث ان هذا من شأنه احداث ابطاء او انقطاع في حركة الرسائل الذهنية التي يتناقلها الدماغ. ولوحظ ايضاً تكتل غير طبيعي للاكياس الصغيرة في اطراف الخلايا العصبية التي تشتمل على المنشطات الكيميائية للدماغ، مع زيادة كبيرة للمواد الغريبة في نواة الخلايا العصبية. وتعد هذه الظواهر من اعراض ضعف الدماغ.

وفي مؤتمر سابق لاحظ الدكتور يث سرعة حدوث هذه التغييرات، قال: "تشير الملاحظات العيادية الى نه يمكن ان يتعاطى الناس لمسكرات سنوات عدة قبل ان يصابوا تلف بالغ في الدماغ. ولكن يبدو من لاختبارات التي اجريت على القردة نه اذا لجأ الانسان الى تدخين لماريوانا لمدة قصيرة نسبياً على نحو يراوح بين معتدل وشديد، فسرعان ما تبدأ اعراض عطب الدماغ بالظهور". ومن هذه الاعراض ضعف تذكر الامور التي حدثت منذ فترة غير بعيدة.

وقد افاد اختصاصي الامراض العصبية الدكتور وليم ستيوارت عن حال مقاول بناء في الثامنة والعشرين من عمره كان يدخن الماريوانا يومياً، لكنه لم يتعاط غيرها من المخدرات ولم يشرب الا البيرة. فبعد خمس سنوات من ادمانه ذلك المخدر، كان ينظر الى الخرائط في مكتبه ثم يسير نحو عماله بقصد شرح العمل لهم. وما ان يصل اليهم حتى ينسى ما يريد قوله. وعلى رغم توقفه عن تدخين الماريوانا لمدة سنتين، لم يطرأ اي تحسن على تذكره للأحداث غير البعيدة. وكانت النتيجة انه خسر مقاولاته واصبح يعمل لحساب مقاول آخر كعامل عادي يتولى دق المسامير!

ان قلق الاطباء العياديين الذين يطلعون على مثل هذه النتائج لا يقل عن قلق الباحثين. ويلخص الدكتور ميتشيل روزنتال، رئيس مؤسسة "فينكس هاوس" لمعالجة المدمنين، النتائج التي توصل اليها الاختصاصيون في علاج حالات الادمان بالآتي: "عندما يتوقف الاحداث عن تدخين المخدرات، يستعيدون عموماً ما فقدوه من تذكر الامور غير البعيدة. لكنني رأيت ايضاً بعض الاحداث من مدمني الماريوانا، او الماريوانا مع مخدر آخر، الذين لم يطرأ اي تحسن عليهم نتيجة العلاج".

تأثر النشاط الجنسي – لعل اهم تكوين في خلايا الدماغ العصبية كتلة صغيرة من الاغشية وسط الدماغ تعرف طبيا باسم "هيبوثالاموس" (اي ما تحت السرير البصري)، ومنها تتدلى كتلة اصغر هي الغدة النخامية التي تنظم عمل الغدة الصماء والهرمونات التي تتحكم بالنشاط الجنسي والوظائف التناسلية. هاتان الغدتان هما اكثر الغدد تأثراً بالمخدرات.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، قدمت الدكتورة جوان بومان بالاشتراك مع الدكتور كولودني، وكلاهما من معهد ماسترز وجونسون في مدينة سانت لويس (ولاية ميسوري)، تقريراً عن الدراسة التي اجرياها على ٢٦ امرأة تراوح اعمارهن بين ١٨ سنة و٣٠ سنة، كن يدخن الماريوانا ثلاث مرات في الاسبوع او يومياً لمدة لا تقل عن ستة اشهر قبل الدراسة. وقد تبين ان نسبة ٣١ في المئة من دورات الحيض الشهرية لتلك النساء قد تميزت بقصر فترة افراز الهرمونات الصفراء في مقابل ٩،٧ في المئة لدى النساء اللواتي لا يدخن الماريوانا. وقصر فترة افراز المبيض للهرمونات الصفراء قد يعني نقصاً في غذاء الجنين. كما اظهرت الدراسة ان تلك النساء كن يعانين نقصاً في البروكلتين، وهو الهرمون

الضروري لانتاج الحليب لدى الامهات الحديثات التوليد.

وهناك مسح آخر اجراه الدكتور كولودني على ٥٠٠ رجل تراوح اعمارهم بين ١٨ سنة و٣٠ سنة ممن ادمنوا الماريوانا مدة ست سنوات او سبع، فكشفت الاحصاءات هبوط النشاط الجنسي لديهم على نحو ملحوظ. وافاد الدكتور جون هول، رئيس قسم الامراض الداخلية في مستشفى كينغستون في جامايكا ان ٢٠ في المئة من مرضاه الذكور الذين ادمنوا الماريوانا مدة خمس سنوات او اكثر يشكون من العنة (العجز الجنسي).

ويبدو ان البحوث التي اجريت على القردة الذكور تشير الى ان اعطاءها مخدر الحشيش ادى الى هبوط نسبة الحيوانات المنوية لديها، كما لوحظ تشوه في شكل هذه الحيوانات. وقد كرر الدكتور وايلي همبري من كلية الاطباء والجراحين في جامعة كولومبيا هذه البحوث على بعض الرجال، وذلك باعطائهم جرعات عالية من الماريوانا، فكانت النتيجة هبوطاً كبيراً في نسبة الحيوانات المنوية لديهم ايضاً.

"روليت وراثية" – بما ان الرجال ينتجون دائما ملايين الحيوانات المنوية، فربما عاد تكوين هذه الحيوانات الى طبيعته بعد الامتناع عن المخدر. لكن تأثير المخدر على النساء قد يكون مستديماً. ويقول الدكتور اكيرا موريشيما من جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك: "تولد الانثى وفي احشائها نحو ٤٠٠ ألف بييضة. واذا تضررت هذه البييضات، فلا امل في اصلاح الضرر. وقد اثبتت البحوث العلمية ان الاضرار الناجمة عن تدخين النساء للماريوانا هي اضرار لا تزول، بل تتراكم في المبيض وفي مناطق اخرى من الرحم".

وفي مركز بحوث تابع لجامعة كاليفورنيا في بلدة ديفيز، اعطيت القردة الاناث من فصيلة ريسوس التي تتشابه اجهزتها التناسلية وأجهزة النساء فطائر من الزبيب المطعمة بمقدار معين من مادة "ت.هـ. س." التي تشتمل عليها الماريوانا، يعادل مقدار سيجارة أو اثنتين مما تدخنه النساء من هذا المخدر. وقد اعطيت هذه الجرعة للقردة الاناث كل يوم لمدة ثلاث سنوات، فكانت النتيجة ان ٤٤ في المئة من القردة الحوامل انجبت وليدا ميتاً او محتضرا، في مقابل خسارة ١٢ في المئة فقط – وهي نسبة تعتبر عادية في حالات الولادة – لدى اناث القردة التي لم تعط شيئا من هذه المادة المخدرة. وعلى رغم ان اطفال القردة التي ولدت ميتة، بتأثير اعطاء الام جرعات المخدر المشار اليها، ظهرت طبيعية، فقد اجرى الاختصاصيون فحوصاً مجهرية على عينات من الانسجة المستأصلة من كل منها، فوجدوا فيها شذوذاً لم يلاحظوه في الانسجة المستخرجة من اطفال القردة الاخرى التي لم تعط امهاتها تلك المخدرات.

وتقول الدكتورة ايتل ساسنرات التي اشرفت على هذه الاختبارات: "لقد تصرف الاطفال الذين بقوا على قيد الحياة على نحو مغاير للآخرين،

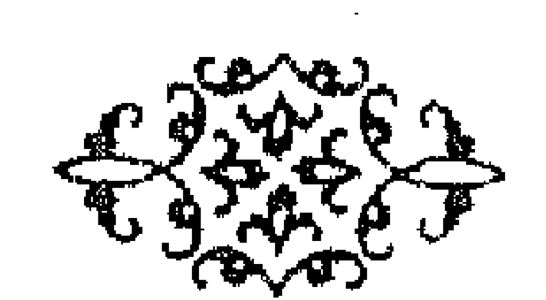
بدوا عيوبا في مقدرتهم على
انتباه. وهذا الفرق المسلكي هو
يجة التلف الجزئي الذي اصاب
دماغ في المراحل الاولى من تطور
جنين. ان العامل القادر على التأثير
ي الوظائف والخلايا الجنسية لدى
ذكور والاناث، كما في الجنين،
جب ان يعتبر مصدرا محتملا للضرر
لفطري الذي يصيب هؤلاء الصغار
لذين يبقون على قيد الحياة".

وفي العام ١٩٧٤ اكتشف الدكتور
ابريال نحاس من كلية الاطباء
والجراحين في جامعة كولومبيا -
ويعتبر رائدا في بحوث الماريوانا -
ان التعرض لمادة "ت.هـ.س." من
شأنه التقليل من قدرة الخلايا الفردية
على تنظيم الحياة وفقا للنمط السلالي
الطبيعي الذي تشتمل عليه الجزيئات
الخلوية. وثبت ان تلك المادة تثبط
عمل الخلية الطبيعي وانقسامها، مما
يؤدي الى موت الخلية واتخاذها شكلا
ومسلكا غير طبيعيين. وقد اثار
اكتشاف الدكتور نحاس اهتمام
العلماء في ١٢ مركزا للبحوث في
الولايات المتحدة وخارجها، الذين
اجروا اختبارات مماثلة وتوصلوا الى
النتائج نفسها. ويحذر الدكتور نحاس
قائلا: "ان مدمن الماريوانا اليوم لا
يلحق الضرر بعقله وجسمه فحسب، بل
ربما كان يلعب لعبة روليت (مقامرة)
سلالية، ويلقي ظلالا من الشك على
صحة اولاده واحفاده الذين لم يولدوا
بعد".

ويعلق بعض المدمنين على نتائج هذه
البحوث بالآتي: "ان الذين يتعاطون
الماريوانا لهم اطفال اصحاء تماما".
ويرد عليهم الدكتور بيترسون من
المعهد القومي المتخصص في موضوع
سوء استعمال الادوية بقوله: "على
رغم مرور آلاف السنين على احتساء
الخمر، لم يكتشف الاطباء الا اخيرا
ان شرب كميات غير كبيرة من
الكحول يمكن ان يؤدي الى ولادة
اطفال لا يتمتعون بصحة جيدة. لذلك،
على الامهات الحوامل اللواتي
يتعاطين تدخين الماريوانا التنبه الى
اشارات التحذير الحالية قبل فوات
الاوان".

ويحذر الدكتور روبرت ديبون،
المدير السابق للمعهد المذكور: "لم
يحدث في التاريخ أن اقبل الشباب
على تدخين الماريوانا على هذا
النطاق الواسع. لذلك، فان شبابنا
اليوم يحولون انفسهم الى حيوانات
اختبارية. والبحوث التي اجريناها
حتى الآن تشير بوضوح الى اننا
سنحصل على نتائج رهيبة".

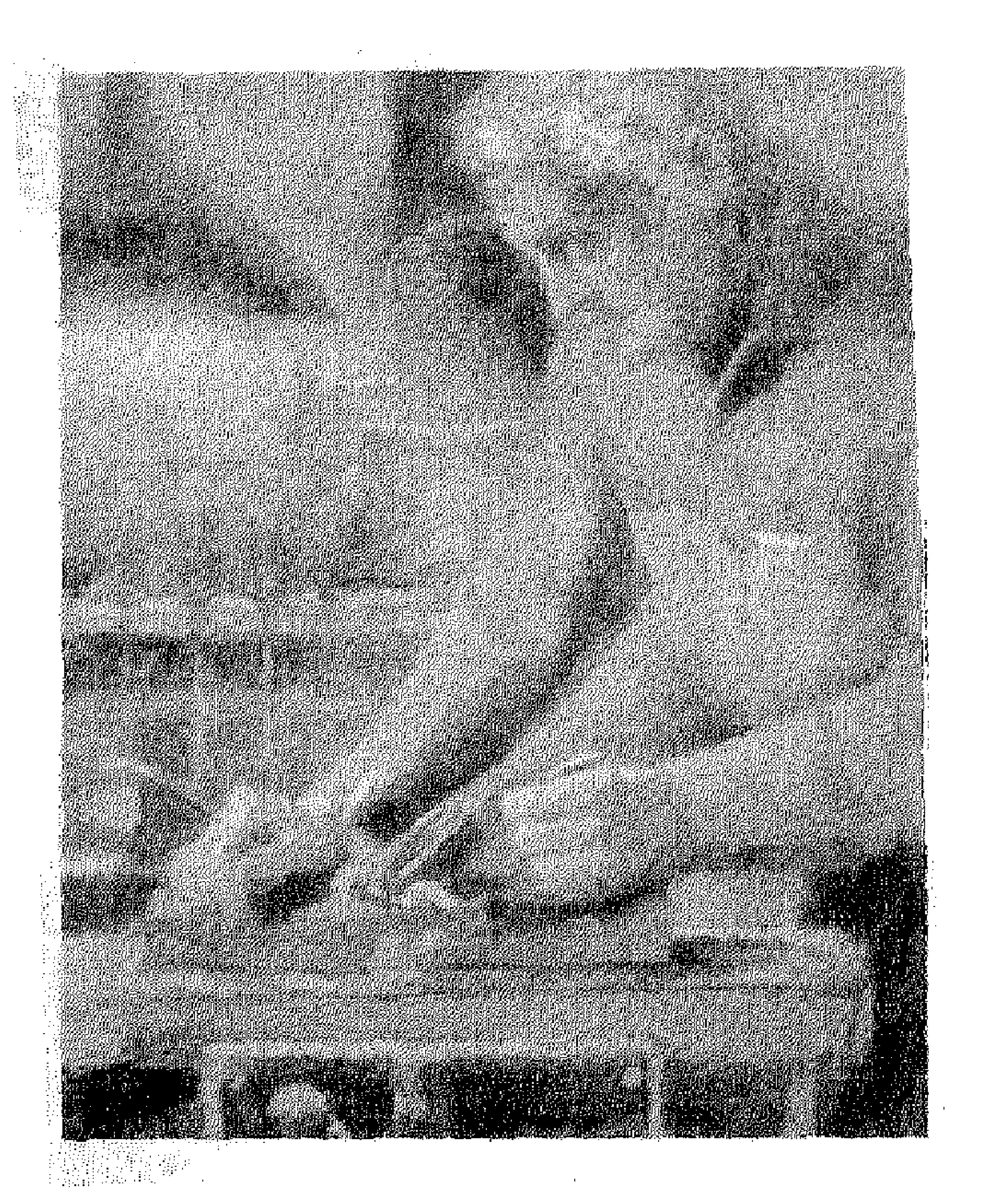
■ بيغي مان



اهون الشرين

من السيىء ان يكون اطفالك مرضى وأنت صحيحا. لكن معظم الناس يوافقون على ان
الاسوأ من هذا هو ان تكون أنت مريضا واطفالك اصحاء.

ن.ا.ن.



أبي ذو اليدين الدافئتين

كانتا كبيرتين وماهرتين، ولم تخذلاه الا في امر واحد. وعندما ودعته، اودعتهما ما افتقدتاه طوال وجودهما

كانت يداه خشنتين وقويتين جداً. كان في وسعه ان يشذّب اشجار الفاكهة برقة وان يصارع بشدة ليسرج بغلا مشاكساً. وكانت له المقدرة على ان يرسم مربعاً وينشره بدقة وسرعة. يعرف عنه استعداده لتسديد قبضة عنيفة الى حنك صلب. الا ان اكثر ما اذكره هو الدفء الخاص الذي كنت استمده من تينك اليدين واحس به ينفذ عبر قميصي، فيما يمسك بي من كتفي، خافضاً رأسه ليدنو من اذني، ويلفتني الى صقر ازرق اللون او ارنب نائم في وجاره. كانتا يدين جيدتين وماهرتين ولم تخذلاه الا في امر واحد: لم تتعلما الكتابة اطلاقاً.

كان أبي امياً. لقد انخفض عدد الاميين في بلادنا، ولكن مجرد بقاء امي واحد يجعلني أشعر بالحزن، متذكراً ابي وما تحمّله من الم لأن يديه لم تمسكا القلم يوماً.

دراسة فاشلة – ابتدأ والدي حياته الدراسية في الصف الابتدائي الاول، وكان جزاء الجواب الخطأ عشر ضربات بالمسطرة على راحة اليد

Condensed from New York Sunday Magazine (November 30, 75) (c)' 75
by New York News, Inc., New York.

المبسوطة. ولسبب ما، بدا ان الاحرف والارقام والدروس لم تستقر في شكلها الصحيح داخل رأسه ذي الشعر الذي اخذ يبيض وهو في السادسة من عمره، او لربما كان مصاباً بمرض اعاقه عن تعلم القراءة، لذا اخرجه ابوه من المدرسة بعد اشهر عدة وعهد اليه في عمل داخل المزرعة.

بعد ذلك بأعوام حاولت زوجته، بثقافتها التي لم تجاوز الصف الابتدائي الرابع، ان تعلمه القراءة. وفي وقت لاحق، كنت امسك قبضة يده الكبيرة بيدَيّ الصغيرتين واساعده على رسم احرف اسمه. كان يخضع للمحنة، وسرعان ما يأخذ في التململ، فيلوي اصابع يديه، ويدلك راحتيه ويعلن انه ضجر، ثم يخرج ويمشي وحيدا في نزهة طويلة.

التجربة المريرة – وذات ليلة، ظن ان احداً لا يراه، فانسل خارج البيت متأبطاً كتاب قراءة ابنه للصف الابتدائي الثاني، وعمل بكد واجتهاد على حل الغاز الكلمات، ولكن من دون جدوى. عندها ألصق جبينه بالصفحات وطفق ينتحب: "يا الهي، يا الهي، حتى في كتاب أطفال؟". ومذذاك، لم يكن لاي قوة ان تقنعه بتناول القلم والورقة.

ومن المزرعة الى تشييد الطرق ثم العمل في مصنع، كانت يداه الماهرتان طوع بنانه وكان عقله متوقداً، وارادة العمل لديه لا تضاهى. وابان الحرب العالمية الثانية، عمل في تمديد الانابيب واصلاحها في احد احواض السفن وفي تركيب الاحشاء المعقدة للسفن الحربية الضخمة. وحملت اليه حماسته وكفايته عرضاً ليصبح رئيساً للعمال، الى ان اخضع لاختبار المؤهلات. فقد كان في وسع اصابع يديه ان ترسم خطا عبر النسخ الهندسية الزرق فيما يتصور ذهنه الانابيب المتشابكة عبر قلب السفينة. وكان في مقدوره ان يتذكر كل التواء وانعطاف في الانابيب. الا انه لم يكن يستطيع القراءة او الكتابة.

وبعدما توقف حوض السفن عن العمل، ذهب الى مصنع للقطن حيث كان يكدح ليلا ويسترق من ساعات نومه الوقت الضروري لادارة المزرعة. ولما اقفل المصنع، اخذ والدي يخرج من البيت كل صباح باحثا عن عمل، ليعود ليلة بعد ليلة ويقول لأمي وهي تعد العشاء: "انهم لا يرغبون في من لا يستطيع الخضوع لاختباراتهم".

الكلمة الجانية – كان من الصعب عليه ان يقف امام رجل ما ويرسم "علامة" امام اسمه. على ان اقسى اللحظات كانت حين وضع "علامته" ازاء اسم كتبه شخص آخر نيابة عنه، ثم رأى رجلا آخر يأخذ منه بهذه الخدعة صك ملكية مزرعته العزيزة. وعند انتهاء "الصفقة"، وقف امام النافذة، وعلى مهل، قلّب القلم الذي كان لا يزال في يديه، محدقاً الى سفح الجبل من دون ان يراه. وتوجهت انا الى مبنى صغير فوق النبع بعد ظهر ذلك اليوم وبكيت طويلا.

وبعد بحث طويل، وجد والدي عملا في مصنع قطن آخر، فانتقلنا الى قرية مجاورة من مئة منزل متشابه. ولم يتكيف والدي قط مع حياة المدن. وبهتت زرقة عينيه، واصيب الجلد

وق عظام وجهه ببعض التهدل. لكن
ديه حافظتا على قوتهما، وظل
فئهما يتسرب اليّ كلما حضنني
طلب اليّ ان اقرأ له في الكتاب
لمقدس. كان يشعر باعتزاز كبير
قراءتي ويصغي ساعات وانا اتخبط
ين العبارات المعقدة العسيرة.

القلق المضني — وسمع مرة في
الاذاعة واعظاً يروي عن الكتاب
المقدس انه قال "ان الرجل الذي لا
يعيل عائلته هو أسوأ من لص وكافر
ولن يدخل ملكوت السماء ابدا".
وكثيرا ما طلب الي ان اقرأ له ذلك
المقطع، الا انني لم اعثر عليه. وفي
بعض الاحيان، كان يجلس الى
المائدة يقلب صفحات الكتاب
المقدس، علّ اعجوبة تحدث فيقع
على هذا المقطع في صفحة يفتحها
وفاقاً... ثم يجلس محدقاً الى
الكتاب، فأدرك انا انه يسائل نفسه
اذا كان الله يرفض دخوله السماء لان
يديه عاجزتان عن الكتابة.

وحين ذهبت امي ذات مرة لتزور
اختها خلال عطلة نهاية الاسبوع،
توجه ابي الى الحانوت وعاد ومعه
طعام العشاء فيما كنت منهمكا في
تركيب آخر عربة صنعتها في منزلي.
وبعد الوجبة قال انه سيفاجئني
بفاكهة طيبة نتناولها معاً، ودخل
المطبخ فشعرت بأنه يفتح احدى
العلب. ثم خيم هدوء مطبق.
فتوجهت نحو باب المطبخ، فرأيته
واقفاً امام البالوعة وفي يده علبة
مفتوحة وهو يتمتم: "كانت الصورة

تشبه الاجاص تماما". وخرج من البيت وجلس على درجات السلم الخلفي، فأدركت انه أحرج امام ابنه. كان مكتوباً على العلبة "بطاطا بيضاء كاملة"، لكن الصورة على الورقة كانت فعلا تشبه الاجاص الى حد كبير.

وذهبت وجلست بجانبه، وتمنيت عليه ان يدلني على النجوم.

نهاية الطريق الشاق ـ بعد ذلك بأعوام توفيت امي، فحاولت ان اقنع والدي بالمجيء للعيش مع اسرتي، غير انه اصر على البقاء في منزله الصغير ذي الهيكل الخشبي القائم عند طرف البلدة ضمن بستان صغير مع بضعة حيوانات داجنة. كانت صحته تتقهقر، وتكرر دخوله المستشفى مصابا بنوبات قلبية خفيفة.

وآخر ذكرى عزيزة حملتها عن ابي كانت عندما راقبته يسير عبر مرج على منحدر التل مريحاً تينك اليدين الكبيرتين الدافئتين ـ وقد شوهتهما الشيخوخة وغضنتهما ـ على اكتاف ولديّ الاثنين. وتوقف ليلفتهما، على نحو ينم عن ثقة بهما، الى بركة ماء كنا، انا وهو، نسبح فيها ونصطاد السمك. تلك الليلة توجهت مع اسرتي جوا الى حيث كان لي، وراء البحار، عمل جديد وبيت جديد. وبعدها بثلاثة اسابيع، توفي والدي في اثر نوبة قلبية.

عدت وحدي لاحضر الجنازة. واعرب لي الدكتور غرين عن بالغ اسفه لمصابي. وفي الواقع اخبرني انه منزعج بعض الشيء لانه كان كتب الى ابي وصفة نيتروغليسرين جديدة، وقد ركب الصيدلي الوصفة، ومع هذا لم يعثر مع ابي على وعاء الحبوب.

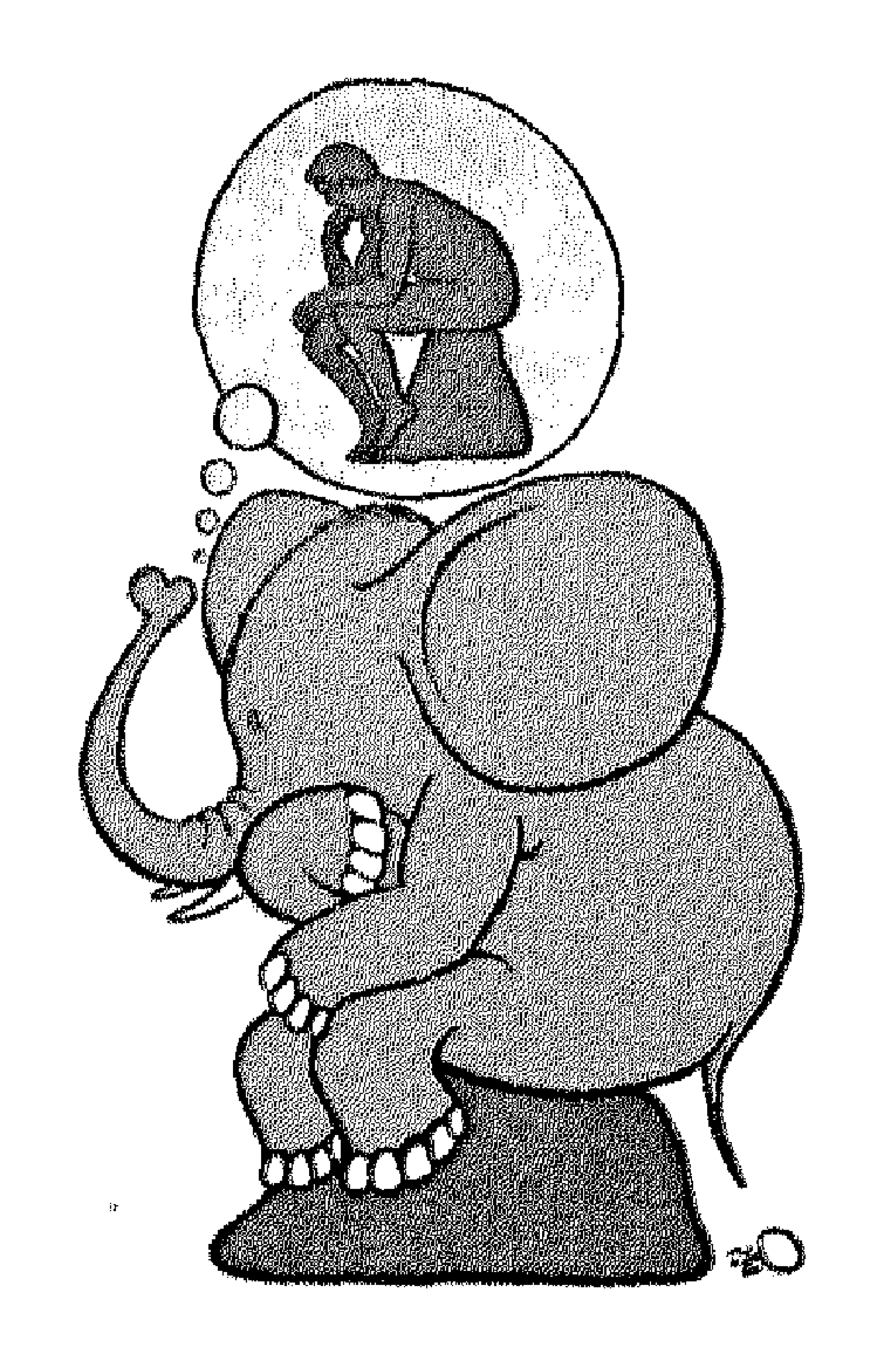
قبل ساعة من صلاة الجناز في الكنيسة، وجدت نفسي واقفاً قرب حديقة ابي، حيث وجده احد الجيران، ملتاعاً لأرسم في التراب باصابع يدي الموضع الذي كان رجل عظيم قد بلغ فيه نهاية عمره. وبعد قليل استقرت يدي على قرميدة (آجرة) نصفها مدفون في التراب، فرفعتها والقيت بها جانباً، قبل ان الاحظ تحتها وعاء بلاستيكياً طريا ملتويا وقد دُق في التراب الناعم.

وفيما كنت ممسكاً بوعاء حبوب النيتروغيسلرين، تراءى لي منظر ابي وهو يصارع لينزع الغطاء، ويحاول يائسا ان يحطم الوعاء بالقرميدة. فادركت لماذا خسرت تانك اليدان الكبيرتان الدافئتان صراعهما مع الموت. فهناك، على غطاء الوعاء، قرأت بضع كلمات مطبوعة: "غطاء يعصو على الاطفال ـ ادفعه الى اسفل وابرمه لتفتحه". وأكد الصيدلي في ما بعد انه، منذ وقت قريب بدأ يستعمل الوعاء الجديد الذي روعيت فيه سلامة الاطفال.

قلم الى... هناك ـ واقدمت على عمل كنت ادرك انه غير منطقي. فنزلت الى السوق وابتعت قاموس جيب له غلاف من جلد وطاقم اقلام ذهبية. وعندما ودعت والدي الوداع الاخير، اودعتها كلها تينك اليدين الكبيرتين العتيقتين اللتين كانتا كثيرتي الدفء ذات يوم، لكنهما، ويا للأسف، لم تتعلما الكتابة.

■ كالفين ر. ورثنغتون

تأملات معاصرة



الخلود الرخيص

مرة ذهب فتى الى معلم جليل وسأله: "كم من الوقت يلزمني لبلوغ مرتبة التنور؟"
فأجاب المعلم: "عشر سنين".
الفتى: هذا الوقت كله؟
المعلم: اعذرني، لقد اخطأت. انك تحتاج الى عشرين سنة.
الفتى: لماذا اضفت الى المدة التي ذكرتها اولاً؟
المعلم: الحق انه في حالك انت، يبدو ان هناك حاجة الى ثلاثين سنة.

ف.ك.

"المواطن الصالح"

اذا كان حب المرء للغابات يدفعه الى المشي عبر اشجارها نصف النهار، فهو يُعَد متسكعاً. اما اذا قضى النهار كله في قطع هذه الاشجار وتعرية الغابة فهو يعد مواطناً دؤوباً وصالحاً.

هنري ديفيد ثورو

الزائف والحقيقي

ما يجعل المرء قوياً هو ما يهضمه، لا ما يأكله. وما يجعله غنياً هو ما يوفره، لا ما يجنيه. وما يجعله مثقفاً هو ما يتذكره، لا ما يقرأه. وما يجعله متديناً هو ما يفعله، لا ما يبشر به.

فرنسيس بيكون

العلم الذي ينفع

لا تحاول ان تبدو اكثر علماً من الذين حولك. بل ضع علمك في موضع ساعة اليد التي تخفيها الى حين تُسأل عن الوقت.

اللورد تشسترفيلد، في رسالة الى ابنه

السعي الى الصلاح

تذكر ان الفرصة لن تتاح لك اطلاقاً لانجاز اعمال بطولية. لكن فرصة انجاز اعمال صالحة تتجدد يوماً بعد يوم. وعلى المرء ان يسعى الى الصلاح: لا الى المجد.

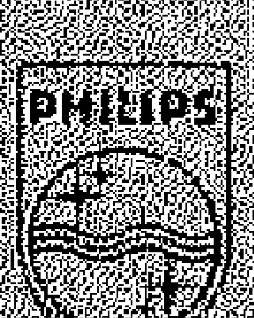
ف.ف.

حان الوقت لاستيقاظك براديوات فيليبس ذات الساعة!

استيقظ على الطريقة التي تحبها ... وذلك بفضل راديو فيليبس ذي الساعة الرقمية الالكترونية المتقدمة. استيقظ على برنامجك المفضل، أو على رنين جرس ان كنت تفضل اشارة منبهة عادية. اما اذا كنت من الذين يصعب ايقاظهم، فان ساعة الراديو يمكن ضبطها لتنبيهك مرة بعد أخرى حتى وان دمت انت على اسكاتها!

اتريد ان تتحقق ان كنت متأخرا؟ طراز المائدة يعرض الوقت بأرقام ضوئية سهلة القراءة طيلة الاربع والعشرين ساعة. كما يعرض الوقت بانذار متقطع في حالة انقطاع التيار من المنبع. اما طراز الراديو النقالي ذو الساعة فيعرض الوقت بوضوح طيلة ١٢ ساعة. زد على ذلك ان الراديو ذا الساعة يبقى مشتعلا حتى تستسلم للنوم ويقطع التيار تلقائيا في موعد مسبق الضبط بين صفر دقيقة و ٥٩ دقيقة.

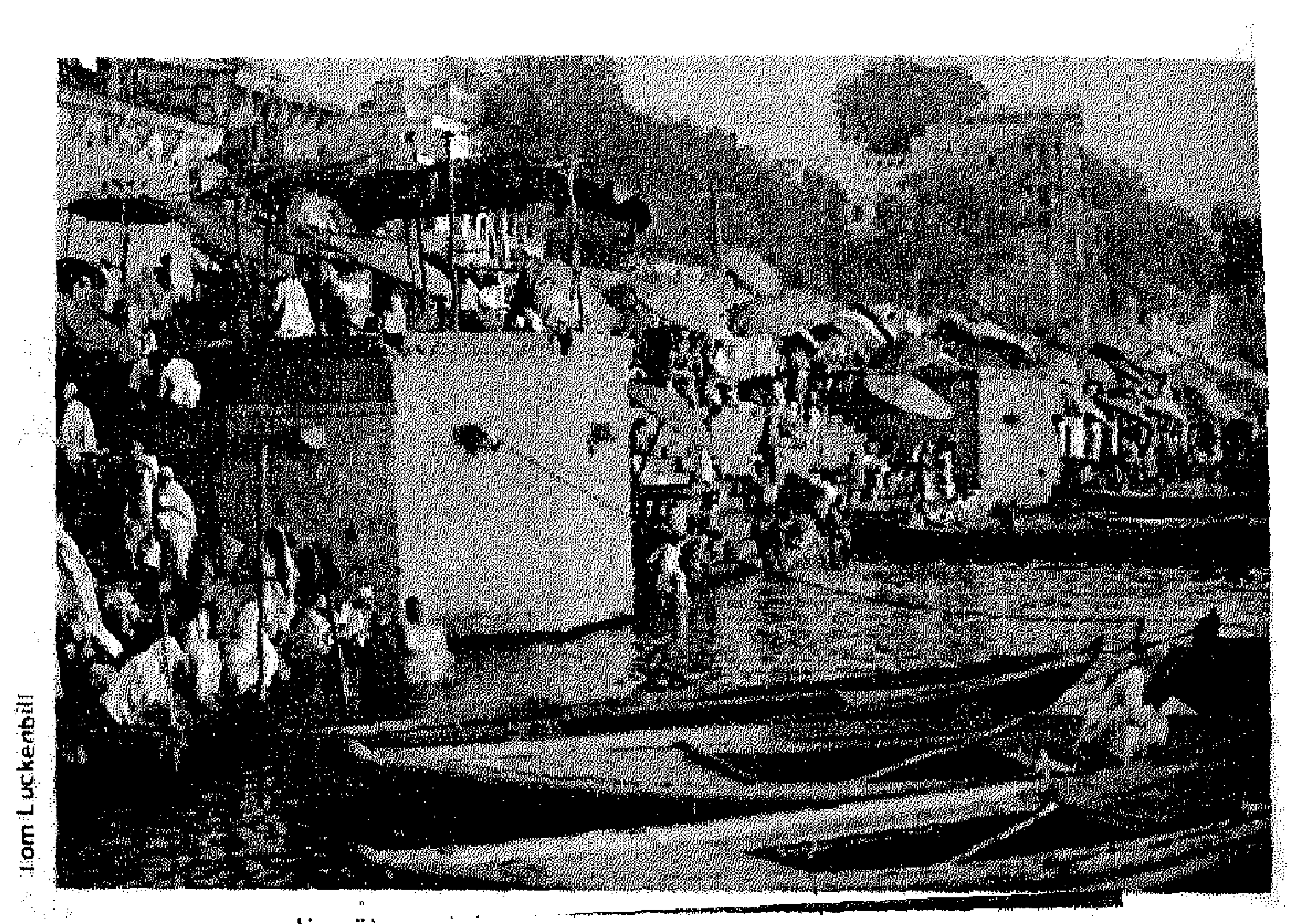
سواء اوقع اختيارك على طراز مائدة ام راديو نقالي ذي ساعة رقمية، فانك ستحصل حتما على استقبال ممتاز وكفاءة يعتمد عليها ... بطريقة فيليبس. لقد ابدعت فيليبس تشكيلة ستسعدك يوما بعد يوم. ساعة رائعة ... وراديو رائعا ... جهازا مثاليا يجمع بين الاثنين. فاستعن بفيليبس، الشركة التي تحرص على راحتك بابتكاراتها التكنولوجية المتقدمة!



فيليبس الأفضل لكم دوما

الغـانج نهر الهند المقدّس

ان القيام برحلة عبر امتداد الغانج، من المرتفعات المكللة بالثلج حتى البحر، اشبه بالنظر الى مشكال يضم مجموعة لا حصر لها من الاشكال الهندسية المتعددة الالوان او موكبا فخما لا ينسى



حجاج يستحمون في مياه الغانج المقدسة على ضفاف مدينة بيناريس.

انه ينبع كجدول تفجر لتوه عالياً في جبال الحملايا، وسط ابراج جليدية صغيرة تتوجها ارياش من الثلج الذي عصفت به الريح. واذ يتدفق هابطاً نحو الجنوب فوق صخور متناثرة وجلاميد منحوتة، فانه يثب عبر غابات مليئة بشجيرات صريمة الجدي ذات زهر غني بالرحيق وبأشجار الدودودندرون البرية القرمزية. وحين تزداد سرعة انحداره فانه يدير مطاحن الحبوب التي اقامها قاطنو التلال، ثم يمر بازاء زاهد هندوسي منفرد يجمع الحطب وهو شبه عار وسط البرد الموجع. وعبر السهول الشمالية الخصبة، تتشمس تماسيح ذوات خطوم طويلة فوق ضفتيه، وتذرع مياهه المغنية بالطمي مراكب هادئة محملة فحماً.

ان مرتفعات من الرمل تتشكل فوق قاعه، ثم تختفي. وضفتاه اللتان يفصل بينهما ثلاثة كيلومترات في فصل الجفاف وتتباعدان الى قرابة ١٣ كيلومتراً في موسم المطر. وبعد ان ينزلق عبر النجد الهندي المائل وسط احد اكثر اقاليم الدنيا كثافة بالسكان، فانه يتدفق اخيراً في القنوات الكثيرة للدلتا التي تعج بالنمور الى خليج البنغال الصاخب. لقد اجتاز مسافة تقرب من ٢٥٠٠ كيلومتر ونضح المياه من منطقة تبلغ مساحتها ٧٢٠ الف ميل مربع وخلف فوق السهول مخصباً من الطمي يصل عمقه الى ثمانية كيلومترات او اكثر.

ذلك هو الغانجا، او الغانج المقدس، نهر الشفاء في نظر شعب الهند.

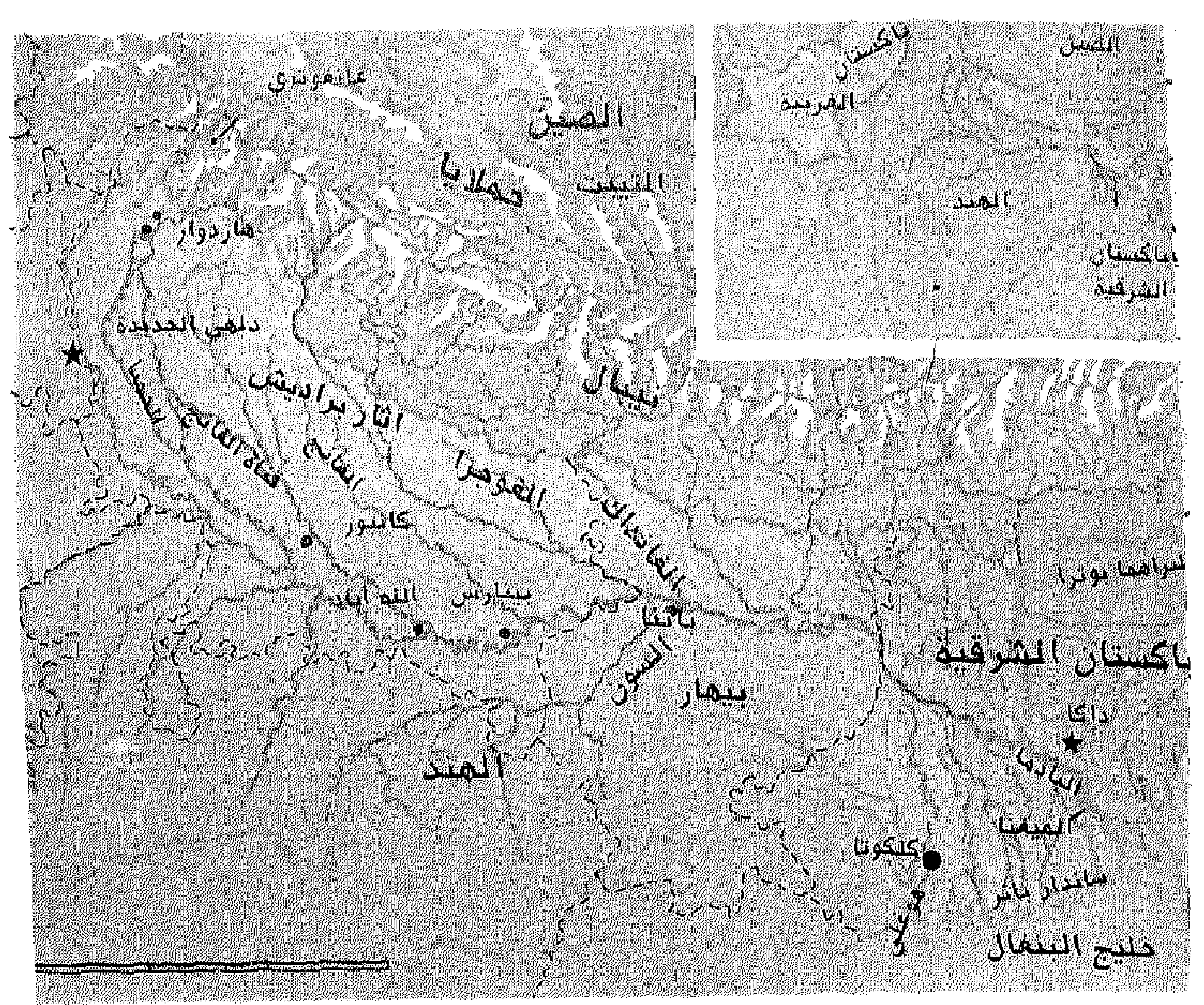
غسل الجسد والروح - يهرع الهندوس اليه كما يهرع الطفل الى امه. وبالفعل، فالغانج هو "غانجا ما" او الغانج الام. وفي المناطق الريفية من الهند فان "القسم بالغانجاجال" (اي بمياه الغانج) هو قسم لا يجوز الحنث به. ويرفع الحاج الذي يقف في النهر حتى وسطه يديه المملوءتين مياهاً الى شفتيه متمتماً بالصلاة. ويبلغ ايمانه بالنهر حد الاعتقاد أنه سوف يتطهر من الاثم اذا ما هو اغتسل به. وأما الموت على ضفتيه المقدستين فيعني اليقين بالنعيم في الحياة الآخرة.

لقد عدت الى وصل ما انقطع بيني وبين الغانج في ولاية اتار براديش، حيث يكون النهر هبط في اتجاه السهول. وفي المرة الاخيرة التي زرت هاردوار، وهي مدينة قديمة يؤمها الحجاج، كان اكثر من مليون هندوسي قدموا ليستحموا في النهر. وفي اثناء زيارتي هذه كانت الشوارع مكتظة بالتاكسيات وبالتونغا (عربات ذات عجلتين)، فضلا عن المشاة. وكانت فرقة موسيقية تصعد انغامها في حفلة زفاف. وفي حين كانت بقرات شاردة تنعم النظر في مخازن الاطعمة، فان راهباً متسولا فظاً من جماعة "السانياسي" يضع شالا قرمزياً على كتفيه اخذ يحدق الينا بجدية.

ان الشوارع الرئيسة تقود نحو الهار - كي - بايري، او "التدرج نحو الله"، وهي اكثر اغواط (او درجات) الاستحمام قدسية في المدينة، حيث تغسل مياه النهر السريعة والباردة اقدام الورعين.

ان الحجاج عالم مصغر عن الهند الهندوسية: المزارع والعالم، والغني والفقير، والمنجم والتاجر، والارملة والعاجز يتشبثون جميعهم بحلقات حديد ناتئة من افريز النهر من اجل السلامة. وهم يأتون غالباً من مسافات بعيدة جداً ويصبرون على الحر والضجيج والذباب والجموع الكثيفة والطعام الرديء واللصوصية ليحققوا هدفهم في الحياة الا وهو غسل الجسد والروح في النهر المقدس.

وبالفعل يسير كثيرون مئات الكيلومترات لتحقيق هذا الهدف. وعند الغسق، يمكثون على ضفاف الغانج للقيام بالآرتي، اي الصلاة، ويرسلون فوق المياه مراكب من اوراق الشجر صغيرة تحمل كل منها شعلة يومض نورها وسط المياه الفضية. ويرحلون مع برود الصباح وقد حمل



بعضهم الى اهله جراراً من مياه الغانج المقدسة. وتوضع هذه الجرار في سلال مصنوعة من اغصان لدنة تتدلى من قضبان طويلة تعلق فوق اكتافهم.

مارد متقلب – في اتجاه الجنوب، ينساب الغانج بهدوء عبر المناطق الريفية حيث تتوسط مجموعات الاكواخ المبنية من الطين والآجر المتلاصقة، حقول القمح والدخن والشعير. وتتمرغ الجواميس السود التي يبلغ وزن كل منها نصف طن في البرك الموحلة في حين يضع راعيها، وحارسها، رجلا فوق رجل مثل كركي المستنقعات. وتنبعث من المزارع رائحة قصب السكر الباعثة على الغثيان. وتصطف العربات التي تجرها ثيران أمام بوابات معمل السكر لتفرغ حمولتها من سيقان القصب النحيلة الغضة والحديثة القطع. ويقف طاووس على حائط آجر ناشراً الوانه القزحية بكبرياء، فيما يقعقع جرار قربه معلناً موسماً مزدهراً جديداً من مواسم "الثورة الخضراء". والغانج شاهد على ذلك كله.

وهو يرى ايضاً مدينة كانبور الغنية والقذرة، التي تكثر فيها معامل النسيج ومدابغ الجلود والمصانع الحربية التي تجسد قفزة الهند الصناعية والمحن الناجمة عنها. ان ما يزيد على مليون ونصف مليون

نسان يعيشون هنا – مليون منهم يحتشدون في مساكن يتألف الواحد منها من غرفة واحدة، او في اجزاء من مثل هذه المساكن، وخمسون الفاً ينامون على الارصفة.

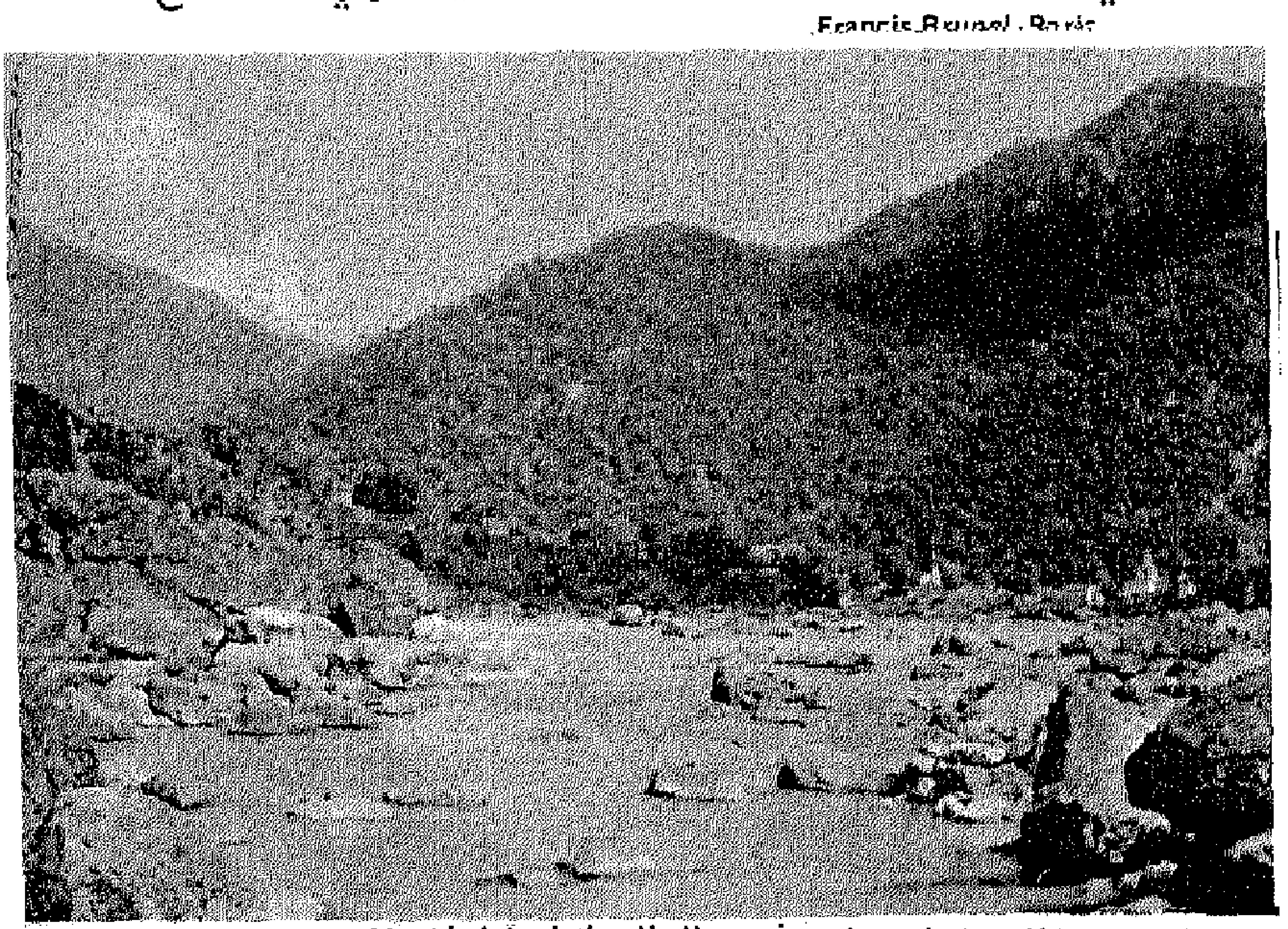
ان الغانج يسيل وديعاً في طرف المدينة، غير انه في ١٩٦٧ حول مجراه فجأة الى مسافة ثمانية كيلومترات مخلفاً وراءه الطمي والرمال ومخاوف المواطنين من تعطل موارد الطاقة والمياه. وقد عملت ١٩ رافعة على مدار الساعة في رفع الاوحال حتى تمكنت من اعادة تحويل مقدار من الدفق عبر قناة يبلغ عرضها ١٥٠ متراً وتتصل بالمارد المتقلب.

وعلى غرار النيل، يغذي الغانج التربة. اذ انه يفيض في فصل الامطار الموسمية ناشراً طبقات مترسبة من الطمي الخصب.

ان الفيضان كارثة، واما الطمي فهو نعمة وفيرة. وتغطي الفيضانات الحقول المقسمة على نحو هندسي كما لو انها الوان مائية تقطر فوق اوراق الرسم. ويقفل تدفق المياه كل الطرق، وتنهار اكواخ الطين وتتوقف الحركة كلياً في النهر.

في الله آباد يلتقي الغانج الجمنا، وهو نهر نبيل كذلك ينبع في الحملايا. ويقترب اللون الابيض المائل الى البني لاحدهما من اللون الازرق للآخر، الا ان خط التمايز بينهما يبقى واضحاً. ويعتقد الهندوس ان نهراً ثالثاً غير مرئي يجري هنا كذلك ويشكل ملتقى مثلثاً يعرف بال"سانغام"، وهو المكان الاكثر قدسية في الهند. ويأتي ملايين الهندوس ليستحموا في هذه البقعة وخصوصاً ابان مهرجان كمب ميلا الديني، الذي يحتفل به في هذا المكان مرة كل ١٢ عاماً. ويقدر عدد المستحمين في اثناء المهرجان بخمسة ملايين نسمة، يغطس معظمهم في النهر في اعقاب ال"نانغا" او الرجال المقدسين العراة الذين يقودون الدفعة الاولى من المؤمنين في الثالثة صباحاً. وفي هذه البقعة بالذات، وأمام قرابة ثلاثة ملايين هندي كانوا يراقبون المشهد من الشاطىء، نثر رماد المهاتما غاندي في الغانج عام ١٩٤٨، ومن ثم رماد رئيس الحكومة جواهر لال نهرو في ١٩٦٤.

لا غنى عنها – هنا يجري الغانج



Francis Brunel, Paris

نهر الغانج ينساب عند سفح جبال الحملايا، قبل ان تنضم اليه روافده.

كولوربارست للتصوير الفوري



عزم جديد، بعد ان انضم اليه لجمنا، نحو بيناريس، احدى اقدم دن الهند. ان بيناريس اشبه بمتحف نرائر واقمشة مطرزة وهي مركز لعلوم الهندوسية والفنون الاسلامية. الكن قصورها وشوارعها القديمة ثيبة وخربة. وحده الغانج والحجاج ذين يؤمون هذا المكان يمنحون يناريس الحياة.

وعلى غرار زائري بيناريس، اقبت طقوس الاستحمام من زورق مجاذيف وسط النهر، ولفتني حاج شاب كان يودع امتعته الضئيلة كاهناً راهمياً يجلس ازاء النهر تحت مظلة من اغصان الاسل. وكان رأس الحاج حليقاً، وقد طلى جسده بالزيت اتقاء لالتصاق وحل النهر به. وحينما غطس في المياه المدومة ردد صلاة قديمة م الهند نفسها: "يا الله، ايها شمس الساطعة بالوان الاشعة، يامن إلف مجموعة جلالات، ارحم متعبدك متواضع". ثم رسم الكاهن علامة قدسة على جبين الحاج بعجينة من شب الصندل.

بعد ذلك زرت غوط حريق، او لمنطقة التي تحرق فيها جثث لموتى، في اسفل النهر على اكمة ظللها اشجار النيم. وهنا كان لنادب الرئيسي اضرم النار بشعلة من لمعبد. ولم المح اي دموع، فالهندوس يأملون بانعتاق الانسان بالموت وحلول نفسه في جسد افضل.

واذ كنت اراقب الحجاج وهم يستحمون في مياه النهر ويشربون منها، فقد سألت دليلي عن امكان وجود تلوث في هذه المياه. فاجابني معبراً عن ايمان الهندوس جميعاً بطهارة النهر، قائلا بلهجة حازمة: "هناك معادن في قاع النهر الى الشمال تطهر المياه حين تجري فوقها". (يصعب ان يكون ذلك صحيحاً لان الاوحال والمياه القذرة ونفايات المصانع تطرح في الغانج في كثير من الاماكن).

وتابعنا رحلتنا في ولاية بيهار الغنية بالحديد والفحم حيث يعيش شعب الهند القبلي الذي يحرث الارض او يعمل في المصانع والذي، على غرار اسلافه، يغني ويرقص في بيدر القبيلة بعد فراغه من العمل اليومي. وهنا يتسع النهر على نحو مثير ليضم اليه الغوجرا والسون والغانداك، وهي انهر جبارة. وفوق باتنا، وهي عاصمة الولاية، هناك سدود في وجه الفيضانات ترتفع الى علو ستة اقدام على ضفتي النهر.

"على السماء ان تؤازر الارز" هذا ما قاله لي احد مسؤولي ولاية بيهار قبل سنوات وفي وقت كان الجفاف قد انتاب نصف بيهار. لكن المطر لم يأت: كانت الحقول العارية والمقفرة ترتعش تحت الشمس، وقد سرت في حقول كانت مشققة. غير ان الارز كان وفيراً في الاجزاء التي يرويها الغانج. وكانت العربات التي تجرها الثيران تنقل الى السوق اكياساً كبيرة يكاد الارز يتفجر منها.

كان سهلا ان يرى المرء ماذا يعني الغانج للهند الريفية.

نهاية الارض – بعد ذلك يدخل النهر، في رحلة الى خليج البنغال، بلدا آخر، هو باكستان الشرقية. ومن جديد ينضم الغانج الى انهر اخرى هي: البراهما بوترا، والجامونا، والبادما، والميغنا التي لا تلبث ان تتفرع وتتوزع مياهها في قنوات عدة تتجه

كلها الى البحر بصفتها "مصبات الغانج".

وفي العام ١٩٧١ كانت غيوم النزاع والحرب الاهلية تخيم فوق منطقة الدلتا الاستوائية التي يبلغ عرضها ٤٠٠ كيلومتر. وكان موضوع النزاع سد فراقة الذي تبنيه الهند فوق النهر على بعد ١٧،٦ كيلومتراً من حدود باكستان الشرقية لأن هذا السد، عندما ينجز، سيحول المياه عن الغانج ليغذي نهر هوغلي في الهند المسدود بالطمي والذي كان في السابق المجرى الرئيسي للغانج، وهو الآن منفذ كلكوتا الحيوي على البحر. وتقول الهند انه سوف يظل في الغانج من المياه ما يفيض عن حاجات باكستان، غير ان باكستان تتخوف على مزارعها وغاباتها ومواطن صيد الاسماك فيها في اثناء الفصل الجاف وتنكر حق الهند في العبث بالمياه الدولية.

كانت كلكوتا، اكبر مدن الهند



الدلتا وقد غمرتها المياه في فصل الامطار الموسمية.

التي يعيش داخلها سبعة ملايين نسمة، القلب النابض للفنون والآداب والفلسفة البنغالية، والعاصمة المالية للهند الشرقية. اما اليوم، ومع انها لا تزال مدينة نابضة بالنشاط، فهي تعتبر اكبر "مدن التنك" في البلاد. فالفقر فيها مفجع، ويعد بعشرات الالوف الناس الذين لا يعرفون اين سيبيتون او متى سيأكلون. ورفع الاوحال باستمرار هو وحده الذي يبقي نهر هوغلي صالحاً للملاحة.

وعلى بعد قرابة مئة كيلو متر اسفل كلكوتا يجري نهر هوغلي في متاهة شاسعة من الغابات والانهر الاستوائية تعرف بـ"ساندار بانز" اي "الدغل الجميل" وتمتد هذه المتاهة داخل باكستان الشرقية. وثمة نوع غريب من الاسماك يسمى صوري الوحل يجري على الضفاف. اما نمر البنغال الملكي الذي غدا ضحية صيادين ينتهكون القوانين من دون حياء، فأنه ينتهك القوانين بدوره فهو يسبح في الليل ليختطف حطاباً نائما في زورق مربوط اعلى النهر.

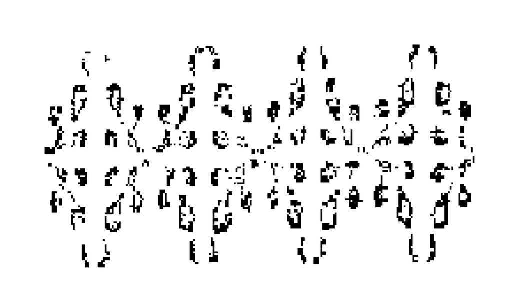
وحين يهطل المطر الموسمي تصبح كل الدلتا الواقعة شرق كلكوتا بحراً داخلياً.

لكن الغانج هو دائم التدفق، ويبدو النهر والخيوط المائية المتفرعة عنه لامعاً وسط الدلتا الخصبة. وتتولى النساء البنغاليات ذوات الشعور الفاحمة الطويلة والعيون اللوزية نقل نبتات الارز الصغيرة وزرعها في التربة الطفالية. وتتموج الاوراق الخضراء لاجمات الشاي وتومض في اراضي التلال القريبة. اما رجال القبائل الذين يحملون اقواسهم وسهامهم فيشقون طريقهم ببطء في

عشب السافانا متجهين الى الاسواق. وتنفخ في المجاري المائية الاوسع مفداقيات تشرف على مراكب مسطحة محملة بضائع متجهة الى تلال البنغال. ويتخلل الدخان المنبعث من النار المشتعلة في القرى اشجار النخيل المنتصبة على جوانب النهر. ويظل النهر دائما وسط المشهد. ولا يزال العالم الهندوسي يأتي اليه الشفاء، كما فعل منذ الوف السنين.

ويقول نهرو في وصيته "ان الغانجا هو نهر الهند الاثير على شعبها، الذي تشابكت حوله ذكرياتها العرقية وآمالها ومخاوفها، واغاني ظفرها وانتصاراتها وهزائمها. لقد كان الغانجا رمز ثقافة الهند وحضارتها السرمدية،متغيراً ابداً ودائم التدفق، غير انه يظل دائماً الغانج نفسه".

■ جون فرايزر



مهنة غير عادلة

اخبرتني راهبة زارت ايرلندا حديثاً انها ذهبت يوماً لترى الحجر الشهير في قلعة بلارني، اذ تقول الاسطورة ان من يقبل الحجر يكسب قدرة على التملق والاسترضاء. وحين سألت حارس الحجر عن شعوره تجاه عمله، أجاب: "انها مهنة عقوقة يا اختاه. فبعدما اقوم بالعمل كله بمفردي يأتي الناس الى هنا ليقبلوا الحجر".

م.م.

جمهور سيىء النية

زخريا فيرنر شاعر رومنطيقي من القرن الثامن عشر، عُرِف بتجاوزاته القانونية. لكنه صار كاهناً، وجال كنائس فيينا عام ١٨٠٩ يلقي عظات ملتهبة عن الخطايا الشهوانية. وفي أحد الايام راح يخطب في جمهور كبير، متكلماً عن "تلك القطعة الصغيرة من اللحم التي هي اخطر عضو في جسد الانسان". وشحبت وجوه الرجال واحمرت وجوه النساء وهو يستفيض في الكلام عن العواقب المريعة لسوء استعمال ذلك العضو الصغير. واستمرت عيناه الثاقبتان تقدحان شرراً وهو يتابع شرحه النابض بالحياة.

وقبيل انتهاء العظة، انحنى قليلا فوق المذبح وصاح بالمستمعين: "هل اسمي لكم تلك القطعة الصغيرة من اللحم؟" وران صمت مطبق على المكان. وفتحت النسوة حقائبهن ليخرجن منها املاح الشم التي تستعمل في حالات الصداع والاغماء. أما هو فانحنى مرة اخرى واستجمع صوته في صرخة مدوية: "هل اريكم تلك القطعة الصغيرة من اللحم؟" فصمت الناس مرتعبين وانقطعت أنفاسهم.

عندئذ عبرت على وجه فيرنر بسمة حكيمة ماكرة، وخفض صوته قائلا: "سيداتي وسادتي ـ انظروا ! هذا هو مصدر خطايانا"... ومدّ لسانه خارج فمه.

د.م.غ.

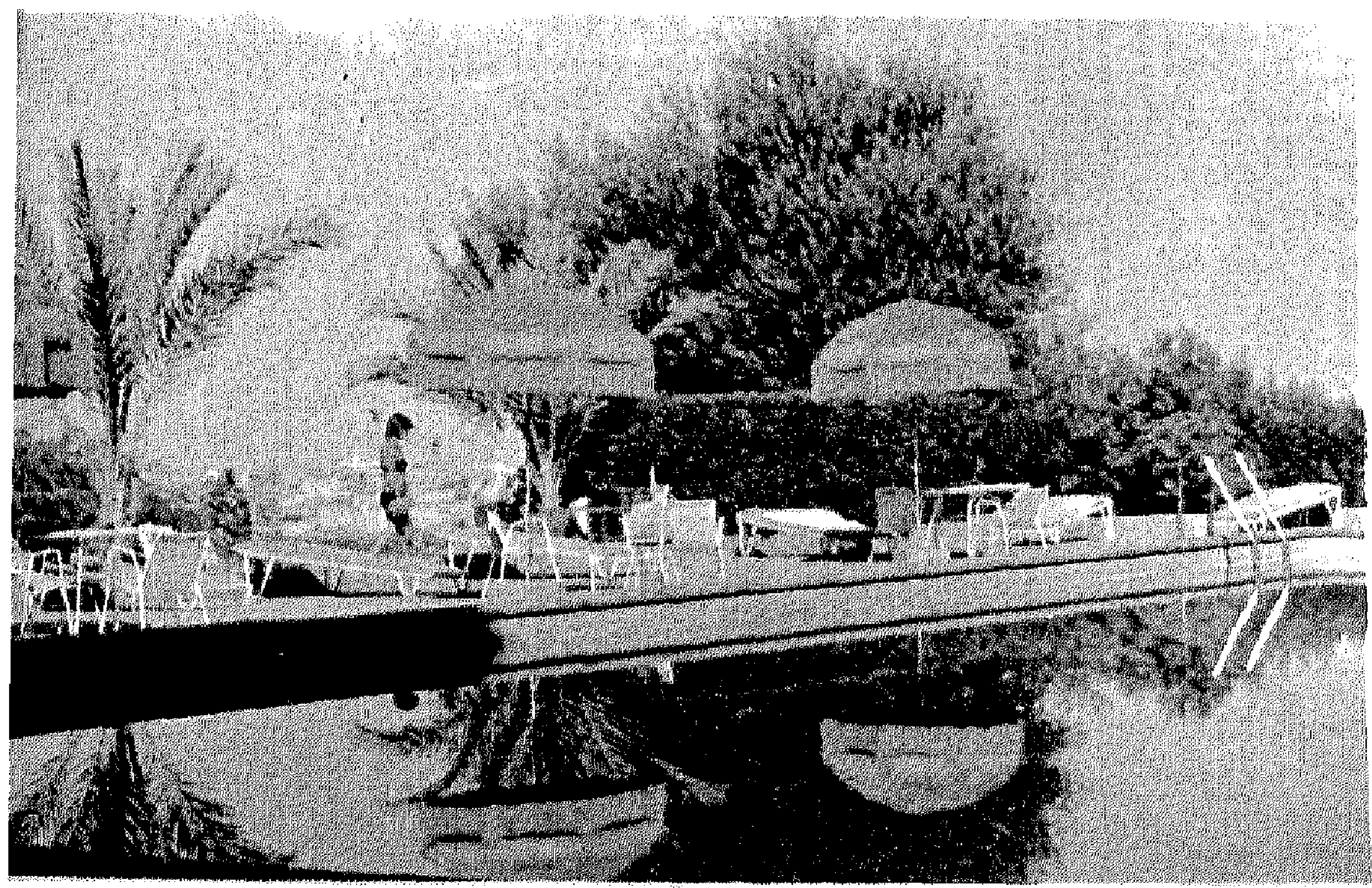
فندق رأس الخيمة

يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة

تمثل فنادق مجموعة ابيـ
ومرافقها السياحية قطاعاً متوس
هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنح
الشرق الاوسط، وهي آخذة فـ
الامتداد الى القارة الاوروبية. وا
رأس الخيمة في دولة الامارا
العربية المتحدة، تملك المجمو
فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشري
"بانغالو" مشجرة اضافة الى العد
من دور الضيافة في بلدان الشر
الاوسط.





طريقك الى الصحة واللياقة
الجسدية وطول العمر ...
قطعها على قدميك

الرياضة المثالية

حين بدأت رياضة المشي للمرة الاولى، كان ذلك وسيلة للهرب. فبعد صباح متعب في المكتب، كنت أقوم بنزهة منعشة وقت الغداء، تتيح لي تنشّق الهواء النقي وتحسّس أشعة الشمس. ثم وجدت أن نزهة اخرى في نسيم الليل البارد هي طريقة ممتازة للاسترخاء.

ولن أنسى، ما حييت، ذلك الشعور الذي انتابني في امسية شتوية وأنا أسير عبر الشوارع المهجورة بعد ساعات طويلة مرهقة قضيتها في المستشفى. فقد تحررت فجأة من الضغط والتعب. وسرعان ما تبخر قلقي حيال مرضاي وهمومي الشخصية كما كانت تتبخر أنفاسي المشبعة بالرطوبة في تلك الليلة الجليدية.

وبعدما اتخذت من المشي رياضة ثابتة، ارتفعت معنوياتي فيما راح وزني وضغط دمي ينخفضان تدريجاً. وباشرتُ مراجعة المواد الطبية المكتوبة حول المشي. وحين قارنتُ ذلك بملاحظاتي العيادية كطبيب للعائلات، تبين لي أن المشي سبيل الى صحة أفضل وجسم أجمل وحياة أطول، مهما كانت السن التي نشرع فيها بهذه الرياضة.

ان المشي، كالسباحة وركوب الدراجة والركض، رياضة هوائية تعتمد على الاوكسيجين الذي ترفع نسبته في الجلد والعضلات، مما يقوي طاقة الجسم ومناعته ويزيد من عمره. وربما كانت هذه الرياضة عنصراً رئيسياً لتجنّب أمراض القلب والدورة الدموية.

ولعل المشي أقل الرياضات الهوائية عسراً. لذلك كان أدعى الى القبول بالنسبة الى غالبية الناس. والمشي بسرعة معتدلة يرفع من جدارة الجهاز الدموي - التنفّسي عن طريق حَفْز الرئتين والقلب. لكن هذه النتيجة، في حال المشي، تأتي تدريجاً، وإن تكن في حال الرياضات الاخرى تتم على نحو أسرَع.

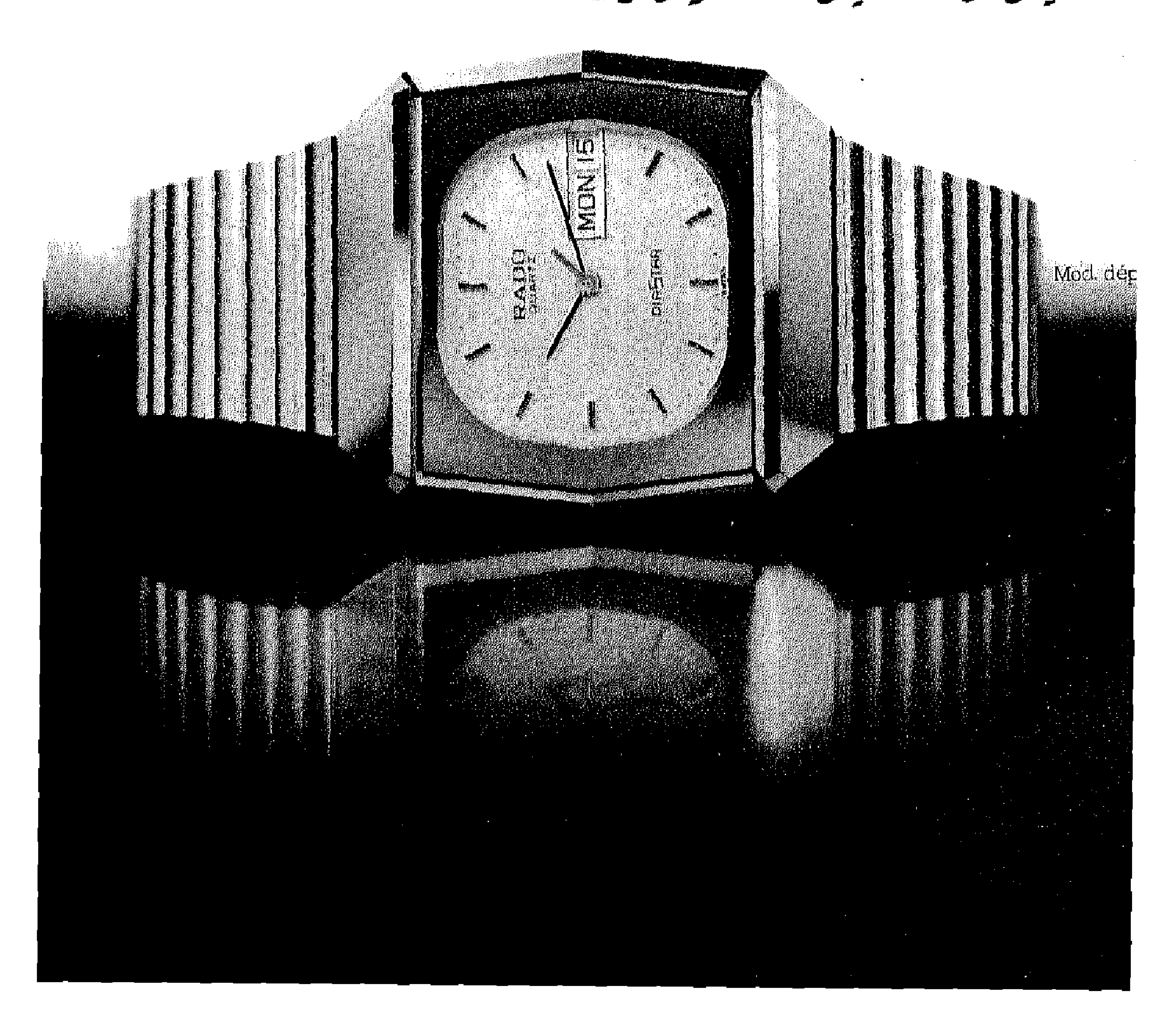
وقد أظهر اختبار أُجري على مجموعة من الرجال تراوح أعمارهم

مقياس الزمن

ليس صدفة أن تكون رادو إحدى الساعات
السويسرية الرائدة في العالم ، فالكمال الفني هو بديهي
في جميع موديلاتها . خذ مثلاً حركة الكوارتز المتناهية في
دقتها بحيث تضمن عدم زيادة فرق التوقيت عن بضع ثوان في السنة.
ثم إن ساعات رادو هي أكثر من مجرد منتجات للدقة . إن جاز التعبير ،
إنها تمثل فلسفة في المفهوم والتصميم نادرة في عالم اليوم حيث أن
رادو لازالت تؤمن في الجديد الغير مطروق وترفض
كل ما يعيقها في بحثها عن الكمال.

RADO رادو

مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن



بين الأربعين والسابعة والخمسين يمشون بخطى سريعة أربعين دقيقة يومياً لمدة أربعة أيام في الاسبوع، أن التحسُّن الذي طرأ على صحتهم يوازي التحسُّن الذي طرأ على مجموعة اخرى ذات أعمار مشابهة، يتابع أفرادها المشي الوئيد لمدة ثلاثين دقيقة يومياً خلال ثلاثة أيام في الاسبوع. وكان افراد المجموعتين يمارسون رياضتهم في الفترة نفسها. وقد سجلت دفات قلوبهم السريعة وكمية الشحم في أجسادهم هبوطاً ملحوظاً. وهذا التقدم برهان على بعض منافع المشي المهمة، بل الحيوية.

الدورة الدموية والتنفُّس - هناك أدلة على أن المشي يوسع الجوانب الضيقة في شرايين القلب التاجية، مقللا من امكان الاصابة بنوبة قلبية. واذا كان هناك شخص عصبي المزاج ويدخن السجائر في الوقت نفسه - واجتماع الأمرين آفة قتالة - فالمشي يحسِّن حاله عبر خَفْض نسبة أول اوكسيد الكربون والنيكوتين المرتفعة جداً في دمه. وربما زاد المشي أوعيته الدموية مرونة، مما يقلل من امكان انفجارها تحت الضغط وبالتالي من امكان اصابته بنوبة قلبية.

وبين المرضى الذين اعالجهم رجل في الرابعة والستين، وهو مصاب منذ زمن بضغط مرتفع ومرض في شرايين القلب التاجية، سألني ان كان يجوز له ممارسة نوع من الرياضة يحسن حاله. فأجبته بأن هناك نشاطاً مثالياً لمثل حاله هو: المشي. ولم يقتنع بذلك حتى أوضحت له أن في امكانه البدء ببرنامج معتدل يفضي به الى المشي لمدة ساعة كل يومين، قاطعاً مسافة تراوح بين ثلاثة كيلومترات وخمسة. وبعد انقضاء ستة أسابيع، كان صاحبنا يمشي مسافة أربعة كيلومترات يومياً. ونقص وزنه قرابة ثلاثة كيلوغرامات، فيما هبط ضغطه على نحو ملحوظ.

الوزن والتناسُب - إن البدانة مرتبطة بالعجز والموت المبكر الناجمين عن أمراض عدة، خصوصاً ارتفاع الضغط واعتلال القلب واختلال الجهاز التنفسي. الا ان زيادة الوزن لا تشكل بالضرورة داء فتاكاً ما لم تصاحبها أعراض مثل السكري وارتفاع ضغط الدم والتدخين والقعود عن العمل والحركة. وفي هذه الحالات، يصبح انقاص الوزن ضرورياً. وأفضل طريقة لتحقيق ذلك هي تبني برنامج مدروس للأكل والرياضة، يوازن بين سعرات الحرارة الداخلة عن طريق الطعام والسعرات الخارجة عن طريق الرياضة.

ولكن ألا تفتح الرياضة شهية المرء وتجعله يأكل أكثر؟

الجواب عن هذا السؤال هو النفي. وهناك دراسات أظهرت أن الرياضة تنقص الشهية بما لها من أثر على ذلك الجزء من الدماغ المتعلق بالقابلية على الأكل، كذلك بابعاد جَرَيان الدم عن القناة الهضمية وحَفْز العضلات على إذابة الشحم في الدم عوضاً عن إذابة السكر.

كما أن المشي يحرق السعرات الحرارية. وهناك حاجة الى ٣٥٠٠ سعرة حرارية داخلة أو خارجة لاضافة ٤٥٣ غراماً الى الوزن أو إنقاصها منه. وبما أن المشي المعتدل لمدة ساعة

نظـــام المشـــي:
الوقت، السرعة، المسافة

ينطوي المشي على عناصر المرح والسهولة والمرونة. وهذا يفسر لماذا يثابر ممارسو هذه الرياضة عليها، في حين تشهد أنواع الرياضة الاخرى عدداً كبيراً من المنسحبين. لكن النظام ضروري لكل حقل. ولكي يكون المشي فعالا، يجب ان يمارَس بانتظام لمدة تراوح بين ٤٥ دقيقة و٦٠ دقيقة كل مرة خلال ثلاث مرات على الأقل في الاسبوع. وأقترح ان يبدأ البرنامج بفترة تكييف تستغرق ستة أسابيع، خصوصاً من أجل المتقدمين في السن والذين لم يتعودوا الرياضة.

يُبْدَأ بالمشي ١٥ دقيقة مرة كل يومين خلال اسبوعين. وترفَع المدة الى ٣٠ دقيقة في اليومين خلال الاسبوعين اللاحقين، ثم تصل تدريجاً الى ٤٥ – ٦٠ دقيقة أربع مرات في الاسبوع.

وليس طول الخطوة أو قصرها مهماً بالنسبة الى الراحة. وقطع ثلاثة كيلومترات في الساعة ببطء أو خمسة كيلومترات باعتدال أمر مقبول. أما قطع ستة كيلومترات ونصف كيلومتر بسرعة فهو أمر شاق ومرهق بالنسبة الى معظم الناس وليس ملائماً في المدى الطويل. وتجدر الاشارة الى أن الوقت الذي يقضيه المرء في المشي أهم من حجم الخطوة. وتجب المحافظة على نظام ثابت. واذا كان أسهل على شخص ان يمشي نصف ساعة يومياً من أن يمشي ساعة كل يومين فهذا حسَن. كما أن المشي ١٥ دقيقة صباحاً و٣٠ دقيقة ظهراً يعادل المشي المستمر طوال ساعة كاملة. ولكن للحصول على أفضل نتائج الرياضة الهوائية، يحسن ألا يقلّ وقت المشي في المرة الواحدة عن ١٥ دقيقة. وعلى الراغب ان يضع برنامجاً ينسجم ومتطلبات عمله، ولكن عليه ان يبذل كل جهده للتقيد به. ويمكن ان يكون البرنامج مرناً، من غير ان يقل عن ثلاثة أيام في الاسبوع.

وهذه بعض نصائح اضافية:

- ☐ على رغم ان المشي من أسهل التمارين وأقلها ارهاقاً، الا أنه تجدر استشارة الطبيب قبل الاقدام على ذلك.
- ☐ تجنَّب المشي بعد الأكل مباشرة، وكذلك في الطقس الشديد البرودة أو الحرارة أو العَصْف أو الرطوبة.
- ☐ لا تدفع جسدك الى الأمام الا طلباً للتنفّس. وإذا شعرتَ بالتعب فتوقّف واسترح.
- ☐ ضع في رجليك خفين واطئي الجوانب للحصول على أكبر مقدار من الراحة والأمان.
- ☐ امش برفق وهدوء، ولكن لتكن كل خطوة من خطواتك قوية. وبعد وقت من التمرين، ستحصل على الخطوة التي تلائم طولك ووزنك.

يحرق ٣٠٠ الى ٣٦٠ سعرة، فالمشي لمدة ساعة كل يومين يؤدي الى إحراق ٦٨٠ غراماً في الشهر وثمانية كيلوغرامات في السنة، شرط ان يبقى معدل الطعام ثابتاً. ومن أجل انقاص الوزن بسرعة أكبر، على المرء ان يمشي ساعة يومياً ليخسر ١،٣٦ كيلوغرام في الشهر و١٦ كيلوغراماً في السنة.

وبين مرضاي امرأة تعمل وراء طاولة في مكتب، وهي أثبتت جدوى هذه الطريقة. وقد كانت في صحة جيدة ووزن مقبول بالنسبة الى طولها. لكن أعلى فخذيها كان ضخماً ومترهلا. ولم تكن الحمية عن الطعام حلا فعالا في حالها.

صَبَاح الخَيْر!

NESCAFÉ
café instantané
instant coffee

نسكافه

نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .

وقد بدأت تمارين تستغرق عشر دقائق يومياً من أجل تقوية بنيتها وضبطها. لكنها لم تلبث ان أقلعت عنها بعد أسابيع لأنها كانت "مرهِقَة". وتوجهت بعد ذلك الى منتجَع من المياه المعدنية حيث تسنت لها السباحة واستخدام بعض الآلات. لكن أعمالها الملحة لم تتح لها استعمال تلك الطريقة بانتظام.

ورفضت نصيحتي لها بأن تقطع مسافة الـ١٥٠٠ متر بين مسكنها ومكتبها مشياً حين علمت أنها لن ترى النتيجة قبل شهر على الاقل. وقلت لها: "ولكن ماذا تخسرين؟ ان أسوأ ما يمكن حدوثه هو أنك ستوفرين بعض المال والوقود واجور ايواء السيارة في مرأب".

وأخيراً حاولت ما قلْتُه لها، وهي لا تزال تفعل ذلك حتى الآن. والنتيجة أنها اليوم تلبس ثياباً تقل قياساً واحداً عما مضى، وأن عضلات معدتها أشد وبطنها غير منتفخ، وأن فخذيها فَقَدا تلك الصفة العجينية الهشة.

على طريق الشيخوخة — ربما كان للعناصر الوراثية أثر في مدة العيش، لكن الطريقة التي يعيش بها المرء ذات أثر على طول أيامه ونوعية حياته في مرحلتها الاخيرة. ومعلوم ان كل عقد يلي السن الثلاثين يحمل معه نقصاً في قدرة القلب على ضخّ الدم بنسبة ٦ الى ٨ في المئة، وارتفاعاً في ضغط الدم بنسبة ٥ الى ٦ في المئة، وخسارة في عضلات القلب بنسبة ٣ الى ٤ في المئة. وتفقد أوعية الدم قابليتها على التمدد، كما تفقد الرئتان مقداراً كبيراً من مرونتهما.

وكلما قل نشاط المرء، كانت الشيخوخة أسرع اليه وضعفت مناعته تجاه المشكلات الجسدية والنفسية. ولا نبتعد عن الصواب حين نربط بين التقاعد الذي يحمل معه القعود عن العمل وذلك التخلّف الذهني الذي يسمى "الخرَف".

وهناك شخص عمل في حقل البناء ابتداء من السن الخامسة عشرة وكان ذا بنية جسدية متفوقة. وما ان تقاعد حتى قصر نشاطه اليومي على مشاهدة التلفزيون والاكثار من المآكل الخفيفة. وبعد ثماني سنوات على هذا المنوال، زاد وزنه ١٣،٥ كيلوغراماً وأُصيب بالتهاب في مفاصل عظامه. وكان أفراد عائلته، بدافع محبتهم له، عوّدوه العيش بتلك الطريقة الخاملة.

وهذا الشخص لا يفعل شيئاً اليوم أكثر من النوم والأكل. لكنه يحس دائماً بالتعب وأحياناً كثيرة بالكآبة. ولو وضع في برنامج تقاعده المشي مسافة طويلة يومياً والأكل باعتدال، لكان اليوم يستمتع بهذه الفترة من حياته التي طالما تاق اليها، متحرراً من ضعفه الجسدي والذهني.

ومهما تكن بلغْتَ من العمر، فاليوم هو الوقت المناسب للتفكير في سلامتك الجسدية كما تفكر في الراتب الذي يأتيك من التقاعد أو التأمين. والحق أن المشي طريقة دفاع فعالة ضد هجمات الأمراض الفتاكة والشيخوخة. انه طريقة وهبتك اياها الطبيعة لضبط جسدك.


■ **فريد ستوتمان**

دكتور في الطب

اهتمام جديد يجتذب الهواة
في انحاء العالم


جمع البطاقات البريدية

في العام ١٩٦٥ دفع المحاسب اللندني ديفيد بيرلمان بنساً انكليزياً واحداً ثمناً لبطاقة بريدية رسمها عند منقلب القرن فنان يدعى الفونس موشا. هذه البطاقة، وهي صورة موقعة تمثل امرأة طويلة الشعر في ثياب منسابة رسمت باسلوب "آر نوفو"، اي الفن الحديث، الذي ازدهر في تلك الفترة، ثمنت اخيراً بمئة جنيه استرليني اي بزيادة ٢٤ الف ضعف. هذا التطور يوضح سبب تحول جمع البطاقات البريدية الى أحدى الهوايات الاكثر رواجاً اليوم. هناك الآن نحو مليون هاو متحمس في اوروبا الغربية والولايات المتحدة، وتنتشر انديتهم في كل مكان. وفي العام ١٩٧٩، في اكثر من ٣٠٠ معرض



Picture Postcards of the Golden Age A Collector's Guide by Tonie and Valmai Holt.

)، رسم ايفا دانييل، (١٩٠١)



ول بطاقة بريدية في العالم: كوريسبوندنتس – كارته" النمسوية ١٨٦٠

جزء تفصيلي من بطاقة مولان رو لطاحونة الحمراء) للرسام الفرنس الشهير تولوز – لوتريك، ١٨٩٨

بطاقة معدنية من سلسلة جولارد، تمثل مدينة ليفربول الانكليزية، ١٩٠٥

"بطاقة ميكانيكية" موالية للالمان تدين السفن التجارية البريطانية لرفعها اعلاماً محايدة لخداع الغواصات الالمانية. دولاب الهواء الظاهر في البطاقة اتاح تغيير الاعلام، ١٩١٥.

England and the Merchant Flag Humbug.

بطاقات البريدية في اوروبا
غربية، تبادل مئات الوف الزائرين،
وافدين من بلدان بعيدة مثل
وستراليا والارجنتين واليابان،
لايين البطاقات التي بلغت قيمتها
٢٠٠ مليون فرنك فرنسي (نحو ٥٠
مليون دولار). وهناك كثير من دور
لبيع بالمزاد العلني، وبينها
مؤسسات شهيرة مثل "سوثبي" في
لندن، تضيف البطاقات البريدية الى
مبيعاتها.

ولا يعلم احد كم يبلغ عدد
البطاقات البريدية المختلفة في
العالم. ولكن يبدو ان الحد الادنى هو
عشرة ملايين. وهي تكاد تعالج كل
موضوع يخطر في البال. وتضم
مجموعة نفيسة لدى هاوية باريسية
اكثر من ١٥٠٠ بطاقة عن كذبة ابريل
(نيسان)، يعود عهدها الى ما قبل
العام ١٩١٤. وينحصر اهتمام هاو آخر
في بطاقات مصورة تمثل المقابر
وشاهدات الضرائح. ويهتم المؤرخون
بالبطاقات القديمة لانها، في
اعتبارهم، سجل احداث لم تدخل
كتب التاريخ قط: مباراة لجمال
الاطفال في مقاطعة بريتاني
الفرنسية عام ١٩٠٠، حريق في متجر
كبير للالبسة في مدينة بطرسبورغ
الروسية (لينينغراد حالياً) عام
١٩٠٤. ويقول الكاتب البريطاني كيث
ووترهاوس: "البطاقات البريدية
تكتب تاريخ الحياة العادية".

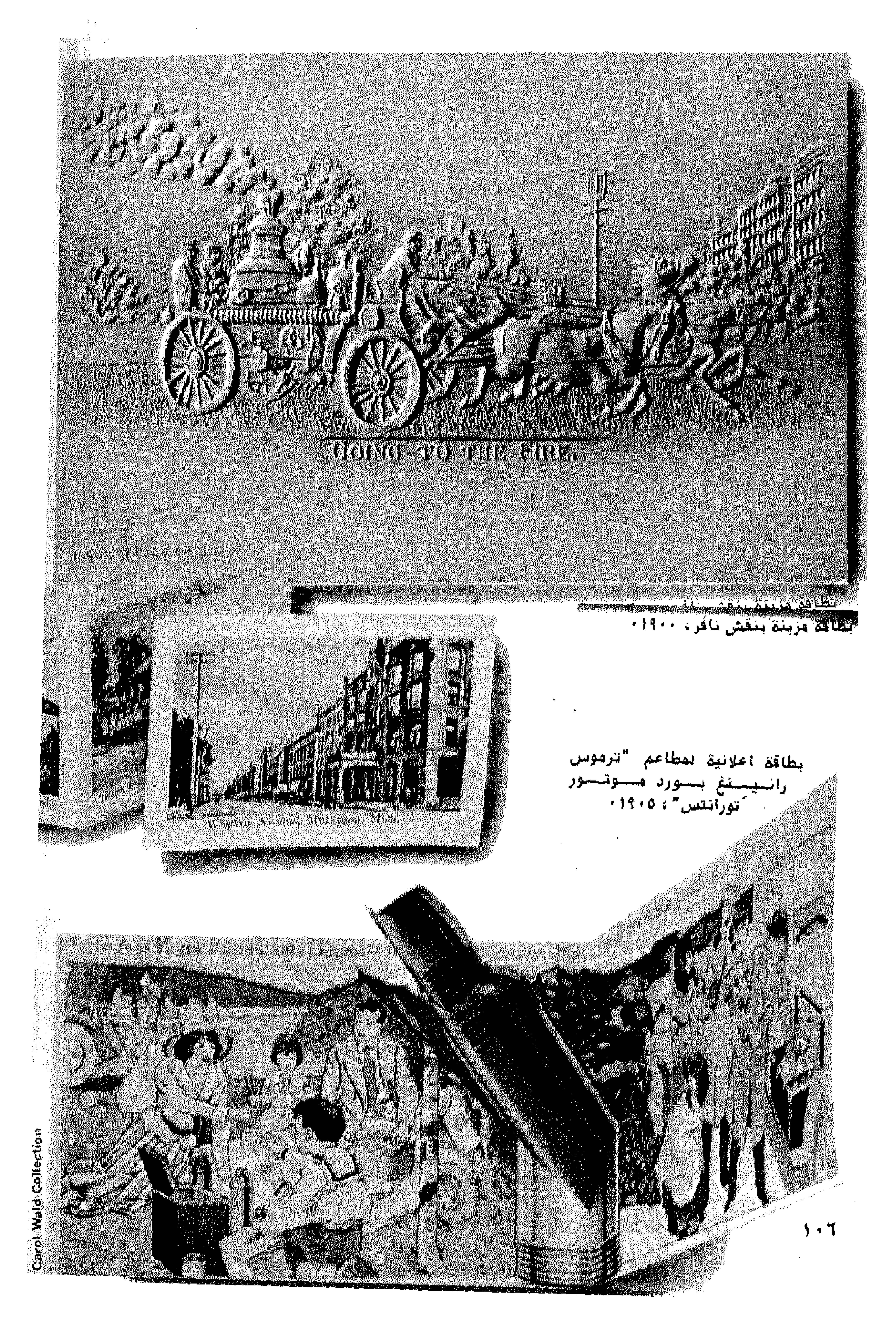
كلنا مبتدئون — تنسب البطاقات
البريدية الى استاذ الاقتصاد النمسوي
عمانوئيل هيرمان، الذي اقنع

Carol Wald Collection.

بطاقة بريدية لعيد الميلاد تمثل الروائي الانكليزي تشارلز ديكنز، وهي احدى ست بطاقات في مجموعة لادباء بريطانيين، ١٩١٠.

Carol Wald Collection.

بطاقات مبتكرة مصنوعة من جلد، مختومة ومعنونة على الظهر، ١٩٠٧.



بطاقة مزينة بنقش نافر، ١٩٠٠م

بطاقة اعلانية لمطاعم "ترموس رانينغ بورد موتور تورانتس"، ١٩٠٥م

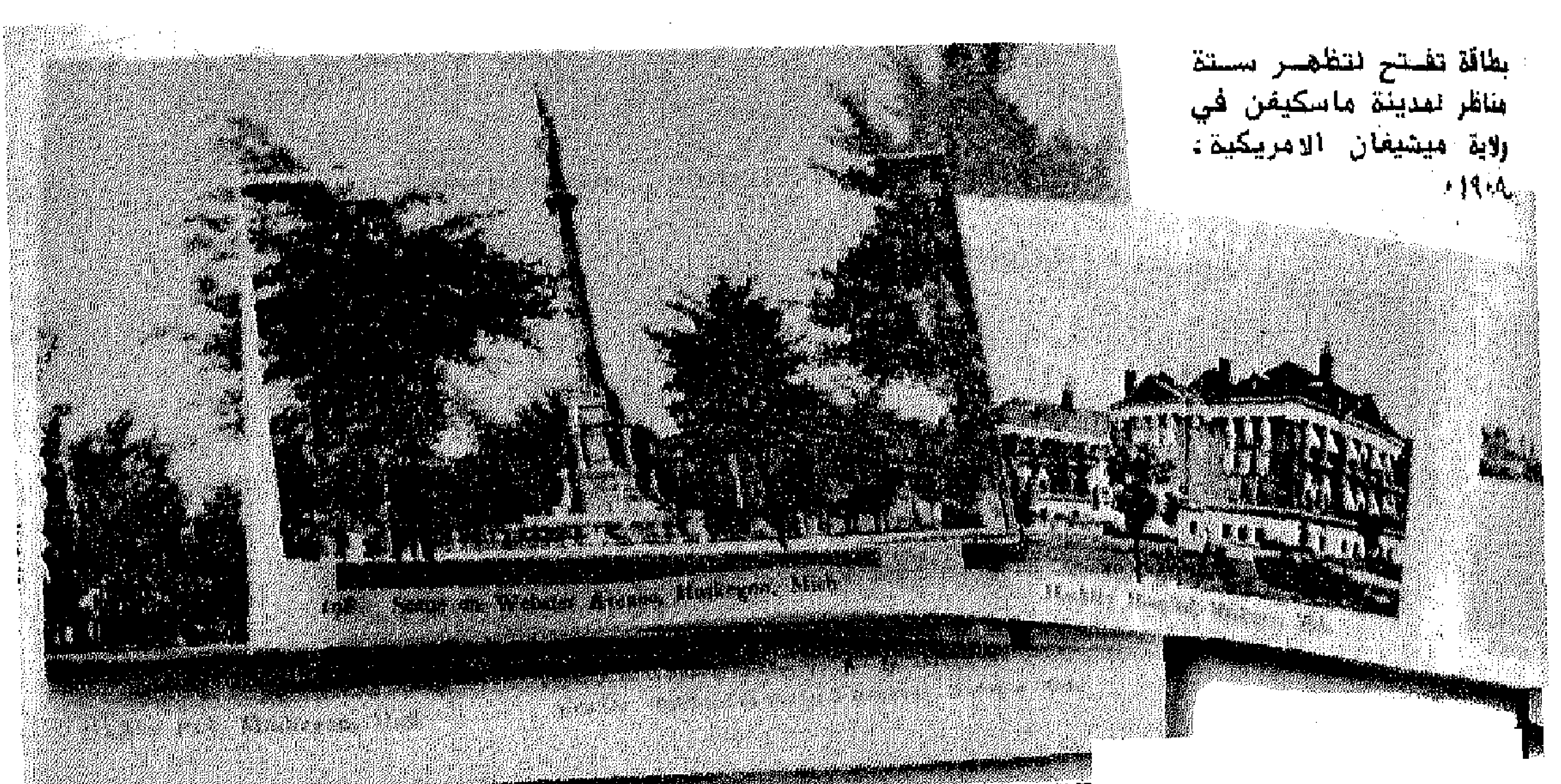
Carol Wald Collection

مسؤولي ادارة البريد النمسوية في ١٨٦٩ بعرض بديل رخيص من الرسائل المغلقة. وأرسلت اكثر من ثلاثة ملايين بطاقة بالبريد في الاشهر الثلاثة الاولى.

ووضعت البطاقة البريدية قيد التداول في بريطانيا بعد ذلك بسنة واحدة، في اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٧٠، وكذلك في المانيا واللوكسمبور وسويسرا. وفي ١٨٧١ بدأ استخدامها في بلجيكا وكندا الدنمرك وهولندا، ووصلت في العام ١٨٧ الى سيلان (جزيرة سري لانكا حالياً) والنروج واسوج وروسيا، وفي لعام ١٨٧٣ اعتمدتها التشيلي وفرنسا وجزيرة نيوفاوندلاند الكندية ورومانيا وصربيا (في يوغوسلافيا) واسبانيا والولايات المتحدة. وسرعان ما تبعتها بقية بلدان العالم.

في سبعينات القرن التاسع عشر كانت البطاقات البريدية تستعمل على نطاق واسع في اوروبا واميركا الشمالية. الا ان العامل الاكبر في ازدهارها هو الجمع بينها وبين الصور الفوتوغرافية. ويقول بعض الخبراء ان اولى البطاقات المصورة صدرت بمناسبة معرض باريس عام ١٨٨٩. وهي تمثل برج ايفل الحديث البناء آنذاك.

واليوم يمكننا تقدير قيمة كل بطاقة تقريباً. ويعود معظم الفضل في ذلك الى هاويين فرنسيين هما جيرار وجويل نودان، مؤسسا الدليل السنوي الذي يحمل اسمهما. وبفضل دليل نودان، المزود باكثر من ٣٥٠ صورة ايضاحية، يستطيع الهواة الخبراء والمبتدئون الحصول على تفاصيل عن البطاقات البريدية ونصائح حول تصنيفها وقائمة بالتجار والجامعيين، ومعجم للاصطلاحات الخاصة. وتصدر الآن منشورات مماثلة لدليل نودان في بريطانيا والمانيا الغربية وبلجيكا وايطاليا والولايات المتحدة.



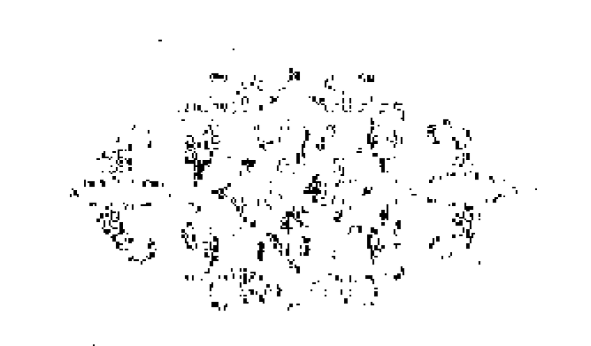
بطاقة تفتح لتظهر ستة مناظر لمدينة ماسكيغن في ولاية ميشيغان الامريكية، ١٩٠٨.

وقد يكون لدى كثير من الراغبين في ممارسة هواية جمع البطاقات البريدية عدد كبير منها من غير ان يدروا. ويرجح ان هناك في اوروبا وحدها ما لا يقل عن ٣٥ مليون بطاقة يعود تاريخها الى ما قبل العام ١٩١٤، معظمها مهمل او منسي في صناديق عتيقة. ولذلك يقول الهاوي طوني هولت، وهو ضابط متقاعد في الجيش البريطاني: "الخطوة الاولى التي عليك اتخاذها هي التنقيب في قبو بيتك".

وتتعدد فرص اقتناء بطاقات حديثة بثمن زهيد. فاضافة الى البطاقات التذكارية التي تصدر في مناسبات الاعياد السنوية والمعارض الفنية والمؤتمرات، يحسن بالهواة المبتدئين ان يراهنوا على البطاقات الدعائية التي تصدرها المتاجر والفنادق والمصانع والمؤسسات الاخرى. وينبغي لمثل هذه البطاقات ان تتناول حدثاً اصلياً وان تحمل صورة فوتوغرافية جيدة لم تظهر في اي مكان آخر. ويمكن القول ان بطاقة تحمل رسالة وطوابع مستعملة هي، عموماً، اكبر قيمة وأغلى ثمناً من بطاقة غير مكتوب عليها. والامر الآخر الذي على الهاوي معرفته ان نطاق المواضيع هو من الاتساع بحيث يجدر به ان يتخصص بموضوع او مواضيع محددة.

ونظراً الى بساطة قواعد الجمع ووفرة المراجع، يقول هاو الماني: "العظيم في هواية جمع البطاقات البريدية هو ان الذين يبدأون الآن لا يشعرون بارتباك امام خبرة الهواة القدامى، فنحن جميعاً لا نزال نتعلم".

■ برنارد كابلان



ماحك جلدك مثل ظفرك

قبل سنوات، عندما كان فريد هاريس عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي عن ولاية اوكلاهوما، تجاوز عدد معاونيه العشرين شخصاً. وكان بينهم كاتب الخطابات والباحث وحافظ المواعيد ومنسق الرحلات ودافع الرسوم وحاجز الامكنة في المطاعم ومبعد القاصدين ومرافق الزوار والمتكلم على الهاتف وسائق السيارة والحاجب ومستلم الرسائل وكاتب الرسائل وشاري الهدايا لزوجة هاريس في عيد ميلادها، وآخرون سواهم.

ويقول هاريس: "لقد تقلصت قدرتي على متابعة شؤون الحياة اليومية"، اذ لم يعد مضطرا الى ان يقف في الصف هنا او هناك انتظاراً لدوره، او الى ان يضع ثيابه بنفسه في محل التنظيف. ويتابع: "لدى انتهاء ولايتي في مجلس الشيوخ، كان علي ان اتدبر الحصول على رخصة لقيادة السيارة، وعلى خرق لتنظيفها، وان اكتشف طريقي من المطار الى احد الفنادق وسط المدينة. لكني وجدت متعة كبيرة وأنا اتعلم من جديد كيف اعيش كما يفعل الناس العاديون".

ج.و.



دائرة المعارف

دائرة هذا الشهر اصوات لبعض الكائنات من انسان وحيوان ونبات وجماد وامام كل صوت اربعة اجوبة واحد منها صحيح وعلى القارىء ان يختار منها ما يراه صحيحاً قبل ان يقلب الصفحة ليقابله مع الجواب الصحيح وبذلك يستطيع ان يسبر مستواه.

١٠ **الصفير**: للحية ـ للنسر ـ للقيد ـ لاول صوت الحمار.

٢٠ **الرغاء**: للبعير ـ للعجل ـ للثعلب ـ للخيل.

٣٠ **المعمعة**: للقيد ـ للرحى ـ للعظام ـ للرعد.

٤٠ **القعقعة**: للنصال ـ للقيد ـ للرحى للنعال.

٥٠ **الجعجعة**: للعظام ـ للقوس ـ للرحى ـ لصوت حركة الدرع.

٦٠ **القلقلة**: للمطر ـ للقدر ـ للمفتاح ـ للباب.

٧٠ **الخَفْق**: لصوت حنين الابل ـ لرنة القوس ـ للنعال ـ للحرب.

٨٠ **القضقضة**: للعظام ـ لصوت النار ـ لآخر صوت الحمار ـ للجمال.

٩٠ **الهزيم**: لصوت اوراق الشجر المتساقطة ـ للرعد ـ للموج اذا علا ـ لحركة الدرع.

١٠٠ **الهبوب**: للرعد اذا تلاه مطر ـ للريح ـ لاهتزاز ورق الشجر ـ للعاصفة.

١١٠ **الغطغطة**: لصوت النائم اذا ارتفع ـ للنار ـ للقدر ـ للقطا.

١٢٠ **الضُّباح**: للأفعى ـ للثعلب ـ للشاة ـ للبعير.

١٣٠ **الهدير**: للجمال ـ للخيل ـ للذباب ـ للأسد اذا جاع.

١٤٠ **الطنين**: للجرس ـ للذباب ـ لآخر صوت الحمار ـ للضفدع.

١٥٠ **الفحيح**: للمياه المنسابة ـ للهر اذا استثير ـ للأفعى ـ للصرصار.

١٦٠ **الصأي**: للفرخ ـ للهر ـ للقلم ـ للباب.

١٧٠ **الثغاء**: للجمل ـ للحمام ـ للشاة ـ للدجاج.

١٨٠ **الصليل**: للنصل ـ للمفتاح اذا ادخل في القفل ـ للحديد ـ للماء المنساب.

١٩٠ **الخوار**: للظليم ـ للعجل ـ للخيل ـ للحمام.

٢٠٠ **العرار**: للعظام ـ للافعى ـ للهر ـ للظليم.

٢١٠ **الدوي**: للقلم ـ للباب ـ للريح ـ للمطر.

٢٢٠ **الرنّة**: للزجاج اذا تحطم ـ للقوس ـ للصخر اذا سقط ـ للعود.

٢٣٠ **الصريف**: للباب ـ للقلم ـ للشجر ـ للرحى.

٢٤٠ **الازيز**: للغراب ـ للجن ـ للرعد ـ للفيل.

٢٥٠ **الأطيط**: للجن ـ للنائم ـ للقلم ـ لصوت حنين الابل.

٢٦٠ **الحفيف**: للشجر ـ للرذاذ ـ للقلم ـ للباب.

٢٧٠ **الشهيق**: لأول صوت الضفدع ـ لآخر صوت الحمار ـ للماء المتدفق ـ للنار.

٢٨٠ **الهسهسة**: لصوت حركة الدرع ـ للنعال ـ للجن ـ للافعى.

٢٩٠ **العزيف**: للجن ـ للشجر ـ لصوت الكلب من دون نباح ـ لابن آوى.

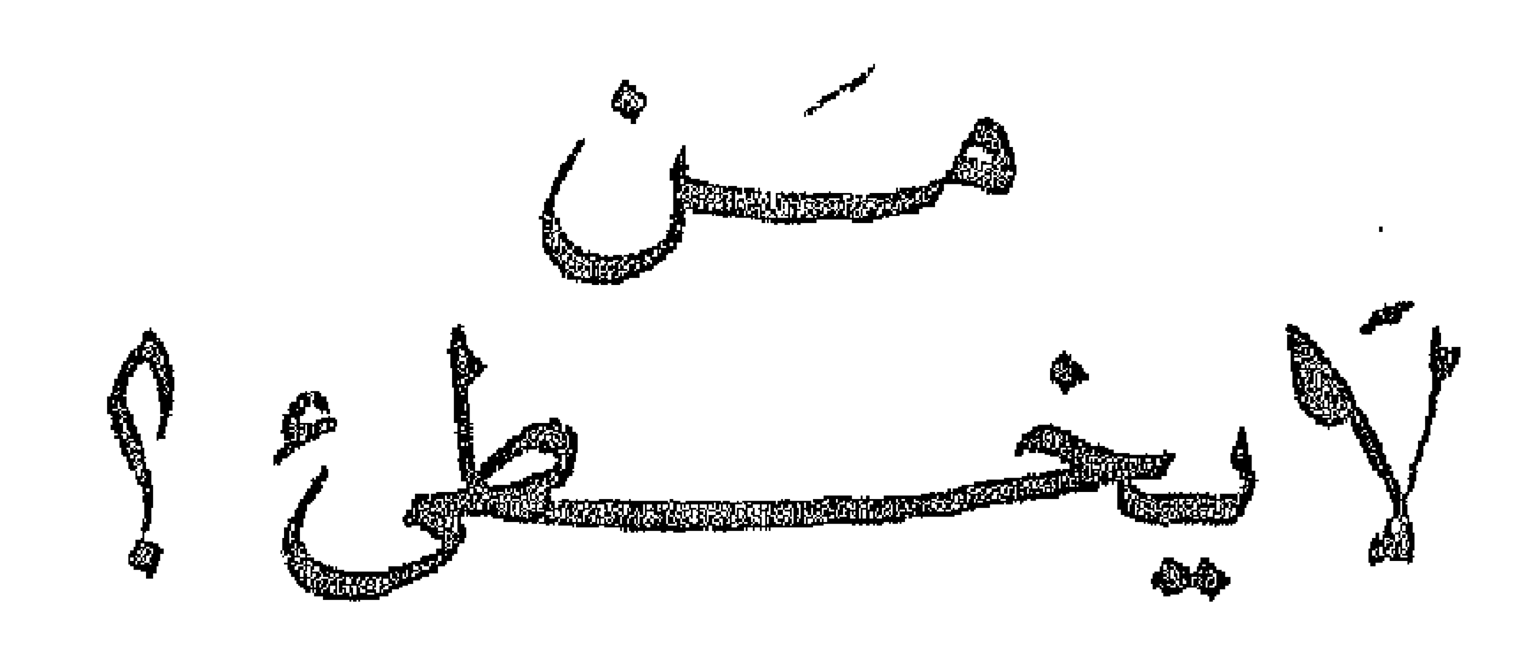
٣٠٠ **الزفير**: للمحتضر ـ للنار ـ للريح ـ للقلم.



الأجوبة الصحيحة

١ • الصفير: للنسر •
٢ • الرغاء: للبعير • ويقال ايضاً للنعام او الضبع •
٣ • المعمعة: للحرب • ويقال ايضاً لصوت الحريق في القصب ونحوه •
٤ • القعقعة: للقيد •
٥ • الجعجعة: للرحى • ويقال ايضاً لاصوات الجمال اذا اجتمعت •
٦ • القلقلة: للمفتاح •
٧ • الخفق: للنعال •
٨ • القضقضة: للعظام •
٩ • الهزيم: للرعد •
١٠ • الهبوب: للريح
١١ • الغطغطة: للقدر •
١٢ • الضُّباح: للثعلب • ويقال ايضاً للارنب وللقوس •
١٣ • الهدير: للجمال • ويقال ايضاً للرعد ، وللبعير اذا ردد صوته في حنجرته •
١٤ • الطنين: للذباب • ويقال ايضاً للناقوس •
١٥ • الفحيح: للافعى •
١٦ • الصأي: للفرخ • ويقال ايضاً للفيل •
١٧ • الثغاء: للشاة •
١٨ • الصليل: للنصال • ويقال ايضاً للحديد اذا وقع بعضه على بعض •
١٩ • الخوار: للعجل •
٢٠ • العرار: للظليم •
٢١ • الدويّ: للمطر • ويقال ايضاً للرعد •
٢٢ • الرنة: للقوس •
٢٣ • الصريف: للقلم • ويقال ايضاً للباب •
٢٤ • الأزير: للرعد •
٢٥ • الأطيط: لصوت حنين الإبل •
٢٦ • الحفيف: للشجر • ويقال ايضاً للحية •
٢٧ • الشهيق: لآخر صوت الحمار •
٢٨ • الهسهسة: صوت حركة الدرع • وتقال ايضاً لصوت حركة الحلي •
٢٩ • العزيف: للجن •
٣٠ • الزفير: للنار • ويقال ايضاً لأول صوت الحمار •

المستوى
٢٥ ــ ٣٠ ــ ممتاز •
١٩ ــ ٢٤ جيد •
١٣ ــ ١٨ مقبول •



عالم نفسي يحلل الاخطاء البشرية ويقترح بعض الطرق لمعالجتها

"حين قدمت الي الفاتورة في مطعم الفندق الذي كنت نزيله، وقعت عليها. ونظرت الى ساعة يدي بعدما عجزت عن تذكر رقم الغرفة".

هذا المثل يعبر عن خطأ نموذجي، جمعت ما يزيد على المئتين منه خلال سنتين. والاخطاء امور مسلية، وهي تحدث لنا جميعاً. وهي، في العادة، غرائب لا تضر الا عندما تسبب لفاعلها الارتباك.

لكن هناك أخطاء تحصل في أداء بعض المهمات، وهي ضارة. فمرة وجه مراقب طيران أمراً الى قائد طائرة بالهبوط على المدرج الايسر في حين كان يقصد الايمن. وهذا من أكثر الاخطاء الكلامية شيوعاً. وهو، في تلك الحال، كاد أن يؤدي الى كارثة. غير أنه، لحسن الحظ، لم يفعل. ومن الاخطاء الشائعة أيضاً نسيان اشعال مصابيح السيارة الامامية لدى القيادة ليلاً. وهذا الخطأ يصحح غالباً ـ ولكن ليس دائماً ـ قبل وقوع حادث. وقد

Condensed from Psychology Today (April' 80) (c) 1980 By Ziff-Davis Pub Co. New York, N.Y.

بات الخطأ البشري اليوم من أهم أسباب الحوادث.

لقد لجأ مؤسس التحليل النفسي، سيغموند فرويد، الى تحليل الاخطاء عله يكتشف الاعتقادات والدوافع الحقيقية التي تميز أصحابها. وممن درس حالاتهم رئيس مجلس النواب الادنى في النمسا الذي افتتح احدى الجلسات بقوله: "اني أعلن اقفال هذا الاجتماع". وفي رأي فرويد أن ذلك الفعل ينم عن دوافع لا واعية: "فقد كانت لدى الرئيس رغبة كامنة في فض الاجتماع الذي لم يرج منه خيراً".

غير أني أعتقد أن العقل البشري يشبه دماغاً الكترونياً بالغ التعقيد، وأن الزلل يحصل عندما تحجب المعلومات الخاطئة المعلومات الصحيحة. ولنذكر أن علم الآلات الحاسبة وبرمجة المعلومات كان بدائياً في أيام فرويد الذي لم تراوده فكرة بأن آلة برمجة المعلومات البشرية يمكن أن تخطىء. واذا شئت التعبير عن أفكار فرويد في كلام معاصر، قلت أن الاخطاء تأتي من اصطراع الوظائف الذهنية وتداخلها.

كيف نفسر حال الطيار الذي يهبط بطائرته وعجلاتها مرفوعة؟ أنقول ان لديه رغبة كامنة في قتل نفسه؟ ربما صح هذا. لكن هناك تفسيرات أبسط من ذلك، وهي تصح أيضاً.

وأبادر الى القول أن معظم الافعال هي نتيجة عمليات غير واعية. فنحن نزمع على عمل. وما أن نحدد الهدف حتى تبرز العمليات الذهنية والجسدية الآيلة الى تحقيقه. فعندما أقود السيارة من مركز العمل الى البيت، تأتي العمليات الضرورية بحكم العادة. ويكفي أن اقرر الهدف، من غير التفات الى التفاصيل.

ترى هل أرغب في التوقف عند محل لبيع السمك وأنا في طريقي؟ اذا كانت لدي رغبة في ذلك، وجب أن تحضر في ذهني فكرة "محل السمك" وأنا أعبر النقطة الحساسة بين مركز العمل والمنزل. واذا غابت الفكرة عن ذهني عند تلك النقطة، فسأبلغ المنزل ولا سمك في يدي.

والاخطاء المختلفة تتولد عن انحراف وظائف ذهنية مختلفة. وعلى سبيل الايضاح، سأحاول تصنيف هذه الاخطاء تحت أسماء معينة تبعاً للوظائف الذهنية:

أخطاء الوصف ـ "فيما كانت طائرة ركاب متجهة من هوستن الى مونتريال، سقطت فوق الحدود الامريكية ـ الكندية. وأثيرت مسألة سياسية رئيسية حول ذلك الوضع: في أي بلد يجب أن يدفن الناجون؟".

ان معظم الناس يقفون محتارين تجاه هذا السؤال، لا يعرفون أي بلد يختارون. والواقع أن هذه الرواية نسجت خصيصاً لارباك العقول غير الحذرة: فالموتى هم الذين يراد دفنهم، لا الاحياء. والقصة صيغت بحيث تجعلنا خاملين ذهنياً، متوقعين أن يكون الناجون هم الموتى. وخطأنا أننا لم نفكر في عبارة "الناجين" على نحو عميق.

أخطاء الانتقاء ـ هذا النوع الآخر من الاخطاء شائع أيضاً في أفعالنا اليومية. ومن نماذجه ما يأتي:

في استعدادها لاستقبال ضيوف، أحضرت ربة منزل قالب حلوى ووعاء

سلطة بعناية فائقة. وبعد ذلك وضعت الحلوى في البراد والسلطة في الفرن.

هذا الخطأ غير المتعمد يجعلك أيضاً تتناول طعام صديقك من صحنه الذي يشبه صحنك، أو تضع غطاء علبة السكر على فنجان القهوة الذي يماثله في الحجم.

وهناك طالب دراسات عليا يعمل في اشرافي، عاد الى منزله بعد جولة عمل ميداني. وخلع قميصه ورماه في بيت الخلاء عوضاً عن وضعه في غرفة الغسيل. وقد كان خطأه غير مقصود.

أخطاء الاعداد والتنفيذ – بعد اختيار ما نريد فعله، ربما كان من السهل جداً أن نخفق في تحقيقه. وربما نسينا قصدنا ونحن نسعى الى تحقيقه. فهناك زميل أخبرني أنه، قبل بدء العمل في مكتبه البيتي، توجه الى غرفة النوم ليدرك، بعد وصوله الى هناك، أنه نسي لماذا ذهب.

ويضيف: "عاودت دخول الغرفة بضع مرات، عل شيئاً فيها يذكرني بما أبغي". الا أن شيئاً لم يذكره. وأخيراً ذهب الى مكتبه حيث وجد أن نظارتيه متسختان. وعاد الى غرفة النوم بارتياح، يسعى الى المنديل الذي أراد تنظيف النظارتين به.

الاخطاء الآسرة – هذا النوع من الاخطاء حلله وليم جيمس في كتابه الذائع الصيت في علم النفس حين قال ان "الاشخاص المشتتي الذهن يدخلون غرف نومهم لارتداء ملابس العشاء، وهناك يخلعون ثيابهم قطعة قطعة ويرتمون في السرير، لان خلع الثياب هو ما يفعلونه أيضاً حين يريدون النوم".

هذه الاخطاء من أكثر الاخطاء البشرية طرافة. وهي تقوم على مبدأ بسيط: "اعتمد عادة راسخة، تجد أنها استولت على تصرفاتك". وفي بريطانيا لدي زميل يعنى بدراسة الاخطاء، وقد روى ما أخبره اياه أحدهم:

"أردت اخراج سيارتي. ولكن قبل بلوغ المرآب، توقفت لاضع في رجلي حذائي الطويل الساق وسترتي البستانية كما لو أردت العمل في الحديقة".

من السهل اكتشاف أخطائنا حين تكون نتائجها بهذا المقدار من الوضوح. واحيانا تتجلى النتائج بعد لحظات من حدوث الفعل. فحين تضع وعاء القهوة على النار صباحاً ولا قهوة فيه، يتبين لك خطأك عندما تبدأ السكب.

ويزداد امكان الخطأ البشري مع ازدياد الاجهاد. ولنأخذ وضعاً يؤدي فيه خطأ تافه الى عواقب جسيمة: محطة نووية. ان غرف المراقبة الصغيرة التي تشتمل عليها محطات كهذه قد لا يتجاوز طولها الثلاثين متراً، مع ٧٠٠ آلة يلزمها الفحص والصيانة بين وقت وآخر.

والصعوبة في مراقبة أجهزة من هذا النوع تأتي من نقص في التصميم ومن كون الآلات العصرية لا تأبه بالناس. وفي مختبر البحوث الذي أشرف عليه، نحاول فهم العناصر الرئيسية لعملية خزن المعلومات في العقل البشري، مع تركيز على الطرق التي يعتمدها الماهرون في اختيار أفعالهم وتنفيذها، وكذلك على ارتكابهم الاخطاء. وعلى رغم أن

غاية البحث الرئيسية نظرية، الا أننا نطمح الى اعطاء المخططين أفكاراً لتخطيط برامج تعمل لمصلحة الناس وليس ضدهم. وغايتنا ليست الغاء عواقب الخطأ الاليمة فحسب، بل جعل التفاعل بين الانسان والآلة ممتعاً ومثمراً وخلاقاً.

ترى كيف يتصرف بائع في مخزن كبير؟ انه يلجأ الى استخدام أرقام كثيرة من أجل تسجيل أصغر السلع. وعوضاً عن حمل الناس على تأدية عمل الآلات لمصلحة الآلات، علينا أن نعكس الآية ونجعل الآلة تعمل لمصلحة الانسان. وفي الامكان القامها بتفاصيل كثيرة تبعاً لحاجتنا.

وقد بينت دراساتي للاحداث الصناعية والجوية والنووية أن الآلة، معظم الاحيان، هي المسؤولة عن الخطأ، لا الانسان الذي يديرها. وجدير بالذكر أن العقل الذي يخطىء هو العقل نفسه الذي يبتكر ويتكيف للاوضاع الجديدة.

■ دونالد نورمان

استاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا (سان دييغو)، حيث يدير أيضاً برنامج علوم المعرفة.



في الثمانين

حين تبلغ الثمانين تكون قد تعلمت كل شيء. لكن المشكلة هي أن تتذكر ما تعلمت.

ج.ب.

بين العمل والذات

كتبت راقصة الباليه الانكليزية مارغو فونتين في سيرتها الذاتية: "أهم ما تعلمته عبر هذه السنوات هو التمييز بين اخذ العمل جدياً وأخذ الذات جدياً. فالامر الاول واجب، أما الآخر فقاتل".

في التأني السلامة

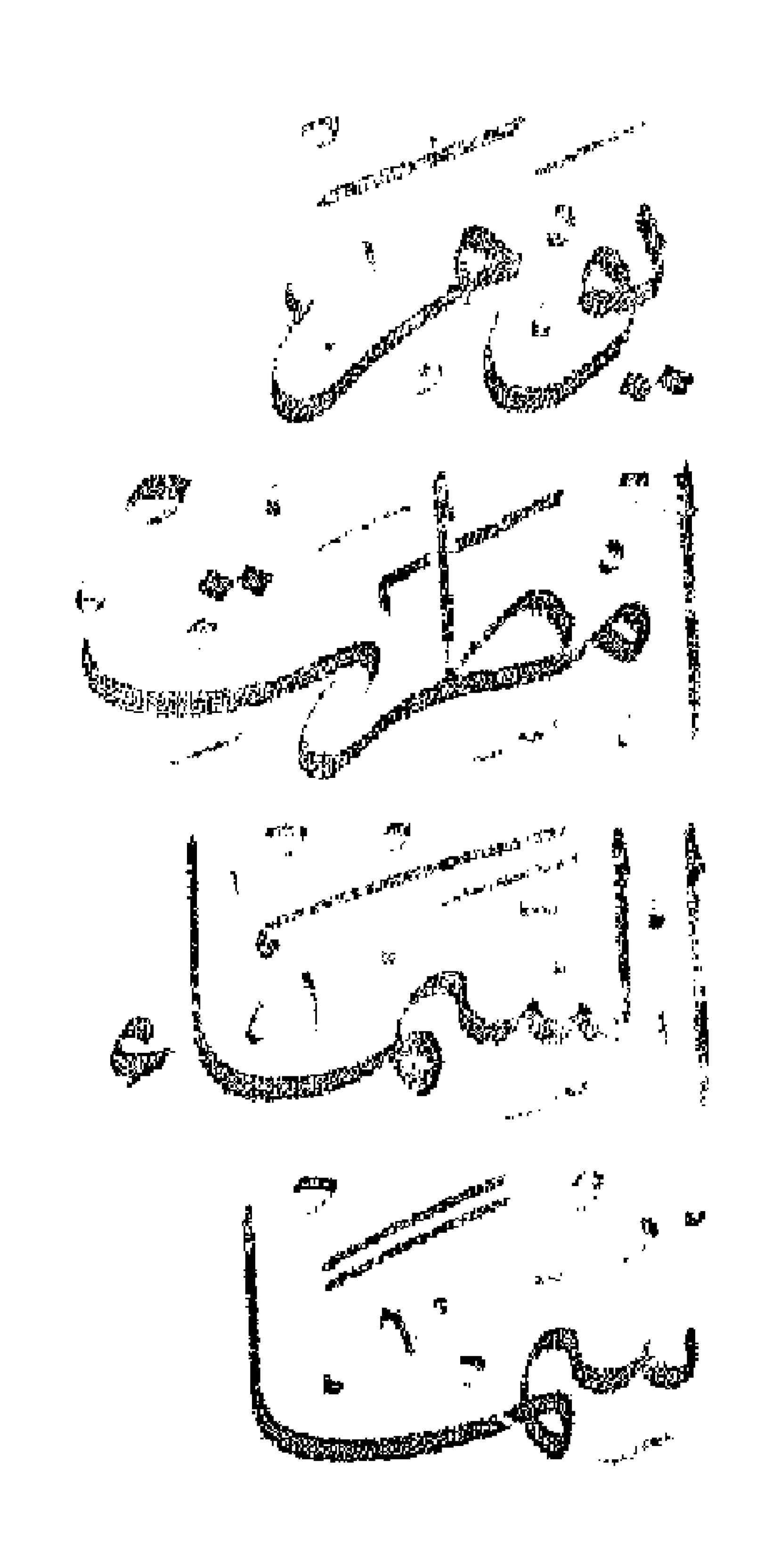
في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، طلب جون فرانتز من مكتبة سان فرنسيسكو (كاليفورنيا) العامة كتاب "حياة تشوسر وعصره" من تأليف جون غاردنر. وبعد اشهر من الانتظار بلا جدوى، اشترى نسخة من الكتاب وقرأها ثم اهداها الى المكتبة، مما حث المكتبة على الاسراع الى اعلام فرانتز بتلبية طلبه في ديسمبر (كانون الاول)! وجدير بالذكر ان فرانتز هو امين المكتبة.

هـ.ك.

كتاب الشهر

يوم أمطرت السماء سما

ملخص من كتاب بقلم جون فولر



"كانت هناك بلدة تتناغم فيها جميع أشكال الحياة مع البيئة المحيطة، وما لبثت أن حلت بها آفة، فأصيبت فراخ الدجاج بعلل غريبة، ومرضت الماشية والخراف ونفقت، وخيّم ظلّ الموت على كلّ مكان، وسرت بين المزارعين أخبار عن امراض كثيرة ضربت أفراد عائلاتهم، وازدادت حيرة الاطباء الذين واجهوا انواعاً من المرض لم يعهدوها من قبل.

"وفي المجاري وبين الواح الخشب التي تكسو السقوف، ظهرت بقايا مسحوق أبيض كانت حبيباته تساقطت قبل أسابيع كالنفناف على سطوح المنازل والمروج المعشبة وغطت الحقول والسواقي.

"وعلى رغم أن هذه البلدة لا توجد في الواقع ، إلاّ اني لم اسمع بأي منطقة عانت الويلات التي اصفها هنا".

... حين سجلت الكاتبة راشيل كارسون، المعنية بشؤون البيئة، هذه الكلمات عام ١٩٦٢ في روايتها "الربيع الصامت"، لم تكن تدري أن مأساتها الخيالية ستتحول حقيقة مرة بعد زمن ليس بطويل!

تمتد طريق ميلانو - كومو العصرية شمالا نحو جبال الالب والبحيرات الايطالية التي تغنى بها الناس منذ فجر التاريخ. وفي منتصف الطريق، على فسحة خضراء ناعمة تغطي وادي [illegible]و، وُضعت علامة تحمل اسم سيفيرو، وهي بلدة تقطنها ١٧ الف نسمة. وتكتظ على امتداد الطريق مصانع حديثة هي جزء من ميلانو الصناعية. ولكن لا تزال هناك حقول من القمح والذرة وبساتين فاكهة مخضرّة وصفوف طويلة من شجر التوت وفيلات صغيرة بناها أصحابها بأيديهم وعرق جباههم.

وبين تلك الفيلات يشرئب منزل جينو زورزي الذي شيده صاحبه في عطلة نهاية الاسبوع والفرص الاخرى خلال عشرين سنة. وكان كلّ شيء في ذلك المنزل متقناً: أرضيته المكسوة بالخشب المزخرف، انواره الخافتة، جدرانه المتينة التي ترد حرّ الصيف وبرد الشتاء الآتي من جبال الالب، سطحه القوي الذي يعلوه قرميد أحمر. والى جانبه في شارع كارلو بورتا كانت هناك منازل اخرى بناها اصحابها بعناية مماثلة، ومعظمها تتصدره جنائن خضر مخصبة.

وكان يوم السبت ١٠ يوليو (تموز) ١٩٧٦ مناسَبة خاصة لآل زورزي جميعاً، إذ كانت الابنة جوليانا مزمعة على الاحتفال بعيد ميلادها الثامن عشر على شرفة المنزل ذلك المساء. وكانت والدتها عند الظهر منهمكة في تزيين الطاولة الموضوعة على الشرفة. وفي الثانية عشرة والنصف دخلت لتناوُل طعام الغداء مع زوجها في المطبخ. وما ان اصبحت في الداخل حتى علا صوت ناعب مشؤوم لم يسمعا مثله من قبل.

وفي منزل قريب في شارع كارلو بورتا، كانت السيدة ليشيو كاسيو تتناول الغداء مع افراد عائلتها، وهم ابنتاها إلدا (١٣ سنة) وباولا (١٠ سنين) وابنها كارلو (٢٠ سنة) الذي كان عاد لتوّه من المكتبة، حاملا بعض الكتب في الهندسة المعمارية التي يدرسها في جامعة ميلانو. وكانت الى جانبه قطتاه السياميتان ليلي وفاني. وسبق لكارلو ان أفاد من موهبته الهندسية لمساعدة والده في تصميم المنزل الذي بناه آل كاسيو، على غرار آل زورزي، خلال فترة من الزمن.

وكانت السيدة كاسيو على وشك إنهاء طعامها حين أجفلت من صوت مرعب. وكانت الساعة على الجدار تشير الى الثانية عشرة والدقيقة السابعة والثلاثين.

قبيل الثانية عشرة والنصف من ظهر ذلك السبت في يوليو (تموز)، كان فيرو روماني، احد فنيي مصنع ايكميزا الكيميائي الواقع على مقربة من سيفيزو الى الشمال، على وشك إنهاء غدائه هو الآخر. ولم يكن ذلك اليوم يوم إنتاج كبير في المصنع. فقد انتهى العمل في السادسة صباحاً، ولم يبق إلاّ عشرة من أصل ١٦٣ (★) موظفاً، كان عليهم إجراء

(★) وفي يوليو (تموز) ١٩٧٦ امرت السلطات الايطالية باقفال المصنع مما ادى الى تعطل موظفيه الـ١٦٣ عن العمل الا ان هؤلاء ما لبثوا ان وجدوا اعمالا اخرى في المنطقة في آخر العالم التالي.

بعض الصيانة والتنظيف. وكان المصنع ينتج، إضافة الى المواد الاولية التي تصنع منها العطور ومواد التجميل، مادة "تريكلوروفينول" يصنع منها سائل كيميائي يستعمل لابادة الاعشاب الضارة، ومادة أخرى مبيدة للجراثيم تدعى "هيكسا كلوروفين".

ولم يكن مصنع ايكميزا ينتج هاتين المادتين لحسابه الخاص. فهو كان يصنع التريكلوروفينول، المعروف باسم "ت.ك.ف" (TCP) للشركة السويسرية الأم" جيفودان التي هي، بدورها، فرع من "هوفمان - لاروش"، احدى أكبر الشركات الصيدلية في العالم. وكانت شركة جيفودان تستعمل الـ"ت.ك.ف" لصناعة الهيكسا كلوروفين، وهو العنصر الفعال في كثير من أنواع الصابون المعقم.

وكان المفاعل الكيميائي الذي يصنع مادة "ت.ك.ف" أغلق صباح ذلك اليوم. وبعد الغداء توجه فيرو - الذي لا يعمل في ذلك القسم - مع عدد من زملائه الى مقهى المصنع. وقبل ان يتناول القهوة، ذُهل لسماع صوت غير عادي، فقفز هو والآخرون في المقهى. وتلا ذلك الصوت صفير منحسر. وخرج فيرو وزملاؤه ركضاً. لقد كانت هناك غيمة رمادية ضخمة تخرج بفعل الضغط الكاسح من صمام الامان في المفاعل الكيميائي. وبعد دقائق رأوا حبيبات دقيقة تشبه الرمل والغبار تتساقط وتملأ المكان حولهم. وما لبثت ان لفتهم غمامة بيضاء كثيفة تتصاعد منها رائحة الدواء والكلورين.



واسرع فيرو عائداً الى المصنع ليرى كبير العمال يقتحم غرفة المفاعل وعلى وجهه قناع للوقاية، وادار هذا صماماً يحمل الماء الى جهاز التبريد التابع للمفاعل لإخماد الحرارة المتراكمة. وانقضت أكثر من خمس دقائق من غير أن يحصل شيء. واستحالت الغيمة كتلة ضخمة راحت تزحف بقوة لا تُرَدّ في اتجاه ميلانو نحو الجنوب، مخيمة على جزء من سيفيزو. وفي وقت قصير قطعت ما يزيد على الخمسة كيلومترات، وكانت حبيباتها البيضاء تنهمر بهدوء فوق سطوح المنازل والحقول. ولم يدر أحد آنذاك أنّ تلك الحبيبات كانت تحمل سماً زعافاً هو افتك ما عرفه الانسان.

عمل عادي

عندما سمع جينو وملينا زورزي الصدى الصافر الذي أعقب الانفجار: هرعا الى شرفة منزلهما. هناك كانت الغيمة الكثيفة تغطي السماء وراء المنازل المجاورة على بعد لا يتجاوز

لكيلو متر، وتزحف في اتجاههم. كانت تلك الكتلة الضخمة بنية اللون في البداية، ثم اخذت تتقلب من لون لى آخر. وبعد هنيهة عبرت فوق أسيهما واتجهت ببطء نحو الجنوب.

وانفصلت عن الغيمة الكبيرة غمائم مارقة استقرت في كل مكان، على الشجر والعشب والطرق، وكذلك على الزينة التي فرشتها ملينا على الطاولة. وغطت وجهها بمنديل محكم الربط وأخذت تنقل الصحون عن الطاولة.

وخاطبت زوجها قائلة: "كم هو مؤسف أن يحصل هذا الأمر المزعج يوم عيد جوليانا!"

وسعل جينو زورزي وحكّ عينيه بعدما احس بوخْز فيهما، وهرع يغلق النوافذ ومصاريعها.

وفي منزل آل كاسيو خرجت السيدة كاسيو واولادها لمشاهدة ذلك الذيل العملاق الزاحف نحوهم. ولكن حين سقطت الحبيبات الرطبة عليها، أدخلت اولادها بسرعة الى المنزل وأغلقت مصاريع النوافذ.

وقصد أبنها كارلو منزل صديق مجاوراً بعدما شعر بالخطر. وكانت هناك امرأة متقدمة في السنّ أغمي عليها لضعف في قلبها. فتعاون كارلو وصديقه على تنشيطها، ثم استدعيا الشرطة المحلية.

وعلم كارلو أن الغيمة تسربت من مصنع ايكميزا المجاور على اثر حادث. لكن ذلك لم يشف غليله، فقرّر أن يذهب وصديقه الى المصنع. وهناك قيل لهما ان لا داعي الى القلق لأن الامور ستعود الى طبيعتها بعد أن تنجلي الغمامة. وحين رجعا الى شارع كارلو بورتا، سمعا بعض الجيران يتذمرون من ألم في رؤوسهم وإحساس بالحريق في جلدهم وأعينهم. لكنّ ذلك لم يكن أمراً جديداً، وإن زاد حدة عن آثار التلوّث التي عهدوها من المصانع الكثيرة في منطقتهم.

في تلك الأثناء كانت ملينا زورزي مكبة على تنظيف الشرفة المطلة على الحديقة استعداداً للاحتفال بعيد ابنتها جوليانا. ونظفت الطاولات بعناية، رافعة عنها الغبار الابيض. ثم تناولت بعض ثمار الخوخ والدراق والمشمش الفاخر ووضعتها في أوعية لتتوسط الطاولات. وعلى رغم الرائحة اللاذعة، كانت حفلة عيد ميلاد جوليانا مفعمة بالحيوية واستمرت حتى ساعة متقدمة من الليل.

وصباح اليوم التالي نظف آل زورزي الشرفة ثم ركبوا حافلة أخذتهم في وقت باكر الى منطقة البحيرات حيث كان ابنهم الصغير فابيو (٨ سنوات) مخيماً مع رفقاء له. ولاحظت السيدة ايتاليا برونو، شقيقة ملينا زورزي، أن الغبار الناعم الذي تساقط في اليوم السابق غاب ليحلّ مكانه غلاف زيتي لماع غطى الشجر والنبات والحقول والحدائق ولم يترك شيئاً.

وفي منزل آل كاسيو، أفاقت السيدة كاسيو على صداع جعل جسمها يرتجف فيما كانت عيناها متورمتين. وقررتأن تزور عيادة الطبيب في اليوم التالي اذا استمرت تلك الاعراض.

وكان محافظ سيفيزو، فرنشيسكو روكا، يطالع كتاباً في منزله ذلك

الأحد حين قصده اثنان من فنيي مصنع ايكميزا، وأعلماه أنّ مادة كيميائية - يُظنّ أنها مادّة "ت.ك.ف" المهيجة ولكن غير الفتاكة - تسرّبت من المصنع. ووعدا بتسليمه تقريراً مسهباً يوم الاثنين بعد فتح المصنع. وأخبراه انه تم إرسال عينات من المادة المتسربة الى سويسرا، وانه، حتى ظهور نتائج تحليل تلك المادة، يجدر به نصح أهالي المنطقة بعدم تناول الفاكهة والخضر من حدائقهم. وأخذ المحافظ بتلك النصيحة، وابلغ السلطات الصحية المحلية التي باشرت تحقيقاً حول الأمر.

وانصرف الاحداث في شارع كارلو بورتا والشوارع المجاورة الى نشاطاتهم المعهودة أيام الآحاد. وكان ذلك الاحد دافئاً ومشمساً، والبركة في مركز التسلية تغري بالسباحة على رغم رائحة الدواء المنبعثة منها. وكان الأحداث في ملعب البيسبول المنحرف الشكل يمارسون اللعب بحماسة، فيما كان الاولاد الأصغر سناً يتقلبون ويتمرغون على العشب. وكان بعضهم يقطف ثمار الدراق والمشمش والخوخ عن الشجر، بينما راح اهلهم يقطفون الخضر من حدائقهم كعادتهم أيام الاحد.

وصباح الاثنين بدا أن الامور عادت الى نصابها في مصنع ايكميزا. وبقي كلّ شيء في مكانه باستثناء مفاعل "ت.ك.ف" والآلات المجاورة. وتشاور العمال في ما بينهم حول ما قدروا انه حصل. فهم كانوا يعلمون أنّ المفاعل يعمل بحرارة تراوح عادة بين ١٤٠و١٧٠ درجة مئوية ولا يمكن أن يكون صمام الامان انفجر ما لم تتجاوز الحرارة الـ ٢٤٠ درجة مئوية، وهو ارتفاع هائل غير متوقع. لكنهم لاحظوا أن الريح التي هبت يوم الأحد، لحسن الحظ، بددت الغيمة ودفعتها مسافة أبعد في اتجاه الجنوب.

وتبين للسلطات الصحية المحلية أن الحادث لم يترك أثراً سلبياً في موظفي المصنع. وفي ضوء هذه النتيجة، حمل مسؤولو المصنع تقريراً متفائلا الى المحافظ.

وانطلق فنيو المصنع خارج حدوده يجمعون عينات اخرى من اوراق الشجر والعشب والتراب لشحنها الى سويسرا. وهم انجزوا عملهم بهدوء من غير ان يدري به أحد.

قلق متزايد

ذهبت السيدة كاسيو الى طبيب العائلة صباح الاثنين، وكانت تشكو انتفاخاً في بطنها وعينيها وألماً في ظهرها وصداعاً مستمراً في رأسها. وجلّ ما قاله الطبيب لها أن تلك الاعراض يجب ان تكون ردّ فعل قوياً على شيء ما. لكنه لم يدر إذا كانت الغيمة او سواها السبب.

وكان قلق السيدة كاسيو المبهم يزداد على نحو لا يُرَدّ. وأخبرها حدسها أنّ الغبار المتساقط من الغيمة سيصيب افراد عائلتها الآخرين حتماً. وتأكدت مخاوفها صباح اليوم التالي، الثلثاء، حين رأت وجه طفلها مغطى بطفرة جلدية كثيفة.

وما ان حلّ صباح الاربعاء ١٤ يوليو (تموز)، وهو اليوم الرابع الذي تلا حادث مصنع ايكميزا، حتىّ كان

لاطباء قد أغرقوا بحالات مشابهة حال ابن كاسيو. وأخذوا يقارنون النتائج، وباتوا على قناعة أن الغيمة هي سبب المرض. لكنهم كانوا عاجزين عن اتخاذ خطوة حاسمة لأنهم جهلوا طبيعة التلوث وبالتالي العلاج الملائم. ولم تكن نتيجة التحليل قد وردت من سويسرا، وأعلن مسؤولو ايكميزا ان كل ما يعرفونه هو أن الـ "ت.ك.ف" مادة مهيجة. وعلى رغم ان الاعراض كانت معتدلة، إلا أن انتشارها على نطاق واسع ولد خوفاً عاماً لدى أهالي سيفيزو الذين يسكنون في دائرة المصنع. وتحول الطفح الجلدي القبيح على أرجل الاطفال ووجوههم وأذرعهم من سيىء الى أسوأ. وكان القدر يخبىء لهم شيئاً آخر.

قبل موعد العشاء يوم الأربعاء، كان ليشيو كاسيو ينظر من غرفة الجلوس في منزله عبر الشرفة وهو قلِقٌ على زوجته وأولاده. فالسيدة كاسيو تلازم الفراش منذ يومين من دون تحسُّن في حالها وحال أولادها. ورأى كاسيو أن المنزل والأرض لا يزالان على حالهما، وإن يكن بعض ورق الاشجار قد اصفر. وكانت السماء زرقاء وشمس المساء تضرب أشجار الحديقة مخلفة ألقاً وردياً بهيجاً.

وشاهد كاسيو أبا حنّاء يحوّم منفرداً في الخارج، لكنه كان يحلق على نحو شاذ في أتجاه شرفة المنزل. وبعدثوان معدودات هوى ابو الحناء على حافة الشرفة مثل وقة ذاوية ثم دخل عبر الباب المفتوح وسقط بجانب كاسيو شلواً هامداً.

وتقدّم كاسيو من العصفور الذي كان على الرمق الأخير، وحمله الى الشرفة محاولا بث الحياة فيه عن طريق حرارة يديه. غير انه بقي على حاله. وحمله فوق حافة الشرفة بيديه الاثنتين ظناً انه سيطير من جديد، لكنه لم يفعل، بل سقط عمودياً على الأرض تحت الشرفة.

وفي وقت لاحق، بينما كان كارلو كاسيو يدرس في غرفته ومعه قطتاه السياميتان ليلي وفاني لاحظ أن ليلي تمددت على الأرض بصعوبة غير معهودة، ثم وقعت على جنبها. أما فاني فراحت تمشي في الغرفة بترنُّح كما لو كانت ثملة. وأخذت الاثنتان تبكيان بأنين غريب عميق.

ودُهش جينو زورزي حين رأى، وهو في نزهته المسائية، كلب صديقه يدنو منه وهو يتهادى ويرتجف على غير عادة الكلاب الحيوية الحركة.



فريق لمكافحة التلوث، تابع لمعمل ايكميزا، اثناء العمل.

عد ذلك مباشرة شاهد جينو بضعة يور تحوّم فوق رأسه بحركة واهنة، سقط اثنان منها أرضاً.

وانقضى ذلك الاربعاء من غير ان يصل المحافظ روكا على معلومات فية عن الموضوع. وكان قلق الأطباء لعائلات يزداد. وفي مصنع ايكميزا لغ امتعاض العمال حداً بعيداً حين شعروا بأن المسؤولين في الشركة حجبوا عنهم جزءاً من الحقيقة.

وخرجت السيدة زورزي ظهر لخميس الى حديقة منزلها لاختيار جاجتين للعشاء. ولكن أذهلها ان ترى نبتات البندورة (الطماطم) شبه محترقة واوراقها ذاوية وسهلة التفتيت. ومرّت بجانب قن الارانب، وصُعقت حين رأت الدم ينزف من أذان الحيوانات وأعيُنها. ثم ركضت بحذر نحو قنّ الدجاج وفتحت بابه لترى جميع الفراخ نافقة. وعلى الفور تذكرت أنها وأفراد عائلتها لم يكفوا عن أكل الحيوانات والخضر من حديقتهم منذ ظهور الغيمة المشؤومة قبل خمسة أيام. فما ترى سيحل بهم؟ فجمدها الخوف مكانها.

وبقي انتشار الخبر محدوداً لأنه لم يلقَ أي اهتمام من الصحافة والاذاعة. وانتقلت أخبار الطيور والحيوانات من فم الى آخر. أما الأعراض التي ظهرت على الناس فظُنّ أنها مجرّد اضطراب في المعدة او طفرة في الجلد تستدعي الصبر. وكان فقدان المعلومات بالنسبة الى الأطباء مثاراً للانزعاج أكثر منه مثاراً للخوف. وعلى رغم تفشي الاستياء في المصنع، إلا ان عدم الاكتراث بقي هو السائد.

ونُظر الى الأخبار التي تناقلها الناس كاشاعات، واعتُبرت التحذيرات التي وُجهت من مكتب المحافظ مسألة محلية محصورة في نطاق المصنع.

وكان بعد ظهر الجمعة أن حُمل طفل ذو سنتين الى المستشفى وعلى جسمه قروح مبثوثة. وفي اليوم نفسه اجتمع محافظا سيفيزو وميدا المجاورة بمسؤولين عن مصنع ايكميزا، غير أن كل ما سمعاه منهم كان أنهم يحثون الشركة الام في سويسرا على الاسراع في تحديد طبيعة السم. لكنهم أضافوا انهم لا يرون حاجة الى مزيد من التدابير الوقائية، بل يرتأون دعم التدابير السابقة بملصّقات حول الموضوع.

الرعب المحدْق

صباح السبت كان مكتب المحافظ قد أُغرق بالطلبات والشكاوى، وهو لما يزل ينتظر المعلومات من شركتي جيفودان وهوفمان – لاروش. وبينما هو ينتظر، ورده مزيد من الاخبار المشؤومة. فقد أُدخل ١٨ طفلا آخر المستشفى والقروح الكبيرة تغطي أجسادهم. كما أُدخل بعض البالغين الذين أُصيبوا بالغثيان والتقيّؤ، وبينهم السيدة كاسيو التي ساءت حالها على نحو ملحوظ.

وكانت الطيور تتساقط من السماء باعداد كبيرة وتقع نافقة في الحقول. وأخذت القطط والكلاب تسير مترنحة في الشوارع ويسقط بعضها جثثاً هامدة. وراحت الأرانب والدجاج تنزف بأعداد أكبر. واستمر الألم يبرّح بالقطتين السياميتين ليلي وفاني اللتين تخصان كارلو كاسيو.



طفل مصاب بالتآكل الجلدي قيد العلاج.

ولم يعد أنينهما يطاق. وحملهما كارلو الى الطبيب البيطري عله يسكن ألمهما.

واستقبل الطبيب البيطري مواطنه كارلو بهدوء في عيادته التي غصت بحيوانات لم يجْدِ ها العلاج لأن ذلك المرض المهلك كان لغزاً. وفحص الطبيب ليلي وفاني وأصدر حكمه على الفور: انهما منتهيتان. ووافقه كارلو على أنه يجب تخليص القطتين من عذابهما.

في تلك الأثناء كان الاهتمام محصوراً في سيفيزو. واعتبر سكان القرى المجاورة أنفسهم محظوظين لأنهم كانوا أبعد منها عن المصنع. والواقع ان سكان بلدة سيزانو ماديرنو، الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب ايكميزا، اعتبروا أن الروايات المتسربة من سيفيزو اشاعات تنقصها البراهين.

ولكن في العشرين من يوليو (تموز)، أي بعد انقضاء عشرة أيام على الحادث، سمع طبيب سيفيزو البيطري من زميله في سيزانو ماديرنو ان الدجاج والبط والأرانب كانت تنفق كذلك في البلدة الاخرى... لقد زحف التلوّث بصمت خارج حدود سيفيزو.

وفي ميلانو علم مراسلو الصحف، متأخّرين، أن حادث الغيمة السامة قد يكون ذا أبعاد خَطِرَة. وكان احدهم، برونو امبروزي، يعمل في قسم الاخبار في التلفزيون. وخوّلته معلوماته الكيميائية ان يعرف، بعد الاطلاع على تقرير موجَز حول الموضوع، أن الحادث ربما تجاوز كونه حادثاً صناعياً عادياً.

وبعد مقابلته محافظ سيفيزو، تبين له ان الجميع كانوا غير واثقين من تركيب الغيمة. وتعجب من كونهم لم يتصلوا بمعهد ماريو نيغري في ميلانو، وهو مؤسسة ذات شهرة في بحوث الكيمياء الطبية.

وتناول امبروزي هاتف المحافظ واتصل بالدكتور لوشيانو منارا، رئيس مختبر البحوث الأيضية في المعهد. ومن مختبره وجد منارا أن مادة "ت.ك.ف"، حين تتجاوز حرارتها الـ ٢٠٠ درجة مئوية، تنشأ عنها مادة "ديوكسين". ولا بد من ان تكون الحرارة تجاوزت ذلك الحد بما أن صمام الأمان فُتح خلال الحادث.

وانتابت الدكتور منارا قشعريرة بعدما قرأ الشرح المتعلق بالديوكسين. فسم الديوكسين يفوق

سم الـ "ت·ك·ف" مليوني مرة، علماً ن مقدار نصف غرام من الـ "ت·ك·ف" يكفي لاهلاك نصف الحيوانات التي تتناوله كما بينت الاختبارات· وبين المقالات التي راجعها منارا عن الديوكسين واحد جاء فيه انه "أقوى سم جُزيئي معروف حتى اليوم"· وأشار الى أن سميته تحجب مفعول الزرنيخ والاستركنين·

أما أثر الديوكسين على الناس فليس بأقل منه على الحيوانات· فهو قد يصيب الكبد والكليتين على نحو جاد، وقد ينتج منه مرض جلدي فتاك بعد فترة أقصاها أربعة أشهر من التعرض له· وظهر من الفحوص التي أُجريت على حيوانات مخبرية أن تعرضاً خفيفاً للديوكسين كاف لاحداث خلل وراثي ان لم يكن لاحداث تغيُّر في الخصائص الوراثية يؤدي الى السرطان·

وأخبر الدكتور منارا صديقاً له أن الدقائق التي قضاها في مطالعة المادة المكتوبة حول الديوكسين كانت "أشد عشر دقائق هولا عشتها في حياتي· فلا أنا ولا أهالي سيفيزو كانت لنا أي فكرة عن ذلك السم الفتاك· ولم أشأ ان أقضّ مضجع السكان، ولكن كان علي ان أخبرهم الحقيقة"·

وحين اتصل امبروزي مرة اخرى بعد عشر دقائق، نقل منارا اليه الخبر الأليم، قارئاً عليه خصائص الديوكسين· وتضخم أثر ذلك التقرير في اليوم نفسه حين اتصل الخبراء بالمحافظ من سويسرا، مؤكدين احتواء عينات التراب والنبات والحيوان التي أُرسلت اليهم على مادة الديوكسين·

وفي الخارج بدأت السماء تمطر، مع عواصف رعد قوية· وأخذت الأنوار تشتعل بتقطُّع بينما شعر المحافظ روكا كأن نوبة هذيان انتابته· فهو كاد لا يصدق ما نُقل اليه· وأحس برأسه يخفق فيما كان الرعد والأنوار المترجرجة تزيد الوضع رعباً·

ما الفعل؟

في الأيام العشرة التي أعقبت تسرب السم، لم يقف العلماء السويسريون مكتوفي الأيدي· فهم كانوا على علم ببضعة حوادث صناعية سابقة تسربت فيها مادة الـ"ت·ك·ف" من مصانع في انكلترا وألمانيا وهولندا والولايات المتحدة، وأدت الى تكوّن الديوكسين من غير قصد· وعلى رغم ان التلوث انحصر في المصانع، الا ان العواقب كانت أليمة· فقد توفي عدد من العمال على نحو بطيء، وظُنّ أن بلايا عدة انتشرت، منها السرطان وأمراض الكبد والكلى الحادة والتسمم العام وتفسخ الجلد· وكانت نتائج تلك الأمراض تظهر ببطء، على امتداد أسابيع وأشهر وحتى سنوات·

غير أن الأدهى من هذه جميعاً هو ثبات الديوكسين· فهو لا ينحل في الماء· واذا حل في مكان فقد يبقى فيه سنوات· والمصنع الذي تسربت منه تلك المادة في هولندا فُكك حجراً حجراً وكُسي بالاسمنت وأُلقي في قاع البحر· أما في انكلترا فقد نُظف المصنع الملوث بعناية فائقة· ولكن بعد أشهُر ثمانية وُجد الديوكسين في بعض أجزاء المبنى·

من هنا كان أمام العلماء المعنيين بحادث ايكميزا أن يقرروا ما اذا كانت الغيمة تحتوي على الديوكسين وبأي مقدار. ومن سوء التقادير أن يكون تحري الديوكسين معقداً وبطيئاً.

وبيَّن تحليل اولى عينات التراب والغبار المرسلة من ايكميزا أن هناك كميات هائلة من الديوكسين في غرفة المفاعل. وأُعطيت أوامر بجمع عينات اخرى من مناطق تبعد أكثر فأكثر عن المصنع لتقرير نطاق انتشار السم. واذا ظهر ان الديوكسين تسرب الى المناطق السكنية والزراعية والتجارية بمقادير كبيرة، فمعنى ذلك ان هناك حلا واحداً ممكناً، وهو اخلاء المنطقة الشامل وعزلها التام عن بقية المناطق.

وتبين من تحليل العينات التي أُرسلت خلال الاسبوع الاول أن نسبة السم لم تهبط. ولدى حلول اليوم العاشر ـ وكانت الفحوص أكدت نوع السم ـ اتُّخذ قرار فوري باعلام السلطات الايطالية بوجود مادة الديوكسين، على رغم أن نطاق التلوّث لم يكن حدد بعد.

فتحركت السلطات بسرعة، فأمرت باقامة مركز طوارىء في مدرسة ابتدائية حديثة في سيفيزو، ودعت الهيئات الطبية المحلية والمجاورة الى تزويده بالموظفين والمعدات. وأُنذرت قرى الجوار، وهي سيزانو ماديرنو وميدا وديزيو، بأن التلوث قد يصيبها جزئياً. وأُعلنت حال طوارىء فيها. وفجأة لاحت في الافق احدى أشد المشكلات الاجتماعية والطبية تعقيداً، وهي مشكلة لم يواجه الرسميون والعلماء والأطباء والأهالي مثيلا لها.

ترى أي برنامج طبي يمكن انشاؤه لفحص جميع الناس في سيفيزو والمناطق المحيطة؟

وعند أي نقطة خارج حدود المصنع ينتهي هلاك الحيوانات وتلوث المزروعات والأعشاب؟

وأي المنازل والمكاتب والمصانع تجب تخليتها؟

وأين يمكن ايواء السكان؟

وماذا عن السيارات والشاحنات التي كانت تثير الغبار وتحمل الديوكسين معها؟

وكم من الديوكسين انتقل الى أجسام البالغين الذين يعيشون في المنطقة عبر الخضر والحيوانات التي أكلوها؟

وماذا عن الأطفال الذين ـ اضافة الى تناول الطعام الملوّث ـ لعبوا فوق العشب؟

ربما بلغ عدد الذين أُصيبوا الآلاف. وهم لم يكونوا مضطربين فحسب، بل كانوا يقاسون أسوأ الظروف والضغوط. ولم يشأ الرسميون ان يتكلموا حول الأمر قبل اخلاء المنطقة تجنّباً للذعر الذي يخلفه ذلك. وحملت الأمطار معها وعداً كاذباً بأنها ستذيب الديوكسين وتنظف الأرض من آثاره. ولكن سرعان ما تبين ان ذلك مستحيل، وأن الديوكسين باق.

القطاع "أ"

اتُّخذت تدابير كثيرة وُضعت كلها موضع التنفيذ في آن. فجُمعت الحيوانات النافقة وحدّدت مواضعها

لمعرفة مدى انتشار الديوكسين. وأجرى الدكتور كارلو بيناغي، مدير المعهد الاقليمي للطب البيطري في ميلانو، مجموعة من التشريحات لتحديد سبب الوفاة وضخامة التلف الداخلي الذي أصاب تلك الحيوانات.

وما ان شرّح الدكتور بيناغي الحيوان الأول، وهو أرنب، حتى أجفل ولم يصدق ما رأى. فقد كانت الأنسجة تحت الجلدية منتفخة على نحو غير طبيعي. وكانت القصبة الهوائية تعرضت لنزف كبير وأصيب الكبد والكليتان بأذى جسيم. وقال بيناغي لزميل له: "لم اشاهد في حياتي المهنية تلفاً داخلياً بهذا الحجم".

وعلى جبهة اخرى، راح الدكتور جيوفاني غالي والدكتور فلامينيو كاتابيني من معهد ميلانو للعلوم الصيدلية يحللان عينات من النبات والتراب في محاولة لمعرفة القطاعات الملوّثة. ووضع المختبر الصيدلي نفسه في حال طوارىء، مجنداً نحو مئة فني لاجراء ٤٠٠ اختبار في الاسبوع. والديوكسين فعال بحيث أن جزءاً من المليون منه ينطوي على سم زعاف. وتبين من تحليل العينات الاولى، وهي الأكثر تلوثاً، أنها أقوى من ذلك بـ ٣٠٠ الى ٤٠٠ مرة.

وفي الوقت نفسه أخذ فيتوريو ريفولتا، وزير الصحة في مقاطعة لومباردي، يقارن نتائج تحليل التراب والنبات مع نتائج تحليل العينات الحيوانية. وعلّقت نتيجة المقارنة على خريطة كبيرة في مكتبه، مع ذكر جميع التفاصيل والامور الصغيرة. ووُضعت على الخريطة فوق مقاطعات سيفيزو وميدا وسيزانو ماديرنو اشارات حمراء صغيرة في أماكن وجود الحيوانات النافقة. وظهر ان التلوث ضرب الطريق الممتدة من كومو الى ميلانو على الجانبين، حتى مسافة ١٥٠٠ متر جنوب المصنع. وعُلّق تحذير لأصحاب السيارات والسائقين يقول: "منطقة ملوثة. اغلق النوافذ. لا تتوقف. اقطع الطريق على مهل".

ووُضعت الاشارات الحمراء على الخريطة حول المنازل في شارع كارلو بورتا والشوارع المجاورة، وغصت بها الأماكن مثل ملعب البيسبول ومركز التسلية وبركة السباحة والمقبرة ومركز سيفيزو التجاري، كورسو ايسونزو. وهال ريفولتا ان يرى أن معدّل الحيوانات النافقة في هذا القطاع بلغ ٩٠ في المئة.

كما أُلصقت على الخريطة اشارات خضراء تعين وجود حيوانات مصابة وهالكة في منطقتين معزولتين شرق القطاع الرئيسي وغربه، على مسافة ١٥٠٠ متر من معمل ايكميزا، في الجزء الجنوبي من سيفيزو. والمنطقتان تقعان في بلدة سيزانو ماديرنو، حيث راح الطبيب البيطري يحصي الحيوانات النافقة والتي هي على وشك الهلاك. وبين فحص هذه الحيوانات أنها مصابة بأذى وتلف في أنسجتها تحت الجلدية، وفي الكبد والكلية كذلك، وهي الظواهر التي اخافت الدكتور بيناغي. وأخيراً عُلّقت لافتات صفراء فوق الأماكن الخالية من الاصابات بين الحيوانات.

ولدى التدقيق في الأوراق الملصقة على خريطته، سرّ ريفولتا ان يرى

ان الغيمة المشؤومة لم تضرب ذاك الجزء من سيفيزو الذي يسكنه أكبر عدد من الناس. الا ان الجزء المصاب كان كافياً، إذ بلغ طوله كيلومترين وعرضه نصف كيلومتر.

هذه المنطقة التي رُمز اليها باللون الأحمر سُميت "القطاع أ". والمنطقة ذات اللون الأخضر سُميت "القطاع ب". وهناك منطقة يشترك فيها الأصفر والأخضر وقليل من الأحمر لم يقرَّر وضعها نهائياً، وقد سُميت "القطاع ر". وبعد استشارة السلطات المحلية والاقليمية والقومية، أصدر ريفولتا أوامره على مضض باخلاء "القطاع أ" يوم السبت ٢٤ يوليو (تموز). وكان على أكثر من ٢٠٠ شخص أن يغادروا المكان بعد انقضاء اسبوعين على الكارثة، وبينهم آل زورزي وآل كاسيو والعائلات الاخرى في شارع كارلو بورتا.

وجاء أمر الاخلاء مفاجئاً بحيث ان المهيأين له كانوا قلة. وأخذ آل زورزي وآل كاسيو وجيرانهم ينظرون الى رجال الشرطة المحلية والشرطة العسكرية القومية يقتربون بانكسار. وقادوا الناس برفق بالغ الى السيارات والحافلات. ولم يُسْمَح لهم بأخذ قطع أثاث أو أدوات منزلية. واقتصر كل منهم على حقيبة ثياب.

"اذا كان ضرورياً، فالى الأبد"

بُعيد الاخلاء الاول، بدأت فرقة عسكرية تمد شريطاً من الأسلاك الشائكة حول "القطاع أ"، بلغ طوله عشرة كيلومترات. وعُلقت لافتات لابعاد الناس عن المكان. ولم يُسْمَح بدخول القطاع الا للاطباء البيطريين والمتطوعين الذين راحوا يقتلون كل حيوان يصادفونه، وكانوا جميعاً يرتدون ثياباً خاصة ويضعون



خلف الاسلاك الشائكة تقع "مدينة الاشباح" في القطاع "أ".

أقنعة، ورُفعت متاريس تشير الى "القطاع ب"، وأُمر بقتل جميع الحيوانات في هذا القطاع أيضاً وفي "القطاع ر" كذلك.

ولم يكن ذلك بالعمل الجميل. فقد دخل الرجال مدينة أشباح ترافقهم حراسة مسلحة، وراحوا يتعقبون الدجاج داخل حظائره المسيجة ويقبضون على الأرانب في زرائبها ويقتلونها بهدوء ثم يضعونها في أكياس نايلون سوداء لارسالها الى المختبر البيطري في ميلانو حيث سيتم فحصها. وقُضي على قرابة تسعين ألف حيوان وطير بهذه الطريقة وذلك لتجنُّب انتشار التلوث وتحديد المناطق الواجب اخلاؤها. وكان على الرجال تعقُّب البط والخراف والماعز وبقية الحيوانات في تلك المنطقة وذبحها، كما كان عليهم اتلاف البيض والجبن والحليب. وأُمر الصيادون بعدم أكل صيدهم بل ارساله الى السلطات الصحية. وأُتلفت قفران النحل وعسلها على امتداد خمسة كيلومترات من المنطقة الملوثة.

وفي "القطاع ب" حيث كانت العائلات لا تزال في منازلها، نفذ الرجال مهمتهم الشاقة على مضض ولم يلقوا اعتراضاً من الأهالي الذين ران على وجوههم الحزن واليأس. وهناك عدد كبير منهم اشترك في عملية الذبح، وفي ذهنه سؤال صامت: هل سيحين دورنا لاخلاء منازلنا؟

ولم يكن سؤالهم غير ذي بال. فالخريطة في مكتب ريفولتا كانت تُظهر زيادة في عدد الحيوانات النافقة في "القطاع ب"، فضلا عن احتواء النبات والتراب على كميات كبيرة من الديوكسين. وكان ريفولتا يمقت فكرة الاضطرار الى اصدار اوامره الى عدد آخر من الناس باخلاء منازلهم. ولكن تبين له في ٢٩ يوليو (تموز) ان لا بد من توسيع "القطاع أ". وهذه المرة أُمر نحو ٦٠٠ شخص بمغادرة بيوتهم.

ومد أفراد الجيش مزيداً من الأسلاك الشائكة، وكبرت مدينة الأشباح. ولكن لم يتعد الخراب الملموس وجود جثة قط هنا وشلو طائر هناك. وبقيت المنازل داخل الأسلاك الشائكة سالمة من الأذى وستائرها مغلقة كما تركها أصحابها. وبدت البلدة جثة ضخمة ممددة على الأرض. لكن العشب كان لا يزال أخضر وأشجار الفاكهة محملة بالثمار. ووقف مراسلو الصحف، الذين فرغوا أخيراً من تغطية أخبار هزة أرضية هائلة حلت بالجزء الشمالي الشرقي من ايطاليا، مشدوهين أمام تلك الكارثة الجديدة التي لم يسبق لها مثيل. فهي كانت مخيفة وخفية ومن صنع الانسان، وقد حصلت بهدوء ومن غير مقدمات.

ولم يكن من أقل واجبات الوزير ريفولتا معرفة ما يجب فعله لوقف تلوّث الأرض والمنازل. فهذا النوع من الجهود لم يسفر الا عن نتائج ضئيلة في الأحداث السابقة. ففي حادث المصنع الهولندي، أُصيب العمال الذين كانوا ينظفون المنطقة الملوّثة بتفسُّخ في الجلد. وتقول احدى ربات البيوت: "كان ذلك مرعباً، ولم ابصر في حياتي ما يشبهه. وقد ظهرت على وجوه الرجال بقع سوداء كبيرة".

واستشار ريفولتا عدداً من خبراء وقف التلوث، لكن أياً منهم لم يزوّده بحل مباشر. واقترح الخبراء الايطاليون احضار وحدة كيميائية عسكرية مزوّدة بخراطيم تقذف النار على العشب وأوراق الشجر. لكن ذلك من شأنه احداث مشكلات فورية، إذ أن الديوكسين لا تقضي عليه تلك الحرارة، بل يحمله الدخان واللهب الى مسافات بعيدة. ولا يمكن اتلاف الديوكسين الا بتعريضه لحرارة تتجاوز الألف درجة مئوية، وهذا يقتضي جهاز ترميد يبنى خصوصاً لتلك الغاية.

وقد أتفقت الدكتورة آن ووكر، وهي اختصاصية في أمراض الجلد كانت عالجت العمال في أعقاب حادث المصنع الانكليزي، مع علماء آخرين على ان آثار الديوكسين في المدى الطويل قد لا تظهر قبل عشر سنين أو ١٥ سنة. وفي حديث قاس وصريح الى الصحافة، قالت ما يأتي: "أرى أن يخلي جميع الناس منازلهم في الأجزاء المتضررة من سيفيزو، مع عدم السماح لهم بأخذ أي شيء معهم، حتى ثيابهم. ثم يجب اغلاق المنطقة وهجرها الى الأبد اذا اقتضى الأمر. وهذا وحده يكفل عدم توسيع رقعة التلوّث".

وارتأى خبير من وزارة الصحة الأمريكية، بين تدابير اخرى، هدم جميع البنايات وتعرية الأشجار في "القطاع أ"، فضلا عن إقامة حفرة تحرق فيها جميع الأوراق والأماليد والأغصان الملوّثة تحت حرارة تبلغ ١٢٠٠ درجة مئوية.

أما النصائح التي أسداها الخبراء حول الامور التي لا يجوز فعلها فلم تكن أقل أهمية. فالى الأخطار الناجمة عن احراق المواد الملوثة تحت درجة حرارة دنيا، يُخْشى حفر التراب إذ لا مكان يمكن القاؤه فيه.

وقرّ رأي معظم الخبراء على أنه يجدر رش المنطقة بسائل زيت الزيتون الذي قد يخفف قليلا من مقدار الديوكسين حين تضربه أشعة الشمس. وكانت شركة جيفودان تُعد اختصاصيين وتجهيزات لتنفيذ ذلك العمل. غير ان السلطات الايطالية ارتأت ان الصدوع والشقوق في الأرض وسطوح البنايات لن تنال ما يكفي من أشعة الشمس.

وأجمل ريفولتا المسألة بيأس من وراء مكتبه الذي اغرقته الطلبات والتوسلات الداعية الى العمل السريع: "لا احد يملك فكرة واضحة عن طريقة وقف تلوث المنطقة أو الوقت الذي يستغرقه ذلك".

العذاب البشري

إن عدم معرفة الدواء القاضي على سم الديوكسين ولد مشكلة قائمة في ذاتها. فقد كانت الاسعافات الأولية للتخفيف من عواقب الاصابة بالـ "ت.ك.ف" بسيطة نسبياً. أما آثار الديوكسين في المدى البعيد فبقيت مجهولة، مما سبب الخوف والقلق.

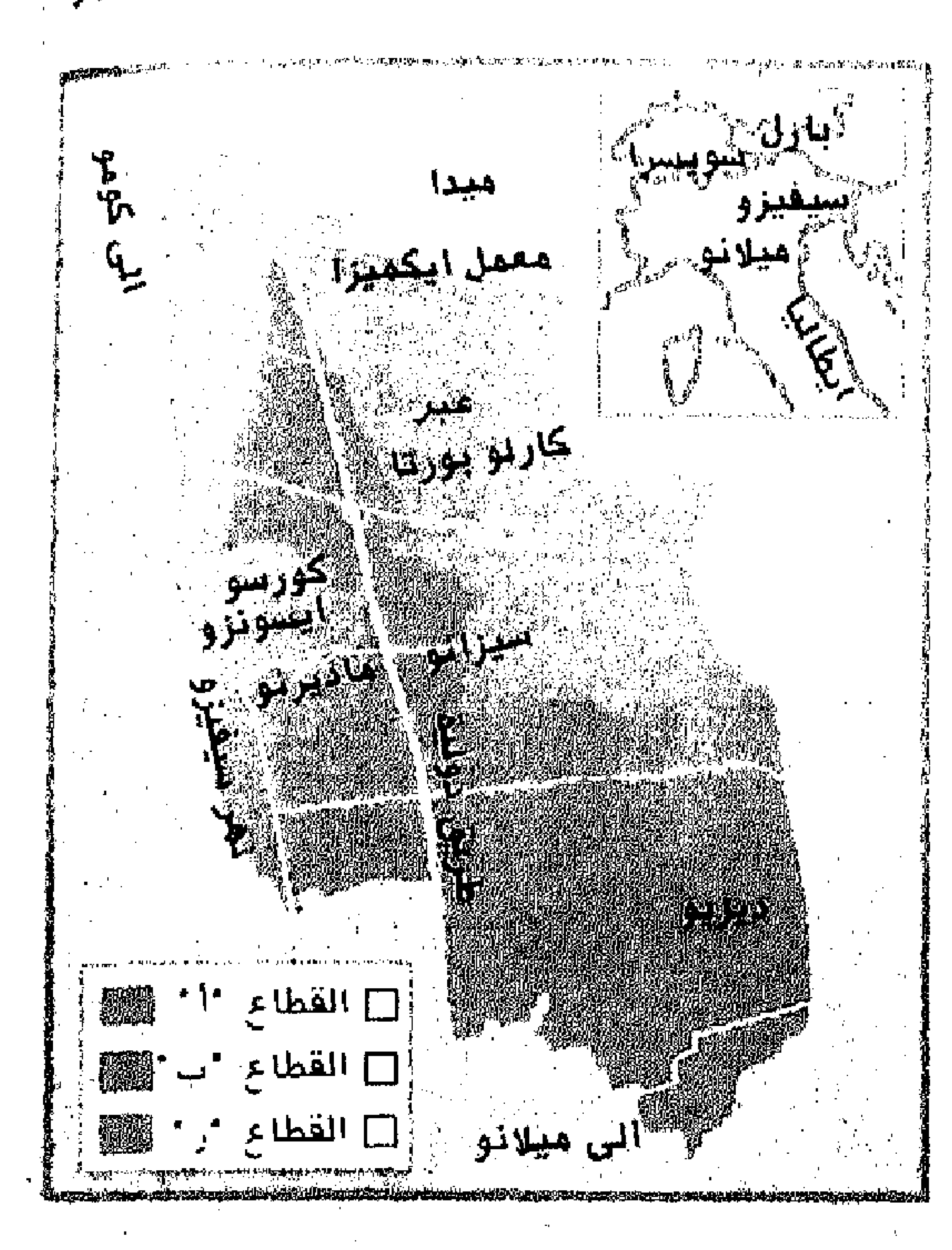
وقد أُصيب نحو ٥٠٠ شخص بشقوق جلدية مؤلمة وخلل في الكبد والكليتين. ولم يكن من السهل معالجة هؤلاء وسواهم من المرضى. وكان العلاج يتطلب اجراء اكثر من ٣٠ اختبارا لكل شخص، فضلا عن اعتماد أكثر وسائل التشخيص تطوراً. وغص مركز الطوارىء المقام في مدرسة

سيفيزو الابتدائية بآلاف السكان الذين قصدوه لاجراء فحوص دم.

وجُمع عدد كبير من الأنابيب من مئات المرضى الذين تسنى سحب عينات من دمهم في الأيام القليلة الاولى. وفي ٢٨ يوليو (تموز)، كان قد أُجري نحو ٣٠ ألف تحليل دم لـ ١٥٧٧ شخصاً. وكان هدف برنامج الطوارىء الرئيسي تتبُّع ٨٠٠٠ شخص تعرّضوا لاصابات قوية. وهناك اكثر من ٢٠٠ ألف شخص آخر حول المنطقة المصابة سيقدّم اليهم أفراد الفريق الطبي علاجاً أخفّ.

وكانت هناك تدابير وقائية ملازمة للبرنامج الطبي. فكان سكان "القطاع ب" الذين سيطلب منهم اخلاء منازلهم اذا كشفت الفحوص عن اصابات خطيرة، يذكرون دائماً بعدم لمس الأرض أو الشجر وبعدم أكل مزروعاتهم ودواجنهم وبارسال أولادهم خارج القطاع ليلعبوا في أماكن خُصصت لهم.

ومن أخطر الامور على الاطلاق ما واجهته النساء الحبالى من امكان وضعهن أطفالا مشوّهين، علماً أن الاجهاض في ايطاليا جريمة يعاقب عليها القانون. ولكن بُعيد حادث مصنع ايكميزا، اتخذ وزير الصحة الايطالي الجديد، وهو من الحزب الديموقراطي المسيحي، تدابير لتسهيل عمليات الاجهاض في المنطقة المصابة. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية بقيت متصلبة في موقفها التاريخي المعروف من الاجهاض، وان يكن احد المسؤولين صرّح بأن الكنيسة لن تصدر أحكاماً ضد النساء اللواتي يقررن الاجهاض.



وقصدت أكثر من مئة امرأة حبلى المراكز الطبية في المنطقة طلباً للمشورة. وواجههن الأطباء بالحقيقة كما هي: ما من شك في ان الحيوانات المخبرية أظهرت تشوّهاً جنينياً على أثر حقنها بنسبة ٠،٠٥ في المليون من الديوكسين. أما الأثر بالنسبة الى الجنين البشري فلا يزال مجهولا. وتُرك القرار لصاحبة العلاقة التي وقفت حائرة أمام قوى ثلاث: ضميرها وعقيدة الكنيسة والقوانين الايطالية الغامضة حول هذا الموضوع. ولم يكن يسيراً اتخاذ ذلك القرار، وقد اختارت ٣٣ امرأة حاملا الاجهاض.

من المحتاج؟

حين أخذت معالم الكارثة تتضح تدريجاً، خصصت الحكومة الايطالية اعتماداً قيمته ٤٠،٤ مليار لير ايطالي (نحو ٤٨ مليون دولار) لمواجهة برنامج الطوارىء الصحي والاسكاني

وقد رفع هذا المبلغ، في ما بعد، الى ١١٥ مليارا. وفي الوقت نفسه أعلن ادولف جان من مدينة بازل السويسرية - وهو رئيس مجلس ادارة "هوفمان - لاروش"، أن الشركة ستعوّض جميع الخسائر المادية الناجمة عن الحادث (دفعت لاحقاً ١١ مليوناً و٥٠٠ ألف دولار وفتحت اعتماداً آخر في ميلانو) وتتعاون مع الحكومة الايطالية لوقف أثر الديوكسين. (★★)

إلا أن الشركة اتُّهمت بالابطاء في الاعلان عن حقيقة الكارثة واصدار التحذيرات الضرورية. ويرد غي فالدفوغل، رئيس شركة جيفودان، على ذلك بالآتي: "لم يُذكر الديوكسين منذ البداية لأننا لم نتأكد من وجوده قبل ٢٣ يوليو (تموز). وفي اليوم نفسه سلمنا النتيجة للسلطات الايطالية".

ولكن هل كان محتماً صنع صمام الأمان بحيث تتسرب محتويات المفاعل الى الجو لدى فتح الصمام عوضاً عن انصرافها الى برميل نفايات أو وعاء خاص؟

كان جواب فالدفوغل عن هذا السؤال مقتضباً: "لا نستطيع التعليق فعلا على هذا الأمر. وجل ما نعرفه أننا لا نملك حتى الآن تفسيراً صحيحاً لما حصل، وان أمكننا القول ان الحادث نجم عن اجتماع خلل فني وخطأ بشري".

في تلك الأثناء كان الاهالي المهجّرون يقيمون في فنادق مخصصة لهم. ولئن تكن ظروف اقامتهم مريحة، الا ان المقطع المفاجىء، الذي حل بحياتهم شل حركتهم وأربكهم. فهم اشتاقوا الى جميع مقتنياتهم الخاصة وقضت مضجعهم فكرة الأمراض التي يمكن ان تصيب أولادهم.

وارتسم على وجوههم سؤال كبير بلا جواب، وهو: كيف يمكن أي شركة، مهما بلغ حجمها، تعويض خسارتهم؟

صحيح ان الخراب المادي كان كبيراً، ولكن كان متعذراً تقدير الألم والعذاب والدمار النفسي والتهجير وفقد الوظائف والخسائر المادية المباشرة وغير المباشرة.

والى ذلك، كانت هناك مسائل اخرى تسترعي الانتباه. وقد كانت الصحيفة البريطانية المرموقة "العالم الحديث" من الصحف الاولى التي أقامت موازنة بين المنافع والأضرار الناجمة عن مشاريع كيميائية من هذا النوع. وجاء في أحد مقالاتها: "لقد تبخرت أهداف مصنع سيفيزو (والمصانع المماثلة) لدى اعادة النظر في الأخطار الهائلة التي سببها". واقترح المقال ابدال الهيكسا كلوروفين (المطهر الجراحي) و"٢، ٤، ٥ - ت" (مبيد الحشرات الضارة) بمواد اخرى مأمونة.

وكان لذلك الرأي ما يدعمه. فقد تبين أن مادة الهيكسا كلوروفين، وهي من مخلفات الـ "ت.ك.ف"، أدت الى وفاة ٣٧ طفلا في فرنسا من جراء استعمال مسحوق يحتوي على نسبة ٦ في المئة من تلك المادة عوضاً عن

(★★) في خريف ١٩٧٢ خصصت مجموعة لاروش - جيفودان مبلغ عشرة مليارات ليرة وزعت على المتضررين، افراداً ومؤسسات، حصلت السلطات الايطالية على جزء منها، وقد فتح في ميلانو مكتب خاص لتوزيع هذه المساعدات.

نسبة الـ ١٠ أو الـ ٢٠ في المئة المألوفة. كما وُجد أن كثيراً من المواد التي تزيل رائحة العرق تخلف رواسب خطرة في مجرى الدم اذا انطوت على واحد في المئة فقط من الهيكسا كلوروفين.

واستمر الانتظار المقلق بالنسبة الى الأهالي المهجَّرين. ومع حلول شهر سبتمبر (أيلول)، أي بعد شهرين من الحادث، ازداد التذمر من الآلام الداخلية، ولاحظ بعضهم امتزاج الدم ببوله. وبقيت القروح الجلدية الكبيرة من غير شفاء. غير أن تآكل الجلد، وهو العلامة الأكيدة على التسمم بالديوكسين، لم يكن ظهر بعد. ومعلوم أن أعراضه لا تظهر قبل أربعة أشهر من الاصابة به.

وبرز السؤال الآتي: مَن الأكثر تعاسة – عائلات "القطاع أ" المحصورون ضمن فنادقهم أم عائلات "القطاع ب" الذين تحوّلت منازلهم الى شبه سجون؟ فقد كان عليهم تنظيف أحذيتهم قبل دخول المنزل. ولكن ماذا عن أجسامهم؟ وكيف يمكنهم التخلص من الخرق والمناديل الورقية التي يستعملونها للتنظيف؟

وواظبوا على إرسال حيواناتهم النافقة الى قاعة المدرسة المحلية في أكياس ورق. وكانوا يحملونها كما يحملون أكياس التبضّع، ويرمونها على الطاولة بتجهّم، ثم يغادرون الباب صامتين. وكان الأطباء البيطريون يرقمون الجثث ويحصونها بعناية، ثم يرمونها بقسوة في ثلاجتين استعداداً لنقلها الى مختبر ميلانو. وران على المكان جو من الهدوء اليائس.

واتسعت رقعة "القطاع ب" من ٥٠ هكتاراً الى مئة هكتار، ولكن لم تُطْلَب تخلية منازل اضافية. وبعد تمحيص الأمر، ارتأى الوزير ريفولتا أن الضغط النفسي الذي ينشأ عن التهجير يفوق الأخطار المادية الملازمة للبقاء.

مستقبل مجهول

كان ذلك اليوم في مطلع الخريف، والأولاد في فندق ليوناردو دا فينشي القريب من سيفيزو يلهون بين الكنبات والكراسي، غير عابئين بالآثار السوداء والحمراء التي خلفتها القروح على وجوههم، فيما كان الأهالي الأكبر سناً يجيبون عن أسئلة الصحافيين الذين تحلقوا بأعداد كبيرة حولهم.

واغتاظ آل كاسيو وآل زورزي حين تذكروا الأيام الخوالي التي صرفوها بسعادة في شارع كارلو بورتا بالمقارنة مع خمولهم القسري في ذلك الفندق. وقالت السيدة كاسيو: "اننا نحاول تجاهُل الأمر كله. لقد أخبرنا الأطباء أن الديوكسين تراكم داخل أجسادنا وأن وضعنا خَطِر. اننا نريد منازل. لقد قمنا بأعمالنا ولم نزعج أحداً. واذا شئنا بَيْع منازلنا اليوم فلن يشتريها أحد. لقد تحول "القطاع أ" صحراء مقصورة على الفئران".

وقال جينو زورزي: "علينا الضحك على أنفسنا، فحاولوا أن تضحكوا معنا، اننا لا نبغي تضخيم الامور، لكننا نريد الاستمرار في حياتنا".

وتملّك الاهالي شوق جامح الى رؤية بيوتهم الخاصة. ورضخت السلطات لذلك الالحاح، سامحة لعدد

من العائلات باحضار بعض الأغراض التي تركوها في حجرات صغيرة وخزائن مقفلة ظنّن أن الديوكسين لم يصل اليها.

وكان آل كاسيو من الذين دخلوا "القطاع أ" عبر الأسلاك الشائكة. وأمرهم الحراس بلبس بزات بيضاء كالتي يلبسها رواد الفضاء، وبوضع أقنعة وقفازات وأحذية خاصة. واقتيدوا الى منازلهم برفقة مسلّحة. وما ان وطئوا عتبة الدار حتى انفجرت السيدة كاسيو بالبكاء. وطلبت من زوجها أن يسرع إذ هي لم تتحمل البقاء طويلا. وذهب الى خزانة أنزل منها حقائب ثقيلة تحوي الثياب الشتوية. وهز الجنود رؤوسهم بالموافقة. وانطلقت السيدة كاسيو لاحضار كتب كارلو المدرسية التي ووفق على اخراجها لأنها كانت ضمن خزانة مقفلة.

وألقيا نظرة على خشب الأرضية المزركش الذي بقي نظيفاً كما تُرك، وعلى أثاث غرفة الجلوس والمطبخ الخالي من العيوب والحمام المكسو بالبلاط. وكان كل شيء على حاله. وانفجرت السيدة كاسيو مرة اخرى بالبكاء. وللتو غادرا المنزل. ومرا على دائرة الحراسة حيث أُدخلا خياماً خاصة لنزع البزات البيضاء واحراقها. ونظف رجال الشرطة الأغراض التي حملاها كما نظفوا سيارتهما.

وعلى رغم هذه التسهيلات التي منحتها السلطات الايطالية، إلا أنّ الضغط في الفنادق التي احتلها المهجّرون بلغ حدّاً لا يُطاق. فقد تحلق أفراد عائلات "القطاع أ" في المطاعم بوجوه كالحة وأصوات ملجومة. وكانت أحاديثهم تدور حول موضوع واحد: لقد بدا لهم أنّ عملية وقف التلوّث أخفقت ولم تسفر عن نتائج ايجابية. وخشوا أن يكون الديوكسين تغلغل في كل شق ومكان نافذ وورقة ولحاء شجرة وثمرة وعشبة وحبة تبن وتراب. وتساءلوا اذا كان ممكناً تفتت السم كلياً. وبات وقف التلوث الآن مقتصراً على منع السم من تجاوز حدود صحراء "القطاع أ" الشقية.

ولكن لم يعلم أحد بدّقة المواقع التي يمكن أن يكون الديوكسين بلغها او استقر فيها. لقد ابتهجت الطيور التي تغتذي على الجيف بأكل الجيف المصابة بالسمّ فطارت بعيداً. فهي لا تحترم الحدود المصطنعة. وأثارت الشاحنات والآليات العسكرية الغبار بعجلاتها. وحملت الريح الآتية من جبال الألب التراب والذرات الصغيرة الى أمكنة غير معروفة، ربما كانت على بعد عشرات آلاف الأمتار. وانتقلت الطيور والحيوانات البرية والفئران من المناطق المصابة الى أجزاء لا يعرفها أحد.

ولم يكن ممكناً إنجاز جهاز الترميد الذي يعمل بحرارة ١٢٠٠ درجة مئوية ويكلف الملايين قبل سنتين. ووُضعت الجثث في أكياس نايلون، بعضها فوق بعض، خلف جدار المقبرة، من غير أن تكون هناك طريقة للتخلّص منها. وكان على المسؤولين رشّ أوراق الخريف الساقطة بصمغ كيميائي يغطي السم ورميها بحذر. وما لبث أن تبين ان المطر الغزير ساعد الديوكسين على اختراق التراب

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ ـ محرم ١٤٠١



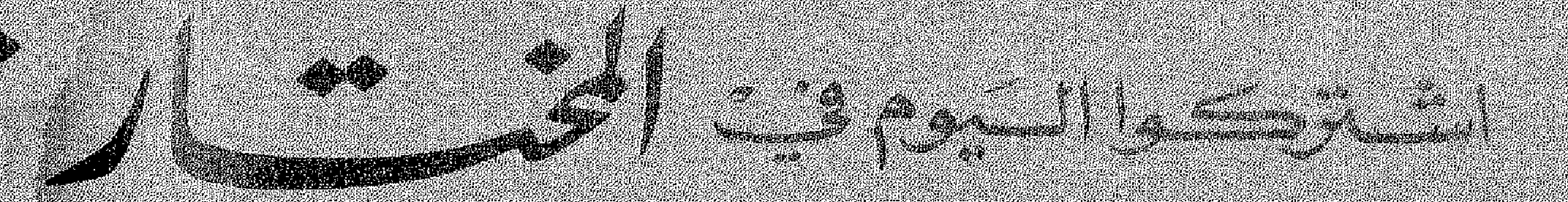
وفروا ٥٠٪

البحرين تدخل عصر ما بعد النفط (ص ١٧)

...رجولة (ص ٧٤)

اكتشاف ...د للحضارة (ص ٤٧)

الإمارات العربية المتحدة ٦ل ـ قطر ٦ر ـ البحرين
...ن ٤٥٠ق ـ سورية ٣٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ
... العراق ٦٠٠ف ـ مسقط ٦ر ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ ليبيا ٢٥٠د ـ السودان ٧٠٠م ـ
... السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ ... كندا وامريكا الشمالية ٢٤٥د
... ٥٠٠م ـ المغرب ٦د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د
AL MUKHTAR



ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V
75008 Paris, France

حين ظهرت مقادير منه في الترسبات النهرية.

وبعد انقضاء ثلاثة اشهر على الحادث، أخذت أعراض التآكل الجلدي طريقها الى الظهور، فنتأت أكياس صغيرة بلون القش الى جانب بثور وحبوب ودوائر كبيرة ذات رؤوس سوداء، اضافة الى الاعراض الاولى التي كانت مادة "ت.ك.ف" سبباً لها. وارتفعت الاصابات الى ١٨٧ في آخر ١٩٧٧، وكان بين المصابين السيدة زورزي وآل كاسيو.

وجرّبت دهون ومراهم كثيرة. واستعمل مرهم الكورتيزون في بعض الحالات، وغُطيت وجوه المصابين بأقنعة لم يظهر منها سوى الفم والعينين. وأجري زرع جلد لبعضهم.

ومع حلول العاشر من اكتوبر (تشرين الاول)، لم يعد أهالي سيفيزو المهجرون يطيقون لجم مشاعرهم، فعبروا عنها بصراحة، طارحين المنطق جانباً. وصادروا حافلتين مع سائقيهما اللذين انطلقا بالمحتجين عبر الطريق الرئيسية في اتجاه بلدتهم. وانطلقت وراء الحافلتين قافلة من السيارات حملت نحو ٥٠٠ مواطن يائس.

وفي الثامنة والنصف صباحاً بلغت الحافلتان المصادرتان المفرق المؤدي الى سيفيزو. وهناك صدهما خفيران مسلحان. وتوقفت الحافلة الاولى ونزل منها الأولادالذين كانت تحمل عدداً كبيراً منهم. وتوجهوا نحو الخفيرين يتقدمهم بعض الرجال. ولم تصدر عن الخفيرين اي مقاومة، بل تراجعا. وازاح المتظاهرون المتاريس بلطف ووضعوها على جانب الطريق. وبعد قليل تجمعت السيارات على طريق ميلانو - كومو على امتداد كيلومترات.

واخترقت الحافلتان وقافلة السيارات التي تتبعهما "القطاع أ"، متوجهة الى دار البلدية. وخرج المحافظ روكا لملاقاتهم، آمراً رجال الشرطة بالتراجع وهو يقول لهم: "لا أريد استعمال العنف ضد مواطني الذين لاقوا من العذاب ما يكفي".

وفي وقت لاحق وصل المسؤولون الاقليميون من ميلانو. ورجا وزير الصحة ريفولتا الناس ان يعودوا الى فنادقهم. وحذرهم مسؤول آخر من الاخطار التي ينطوي عليها دخول "القطاع أ". وحصلت بعض الصدامات وطرح السكان عدداً من المطالب. ووعد المسؤولون بتحقيق بعض الامور التي يستحيل تحقيقها حتى وان تكن لديهم الرغبة في ذلك.

وبدأ بعض المتظاهرين يتحركون داخل "القطاع أ". وفجأة توقفت السيارات وانطلق ركابها كالسيل العارم فوق الطبقةالعليا من الارض التي تحمل الديوكسين في اتجاه منازلهم، من غير ان يضع أحد منهم الثياب الواقية. ولم يكن ذلك جزءاً من خطة مدروسة، بل كان تعبيراً عن الخيبة والكآبة العميقتين.

واعتصم عدد منهم داخل المنازل. ووقف زوجان خارج منزلهما ينظران اليه بصمت. وذهبا نحو مرأب السيارة، ووجدا في طريقهما مفك براغي وآلة لجز العشب. وشاهدا داخل المرأب كيس بطاطا موضوعاً على رف والبراعم قد افرخت منه. ولم يتغير شيء منذ تركهما المكان.

وحمل بعضهم معه سلالا خاصة بالنزهات وأكلوا بمرح يقارب الجنون على طاولات منازلهم. وأخذ الجيران يزورون بعضهم بعضاً كسابق عهدهم، كأن شيئاً لم يحدث خلال الايام الـ٩٣١ الماضية. لكنّ فرحهم أخذ يخبو تدريجاً وهم يعودون الى فنادقهم على غير نظام- جماعة يهيمن عليها الخوف واليأس وينتظرها مصير مجهول.

الربيع الصامت

في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧، وُلد ستة أطفال لأمهات من المنطقة المنكوبة. وظهر أول الأمر انهم لا يعانون أي مشكلة، الى أن حمل احدهم على جناح السرعة الى مستشفى في بلدة بافيا. واظهرت الجراحة أن الوليد مصاب بخلل بالغ في جهازه المعوي. ترى هل يكون الديوكسين السبب؟ لم يكن لدى أي طبيب جواب شاف عن ذلك السؤال. وجدير بالذكر أنّ العلماء اجروا آلاف التحليلات طوال اربع سنوات قبل اكتشاف العلاقة بين مادة الثاليدوميد والتشوه لدى الولادة. لذلك كان على امهات سيفيزو الانتظار قبل الحصول على نتائج مثبتة احصائياً.

وفي شهر فبراير (شباط)، توفيت جينوفيفا سينو، وهي في السادسة والخمسين، من جراء سرطان في الكبد وكانت تعيش وعائلتها في "القطاع أ" قرب آل زورزي وآل كاسيو. وكان لديها حفيدان تعرضا لأسوأ اصابة جلدية، وملأتهما البثور حتى غَطّي وجهاهما ورأساهما بخوذة ضخمة من البلاستيك الأبيض... ترى هل كشف تشريح جثة جينوفيفا وجود الديوكسين فيها؟

وكانت هناك علامات شؤم أخرى. فقد انفجر مرض تآكل الجلد كأن له ثأراً على سكان سيفيزو. وسُجلت ١٣٠ إصابة أكيدة تجاوزت أطفال المناطق المنكوبة الى أطفال من مناطق اخرى.

وأمر باغلاق جميع مدارس سيفيزو ليتم تنظيفها بدقة. ووجدت كميات من الديوكسين في موقعين. وقُدّر أن يكون التلاميذ الذين يعيشون بالقرب من القطاعين "أ" و "ب" حملوا الديوكسين في نعال أحذيتهم.

وفي مطلع مارس (آذار) رَشَح خبر سيىء آخر. فقد بين تشريح جثة جينوفيفا سينو وجود الديوكسين في كبدها، من غير ان يكون ذلك سبب وفاتها.

وحين أطلّ الربيع على إقليم لومباردي وبدأت براعم التوت والتين تتفتح، ظلت بهجة الربيع بعيدة عن سيفيزو. ووجدت عائلات مهجرة كثيرة شققاً سكنية في سيزانو ماديرنو وسواها من القرى المحيطة، من دون أن يكون للعديد من هؤلاء، وبينهم آل زورزي وآل كاسيو، كبير أمل في العودة الى البيوت التي بنتها ايديهم. وفي "القطاع أ" المهجور، خلف الأسلاك الشائكة، حمل الفنيون المتشحون البياض مكانس كهربائية وراحوا يكشطون طبقة التراب العليا التي تغطي الحدائق وساحات البيوت. واستعملوا آلات اصغر لتطهير المنازل. وأرسل الغبار والتراب وعينات اخرى الى المختبرات لتحليلها. لكن عدم ورود نتائج التحاليل أغاظ المواطنين. كما اغتاظ المسؤولون الذين تأرجحوا بين

رغبتهم في قول الحقيقة والحاجة الى تطويق الذعر ·

وفي منتصف ابريل (نيسان)، اكتشف الديوكسين على حين غرة في ١٥ مصنعاً في "القطاع ب" في بلدة سيزانو ماديرنو · واغلقت المصانع فوراً لمدة عشرة أيام بغية تنظيفها · وفي مايو (أيار) وجدت كميات هائلة من الديوكسين في ميدا، شمال المناطق التي اعتبرت ملوثة · وصدرت اوامر فورية بتنقية المنطقة · ولكن ترى هل باءت جميع المحاولات بالفشل ·

وفي خريف ١٩٧٧ انجزت السلطات الايطالية تنظيف ثلث "القطاع أ"، متيحة لثلث العائلات المهجرة العودة الى منازلها ·

في آخر يوليو (تموز) ١٩٨٠ اي بعد مرور اربع سنوات على الحادث، لا تزال مساحة ٥٠ هتكاراً ملاصقة للمصنع معتبرة منطقة محرمة (منذ يوليو ١٩٧٦) · الا ان اعمال التنظيف لم تتوقف في هذه المنطقة وتأمل السلطات بانهاء هذه المهمة خلال السنوات الثلاث المقبلة · وثمة خطط لاقامة متنزه فوق المنطقة التي ستدفن فيها الفضلات السامة · وقد اعيد اسكان اربعين عائلة مهجرة في منازل شيدت على نفقة شركة جيفودان · وشفي المصابون الـ١٨٧ بالتآكل الجلدي وعاد النشاط الزراعي والصناعي والحياتي الى القطاعين "ب" و"ر" البعيدين عن المصنع · وتم الاتفاق بين مجموعة هوفمان ـ لاروش /جيفودان والسلطات الايطالية على قيمة التعويضات التي ستدفعها المجموعة الى المتضررين والتي قدرت بـ١٠٠ مليار لير · وصرح لويجي نو، العضو السابق في مجلس الشيوخ الايطالي والذي اشرف على تنسيق عملية اعادة السكان المهجرين من سيفيزو: "مع تحسن الوضع، هناك خطر بدأ سكان سيفيزو والمسؤولون الايطاليون نسيانه كما لم يعد ثمة داع الى اتخاذ اي احتياطات لازمة لمواجهته · ان همنا الرئيسي يجب ان يركز على تسريع عملية تنظيف المناطق المصابة" ·

■ **جون فولر**

قيل في الزكام

في هذا الوقت من السنة، يمتلىء الهواء بعطس الناس وزكامهم وسعالهم · فان أصابك الزكام الموسمي، فاتخذ من مآسي الآخرين وحكمهم عبرة وعزاء:

إنّ للحاكم المستبد سلطاناً على الارض اكثر من اي شخص آخر · ولكن لا يمكنه ان يوقف عطسة ·

مارك توين

الزكام في ذاته ليس مزعجاً لولا نصائح الاصدقاء ·

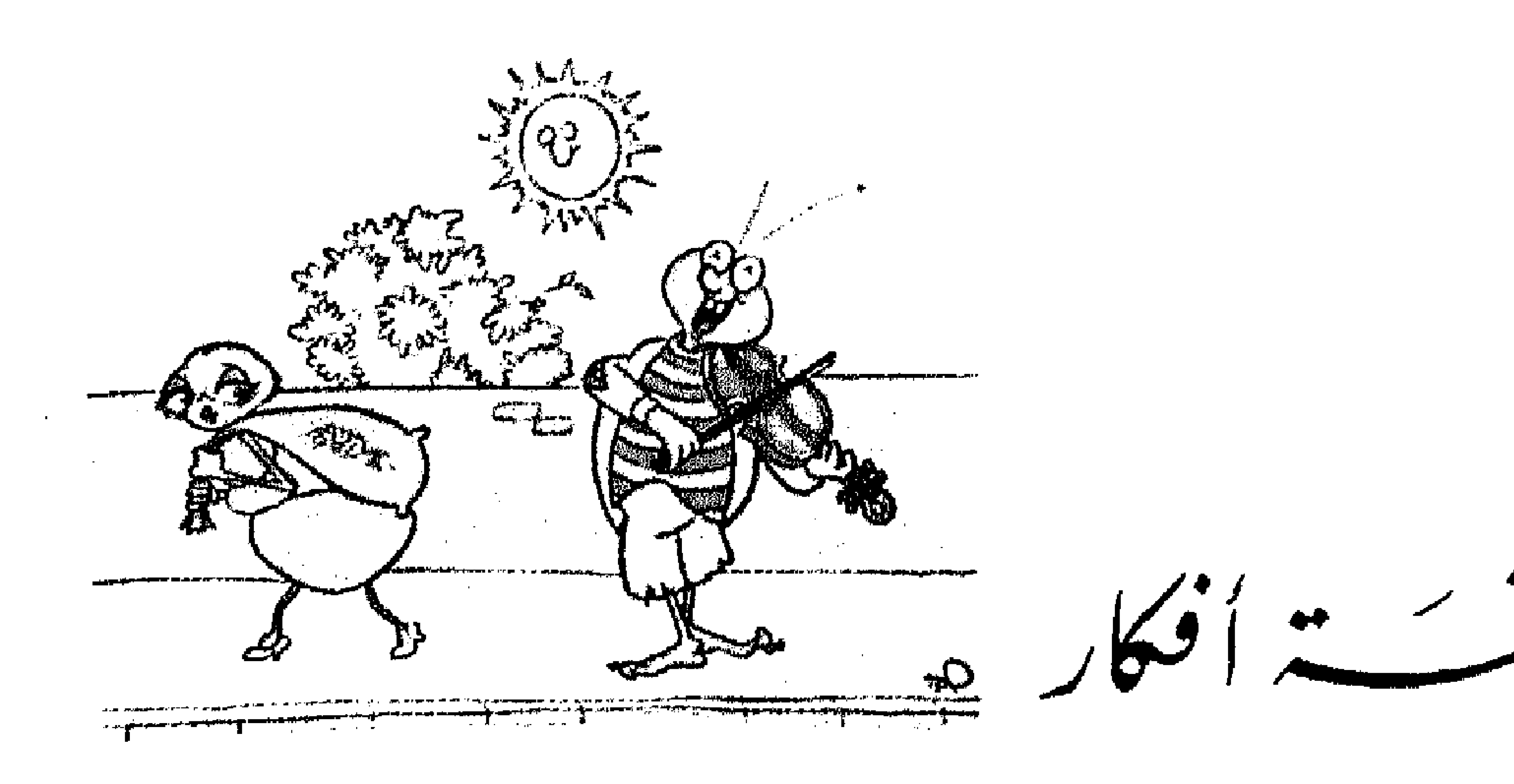
ك · هـ ·

بعض الناس لا يعرف الراحة الا اذا اكتشف مصدر زكامه ·

ج · ا · س ·

اذا داويت زكامك فأنت تشفى في اسبوع · أما اذا تركته وشأنه، فهو يزول في سبعة ايام ·

ا · غ ·



حديقة أفكار

■ اذا شئت أن تكون لاذعاً فكن مقلاً، لان الكلمات كأشعة الشمس: كلما كانت مكثفة كان حرقها اعمق.

روبرت ساوثي

■ ان حياتي هي في قبضة اي احمق يستطيع اثارة غيظي.

ج.هـ.

■ الذين يقاومون النار بالنار يحصلون عادة على الرماد.

ا.ف.ب.

■ لم انظر قط داخل ذاتي. فكيف لي أن أحكم على أفعال الآخرين؟

م.م.

■ المستقبل هو الماضي عائداً على طريق اخرى.

ا.هـ.غ.

■ لا ترتفع أمام المتواضعين ولا تتضع أمام المرتفعين.

ج.د.

■ المكافأة الوحيدة على فعل حسن هي تحقيقه.

رالف والدو امرسون

■ نحن ننزع الى تصديق اولئك الذين لا نعرفهم لانهم لم يخدعونا اطلاقا.

ساموبل جونسون

■ المساومة تعني تغيير السؤال ليلائم الجواب.

م.م.

